دراسات إسلامية

السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

قطب ابراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

الاخراج الفنى : م • ماجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دعانى لاختيار موضوع هذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » الرغبة فى تقديم نموذج اسلامى متكامل لسياسة مالية عامة حققت ازدهار الوطن ورفاهية الشعب واستقرار المجتمع نتيجة لما اتسم به رئيس الدولة من تقوى وعلم وعدل وزهد فى الأموال العامة واختيار مستشاريه وتعيين ولاته وعماله على أساس المقدرة والكفاية • فلما رجعت الى ما كتب عن سيرة عمر بن عبد العزيز تبين أنها حظيت باهتمام الكثير من الكتاب غير أن ما خص منها السياسة المالية العامة للدولة قليل ، لا تكتمل معه عناصرها من ايرادات عامة للدولة ونفقات عامة وادارة مالية توجه كلا من الايرادات والنفقات لتحقيق الأهداف العامة •

وربما كان عذرهم فى ذلك أن مناقشة السياسة المالية فى عهد من العهود تتطلب تخصصا فى الفن المالى يتمكن معه الكاتب من دراسة الوقائع التاريخية لذلك العهد وتحليلها واستنباط ماله منها علاقة بالمال العام وترتيبها وادراجها داخل الاطار الفنى للسياسة المالية ثم مقارنتها بالسياسات المالية السابقة وتتبع طرق تطبيقها وما أسفرت عنه من نتائج ومدى مساهمة هذه النتائج فى تحقيق المصالح العليا للدولة ورفاهية الشعب • وللوصول لصورة متكاملة عن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز وضعت هذا الكتاب فبدأت بتحديد عناصر السياسة المالية العامة الاسلامية وتحليل عام للسياسات المالية للخلفاء الراشدين وما طرأ عليها بعدهم من مخالفات وتجاوزات فى عهد خلفاء

بنى أمية السابقين لعهد عمر بن عبد العزيز ثم تسلسلت فأوضحت كيف آلت الخلافة اليه ولم يكن راغبا فيها واخترت ماله صلة بسياسته المالية من أقواله وبلورتها وانتهيت الى أنها سياسة للاصلاح المالى اقترنت بسياسة للاصلاح الاقتصادى ، وتتبعت تطبيق هذه السياسة على الايرادات العامة للدولة الاسلامية فى عهده ايرادا ايرادا وكذلك على النفقات العامة سواء أكانت مخصصة وهى نفقات الزكاة وخمس الغنائم أم مطلقة وتمول من ايرادات الجزية والخراج وعشور التجارة ثم أوضحت كيفية امتداد تيار الاصلاح العام لادارة المالية العامة وأن ذلك كان بترشيد عمالة الدولة وقيام الادارة على المبادىء الفاضلة والقدوة الحسنة التى بدأها رئيس الدولة بنفسه فزهد وعائلته فى الأموال العامة ودقق فى اختيار مستشاريه وعين ولاته وعماله على أساس الكفاءة المطلقة وألبس نشاط المالية العامة للدولة رداء التقوى فاقتدى فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وأقامها على المشورة وأحاطها بالعدل وقادها بالرفق والتيسير على الرعية فحققت فيض الأموال وكفلت غنى الشعب وكفاية الفقير واعزاز المسكين فى ظل نظام عادل وشامل للعطاء وسياسة حازمة لرد المظالم أنصفت المظلومين من الظالمين فردت الحقوق المغتصبة الى أهلها وبذلك حققت السياسة المالية الازدهار وأشاعت الأمن والاستقرار فى عهده .

هذا وقد تتبعت سياسته المالية بعد وفاته وأوضحت أن بعض خلفاء بنى أمية بعده حادوا عن سياسته ، فعادت اليها تجاوزات ومخالفات ساهمت فى نهاية حكم الأمويين .

ولما كانت سياسة الاصلاح المالى التى وضعها «عمر بن عبد العزيز» جديرة بأن تتخذ نموذجا يهتدى به فى العصور الحديثة لانجاح سياسات الاصلاح المالى التى تقوم بها الدول لإزالة ما أصاب مالياتها العامة من عجز وخلل فى التوازن وما اعتراها من تجاوزات ومخالفات فى التطبيق فلذلك شخصت ثغرات الماليات العامة الحديثة وأوضحت ما يمكن اقتباسه من مسالك الاصلاح التى سلكها عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول من الهجرة لعلاج مثل هذه الثغرات بعد تطويرها لتلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتاب والشعراء على مر العصور ، فقد ختمت الكتاب بشهادات صدق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارىء نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة اسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

هذا وقد راعيت فى صـــياغة الكتاب تجميع أقوال وأعمـــال عمر بن عبد العزيز وصنفتها ووضعتها فى سياسات عامة فرعية منبثقة من سياسته المالية لتكون هاديا ومرشـــدا لمن يضعون الســياسات المالية للأمم ولمن ينفذونها ٠

وأفرغت ما ورد بالكتاب فى القوالب الفنية للمالية العامة الحالية تحديثا للتراث وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به ٠

كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلما لزم الأمر باعتبارهما من مصادر الماليـــة العامة الاسلامية ٠

وفى ضوء ما سبق حوى الكتـــاب أبوابا ثمانيـــة وبكل باب فصلان ٠

ويعتبر هذا الكتاب رابع الكتب التى صدرت لى عن السياسة المالية فى عهود مختلفة فالأول عن « السياسة المالية للرسول صلى الله عليه وسلم » هدف الى ابراز وتتبع مرحلة تأسيس المالية العامة الاسلامية ٠

والثانى وهو عن « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » رضى الله عنه ٠ هدف الى ايضاح مرحلة نمو وتطور المالية العامة الاسلامية ٠

والثالث وهو عن « السياسة المالية لعثمان بن عفان » رضى الله عنه هدف الى اظهار حركة المالية العامة الاسلامية فى مواجهة فتنة كبرى وقعت فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين وأدت الى مقتله ٠

وهذا الكتاب وهو عن « السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه يبرز كما ذكرنا مرحلة اصلاح مسار المالية العامة الاسلاميـــة وارجاعها الى النبع الأول وهو نبع رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم والخلفاء الراشدين من بعده ٠

فاذا كنت بذلك قد قدمت عملا طيبـــا وعلمـــا نافعا فليقبله الله ويباركه ٠

● وما توفيقى الا بالله ●

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

السياسة المالية للدولة الاسلامية
قبل عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

عموميات عن السياسة المالية للخلفاء الراشدين

عناصر سياسة المالية العامة الاسلامية :

عناصر أى سياسة للمالية العامة هى :

- ايرادات عامة تفرضها وتجبيها الدولة ٠
- نفقات عامة توجهها الدولة لمصلحة الرعية ٠
- ادارة الدولة لايراداتها ونفقاتها العامة لتحقيق أهدافها العامة ٠

وفى المالية العامة الاسلامية تدار هذه العناصر فى اطار من أحكام الشريعة الاسلامية وتحقق اهداف المجتمع الاسلامى ٠

مسار السياسة المالية قبل « عمر بن عبد العزيز » :

قامت الدولة الاسلامية بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فأدار الدولة بسياسات عامة اسلامية ومنها سياسة المالية العامة ، ولما خلفه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ساروا على هدية فى ادارة المالية العامة للدولة ، ولما خلفهم امراء بنى أمية اعترى مسار السياسة المالية بعض التجاوزات ، غير أنه لما تولى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه امارة الدولة الاسلامية جدد سياستها المالية وعدل مسارها الى ما كان عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، ونورد فيما يلى عموميات عن مسار السياسة المالية فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم متناولين كل عنصر من عناصرها ثم نوضح ما وقع من مخالفات فى مسار السياسة المالية فى عهد امراء بنى أميه قبل « عمر بن عبد العزيز » ٠

مسار السياسة المالية فى عهد الخلفاء الراشدين

الايرادات العامة :

ـ كانت الايرادات العامة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هى الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخراج الأرض وما تطوع به المسلمون من أموال للجهاد فى سبيل الله وفى عهد « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه تحقق للدولة ايراد جديد من فرض عشور التجارة ٠

وفيما يلى كلمة عامة عن كل ايراد ٠

الزكـــاة :

فرضت الزكاة بالقرآن الكريم بأكثر من آية وحدد الرسول صلى الله عليه وسلم تفاصيلها فأوضح فئاتها والأموال الخاضعة لها وشروط استحقاقها وحدود وحالات الاعفاء منها ومواعيد أدائها وطرق تحصيلها وعقوبات المتخلفين عن سدادها وغـير ذلك من الأوضاع المتعلقة بها ، وبذلك تركها صلى الله عليه وسلم محددة الأوضاع واضحة المعالم كاملة التفاصيل ٠

وجاء الخلفاء الراشدون من بعده فالتزموا فى أمور الزكاة بما ورد بالقرآن الكريم وبسنن الرسول ، وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه أراد بعض المرتدين أن يوقفوا مسار فريضة الزكاة بدعوى أنها انما كانت تؤدى للرسول صلى الله عليه وسلم وبأنه سقط فرضها بصعوده الى الرفيق الأعلى ، فحاربهم أبو بكر وانتصر عليهم وعادت الزكاة الى مسارها الذى كانت عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وكانت تعرض للخلفاء الراشدين حالات للزكاة مستحدثة فيفتون فيها استنتاجا من آيات الله وسنن رسوله ، وزادت حصيلتها فى عهدهم ونمت نتيجة لانتشار الاسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجا وأدائهم لما فرض الله عليهم من زكاة وباعتبارها أحد أركان الاسلام الخمس ٠

خمس الغنائم :

فرض الله الجهاد على المسلمين وأحل الله لهم الغنائم ، ينالونها من الأعداء وتوزع عليهم بعد النصر على أساس أربعة أخماس للفاتحين والخمس

لبيت المال ليوزعه رئيس الدولة طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ٠ قاد الرسول صلى الله عليه وسلم الغزوات وأرسل السرايا للجهاد فى سبيل الله بعد أن خطط لها تخطيطا محكما فتحقق النصر وانتشر الاسلام ، ونظم جمع الغنائم وأوضح قواعد توزيعها ٠ ومن بعده استمر الخلفاء الراشدين فى نشر الاسلام ورفرفت راياته على كثير من البلاد فاتسعت ارجاء الدولة الاسلامية وزادت مواردها العامة ومنها الغنائم التى كان يؤول خمسها لبيت المال حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى عندما فاضت الغنائم فى عهده خشية أن يكون الله أراد بفيض الأموال أن يمتحنه ويختبر قوة ايمانه ، وقد ألحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالغنائم الركاز وهو ما يوجد فى باطن الأرض من المعادن فاذا غنمها المسلم وجب فيها الخمس لبيت المال وسار الخلفاء على هدى رسول الله وافتوا فيما عرض عليهم من حالات استنادا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

الجزية :

لم تفرض الجزية فى أول الدعوة الاسلامية انما فرضت فى السنة التاسعة من الهجرة حين نزلت « براءة » متضمنه آية فرض الجزية وهى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩) ٠

وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم من أهل الكتاب يدعوهم الى الاسلام فان أبوا فالجزية ، وبذلك كان يوصى أمراء جيوشه وسراياه ، وان أبوا دفع الجزية حل قتالهم ، أما ان استجابوا لأداء الجزية أصبحوا فى ذمة المسلمين لهم الأمان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ٠

وفرضت الجزية على الرجال ولم تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، وأعفى من الجزية من لا يستطيع من الرجال القتال كالأعمى الذى لا حرفة له والمسكين والشيخ الكبير الذى لا شىء له واذا أسلم الكتابى تسقط عنه الجزية استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » ولم تكن فئات الجزية واحدة فى جميع الأوقات وفى جميع البلاد ،

فقد كانت معاهدات الصلح بين المسلمين وأهل الكتاب تتضمن فئات للجزية محددة طبقا لطاقة أهل الذمة ودرجة يسارهم واختلفت هذه الفئات فى عهود الخلفاء الراشدين ، فقد جعلها عمر بن الخطاب مثلا متصاعده طبقا لدرجة يسار الرجال من أهل الكتاب فجعلها أثنى عشر درهما على الشخص العادى ، وأربعة وعشرين درهما على متوسط اليسار ، وثمانية وأربعين درهما على الغنى ، وكانت الجزية فى عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ نقدا أو عينا كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يصاحب التحصيل حسن المعاملة وتحقيق العدالة تنفيذا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظلم أهل الذمة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس فى الدنيا » وكان فيما تكلم بهُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند وفاته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » ٠

الخـــراج :

الخراج هو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية للدولة بعد الفتح وبقى عليها أصحابها ٠

وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نصره الله على يهود خيبر وآلت أرضهم للمسلمين فقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المقاتلين من المسلمين ودفعها الى أهل خيبر لا ليملكوها ولكن ليعملوا فيها ويؤدون النصف من الزرع والثمر كخراج ٠

وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتصر المسلمون فى فتوحات اسلامية كثيرة وحصلوا على غنائم كثيرة ٠ منهـا أراضى زراعيـة فرأى الخليفة عدم تقسيم الأرض واعتبارها ملكا عاما للدولة الاسلامية ويفرض الخراج عليها للانفاق من حصيلته على متطلبات الدولة الجديدة كحراسة ثغورها التى امتدت واتسعت بعد الفتح ، طالب الفاتحون بالتقسيم وأيدهم بعض الصحابة ، لكن أمير المؤمنين استشار جماعة مجتهدى الأمة فاعتمدت رأيه وأقرت فرض الخراج فأرسل من مسح الأراضى وفرض عليها الخراج مراعيا فى تحديده درجة جودة الأرض وأنواع الزرع وسهولة أو صعوبة ريها وبذلك تدفق مال الخراج على بيت المال ٠

ومما يتصل بالأرض ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من اقطاع أرض مملوكة للدولة الاسلامية دون مقابل للمسلمين ليعمروها ، وقد أقطع الخلفاء الراشدون من بعده الأرض للتعمير على أن ترد للدولة خلال ثلاث سنوات اذا لم تعمر ، وقد توسع عثمان بن عفان رضى الله عنه فى اقطاع الأرض ·

ومما يتصل بالأرض كذلك حمى الأرض أى أن تمنع عن الناس الأرض العامة التى ينبت فيها الكلأ نبتا طبيعيا دون جهد من أحد فلا يرعوا فيها أنعامهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا حمى الا لله ورسوله » وطبق الخلفاء الراشدون المبدأ فلم يحم عمر بن الخطاب الأرض الا للخيل الغازية فى سبيل الله ولابل الصدقة ، وطبق من بعده عثمان وعلى رضى الله عنهما نفس المبدأ ·

عشور التجارة :

وهى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب على التجار غير المسلمين الذين يمرون بموانى الدولة الاسلامية ·

النفقات العامة :

النفقات العامة للدولة الاسلامية اما أن تكون مخصصا لها بعض الموارد العامة وهى وجوه الانفاق من الزكاة ووجوه الانفاق من خمس الغنائم وأما أن تكون عامة تمول من باقى الموارد العامة للدولة ونوضح فيما يلى هذه الأنواع :

الانفاق من الزكاة :

بين الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى آية « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » التوبة الآية (٦٠) ·

وقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النص ضمن ما بلغ وعمل به فأعان الفقراء والمساكين وأثاب العاملين على الزكاة وألف منها القلوب للاسلام وأعتق العبيد وأعان الغارمين وأنفق منها فى سبيل الله وعلى ابن السبيل · وكان يسرع فى اخراجها وحرمها على آل محمد لأنها من أوساخ الناس ، وقرر محليتها فتؤخذ من أغنياء البلدة وتعطى لفقرائها ،

وأمر المصدقين بأن يصدقوا الناس على مياههم بالعدل ٠٠٠٠٠ الى غير ذلك من حالات التطبيق للزكاة ٠

وقد سار الراشدون على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى وجوه الانفاق من الزكاة ، الا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أن لا محل للانفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم بعد أن قويت الدولة الاسلامية فى عهده وأصبحت فى غير حاجة للتأليف واقترض عثمان بن عفان رضى الله عنه من أموال الزكاة لينفق على فتوحات الاسلام على أن يردها حين ميسره ولا غضاضة فى ذلك ما دامت قد أخـــذت على سبيل القرض ، وفى عهده أيضا زاد غنى الأغنياء فقام الصحابى أبو ذر الغفارى بدعوى عامة مطالبا الأغنياء بالانفاق على الفقراء من أموالهم فوق الزكاة المفروضة ٠

الانفاق من خمس الغنائم :

يبين الله سبحانه وتعالى مصارف خمس الغنائم فى آية « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتـــامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبـــدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (الأنفال/من ٤١) ٠

ولتطبيق الآية كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل توزيع الغنائم وأيلولة خمسها لبيت المال ينهى عن الغلول وهو ما يأخذه الغازى بغير حق من الغنائم وكان يقضى بالسلب لقاتل العدو قبل بدء المعركة والسلب هو ما كان على القتيل فى الحرب من لباس وما كان معه من سلاح وما كان تحته من فرش ٠ وكان ينفل من صلب الغنيمة قبل أن تخمس وكان النفل لدليل أو راع ساعد جيش الاسلام ، كما كان يرضخ للنساء اللائى داوين الجرحى وسقين المجاهدين الماء أى يعطيهن شيئا قليلا ، وبعد ذلك يأخذ الخمس لبيت المال ويعطى المحاربين أربعة أخماس الغنيمة فيجعل للفارس سهمين وللراجل سهما واحدا وفى غزوة حنين جعل للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما واحدا وكان يقسم الخمس بين المذكورين فى الآية وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة حنين للناس أنه ليس له من الغنائم الا الخمس وان الخمس مردود عليهم كما دفع عليه الصلاة والسلام صداق بعض قرابته من سهم ذى القربى ٠

وقد سار الخلفاء الراشدون على ما كان يسير عليه رسول الله صلى عليه وسلم الا ألهم وجهوا سهمه وسهم ذى القربى للانفاق على الكراع والسلاح فى سبيل الله ٠

النفقات العامة :

النفقات العامة مصدرها الايرادات العامة غير المخصصة وهى الجزية والخراج وعشور التجارة وتشمل الانفاق على أجور العاملين بالدولة الذين يقومون بأداء وظائفها وتأدية خدماتها العامة والانفاق على الأماكن والدواوين التى يعملون بها كما تشمل الانفاق على المشروعات العامة التى تقيمها الدولة ٠ وقد تعددت النفقات العامة واتسعت باتساع الدولة الاسلامية ، فقد بدأت ضئيلة القدر فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أن مسجده بالمدينة وكان مقر الحكومة الاسلامية الأولى بنى بالجهود الذاتية ، ثم زادت النفقات العامة بعد ذلك فتناولت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنواعا عديدة كمرتب أمير المؤمنين ومرتبات العاملين بالدولة والانفاق على مرفق القضاء والمساهمة فى أعباء الفتوحات الاسلامية وتوسعة المسجد الحرام وانارة المساجد ليلا وحفر الخليج وانشاء مدينتى البصرة والكوفة ، ومما ساعد على التوسع فى الانفاق العام زيادة الموارد العامة بزيادة من يدفعون الجزية ويؤدون الخراج من أهل البلاد المفتوحة ٠

ادارة المالية العامة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدير المالية العامة للدولة الاسلامية الأولى بالقرآن وبخلقه العظيم ، فالقرآن المجيد حدد بعض الموارد العامة وهى الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخطط طريق النفقات العامة حينما أمر بأن لا يتولى السفهاء ادارة الأموال وأن يكون الانفاق قواما خال من الاسراف والتقتير وأن لا يدلى الناس بالأموال للحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس ، ووضع القرآن كذلك الأسس القويمة للعمل والعمالة ومنها عمالة الدولة حينما أمر بصالح الأعمال ونهى عن سيئها وفاسدها ، كما تضمن مبادىء للرقابة العامة ومنها الرقابة على المال العام حينما قضى بأن الناس سيحاسبون على أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، ووضع للمخالفين العقوبات الدنيوية والأخروية ٠ وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم النهج القرآنى فى ادارة المال العام وكانت أخلاقه وسلوكه قدوة يقتدى بها فى هذا الشأن فزهد هو وعائلته عن المال العام ومنع ذوى قرباه من الأخذ من أموال الزكاة كما ذكرنا ولم يعينهم فى المناصب العامة الا الامام على بن أبى طالب لتقواه وكفاءته وحكمته وعلمه وأخلاقه التى تميز بها ، واختار ذوى الكفاءة للعمل ، واعتبر العاملين الذين يؤدون ما اؤتمنوا عليه كاملا غير منقوص من الصديقين ، وطبق الشورى فى الادارة كما أمر الله ونهى عن هدايا الولاه أثناء ولايتهم الى غير ذلك من مقومات الادارة المالية الناجحة المتميزة ٠

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هديه فطبقوا أحكام القرآن وتعاليمه وأعملوا سنن الرسول القولية والفعلية فى الادارة المالية للدولة تنظيما ومتابعة ورقابة وطوروا الادارة المالية بتطور أمور الدولة فأنشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ديـوانى العطاء والخراج وأدخل التقويم الهجرى ودقق فى اختيار الولاة وتابع معهم خراج الولايات وراقبهم واسترد لبيت المال أى زيادة فى ثرواتهم ٠

وأكسب عثمان بن عفان المالية العامة وادارتها المرونة وان كانت هذه المرونة قد تناولها البعض بالنقد بحجة أنها ساهمت مع عوامل أخرى فى قيام الفتنة وقتل الخليفة نفسه ، وحمى على بن أبى طالب ادارة المال العام من ان يوجه لخدمة النزاع الذى قام بين أنصاره وأنصار معاويه بن أبى سفيان للمطالبة بدم عثمان فلم يستخدمه لجذب الأنصـــار ولا لاغراء المعارضين ولا لتثبيت الموالين ٠

نظام العطاء :

أسفرت ادارة المال العام فى عهد الخلفاء الراشدين واتساع رقعة الدولة الاسلامية وغزارة مواردها العـامة عن تحقيق فائض فى الأموال العامة تم توزيعه على المسلمين ابتداء من عهد أبى بكر الصديق بالتساوى ثم طوره عمر بن الخطاب فميز بين المسلمين على أساس منازلهم فى الاسلام واستمر هذا الأساس فى التوزيع فى عهد الخليفتين بعده ، وتميز نظام العطاء فى عهد الخلفاء الراشدين بعدله وشموله ونموه فبدأ محدودا فى عهد الخليفة الأول ثم ارتفعت قيمته بعد ذلك (١) ٠

---

(١) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى كتبنا التالية :
- النظم المالية فى الاسلام ـ طبعة ثالثة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠
- السياسة المالية للرسول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب ـ الهيئة العامة للكتاب ٠
- السياسة المالية لعثمان بن عفان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

الفصل الثانى

مخالفات مالية فى عهد بنى أميه قبل عمر بن عبد العزيز

خلفاء بنى امية قبل عمر بن عبد العزيز :

كان خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز هم :

- معاوية بن أبى سفيان (٤٠ ـ ٦٠) هجرية .
- يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٦٠ ـ ٦٤) هجرية .
- معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤) هجرية .
- مروان بن الحكم (٦٤ ـ ٦٥) هجرية .
- عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦) هجرية .
- الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦) هجرية .
- سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩) هجرية .

وقد هبط فى عهودهم مستوى أداء المالية العامة الاسلامية فلم تعد تتحرك تحركا منضبطا بهدى من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهج الخلفاء الراشدين من بعده ، بل مالت عن الانضباط المالى الاسلامى ووقعت بها بعض التجاوزات والمخالفات .

أسباب وقوع المخالفات المالية :

ومن أسباب وقوع التجاوزات المالية أن الامارة لم تعد فى الحقيقه بالبيعة وانما أصبحت ملكا يتوارثه الأبناء عن الأباء وأن الرعية انقسمت بين مؤيدين لبنى أمية ومناصرين لبنى هاشم بعد الحروب التى قامت بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وأن الأمراء الأمويين اضطهدوا من يشايعون بني هاشم وحرموهم بعض حقوقهم من الأموال

العامة ، كما أن بعض أمراء بنى أمية انغمسوا فى ملاذ الدنيا وترفها ولم يفرقوا بين ماليتهم الخاصة والمالية العامة فنالوا ما يشاءون فبعدوا عن حالة الزهد والتقشف التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما امتدت التجاوزات الى طريقة اختيار الولاة وعمال الدولة ومنهم عمال الخراج فلم يكن معيار اختيارهم الكفاءة وانما قام الاختيار فى بعض الحالات على معايير أخرى منها التشيع للعهد الأموى وصلة القربى بالحكام .

نماذج لمخالفات المالية العامة :

وفيما يلى نماذج من مخالفات وتجاوزات وقعت فى العهد الأموى قبل عمر بن عبد العزيز شاملة عناصر المالية العامة ، فنتناول :

- مخالفات الايرادات العامة .
- مخالفات النفقات العامة .
- مخالفات ادارة المالية العامة وعلى الأخص عمالة الدولة .
- مخالفات عطاء بيت المال .

نماذج من مخالفات الايرادات العامة :

قتل من تزكى :

جاء رجل الى سمرة بن جندب وكان واليا على البصرة بعد زياد فى عهد معاوية وأدى الزكاة لماله ، فجعل يصلى فى المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فاذا رأسه فى المسجد وبدنه فى ناحية أخرى فمر أحدهم فقال « يقول سبحانه وتعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) » (الأعلى / ١٤ ، ١٥) .

ويقول من شهد ذلك : « فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة » (١) .

غلول فى الغنائم وخمسها :

- كتب زياد والى معاوية الى الحكم بن عمرو بعد انتصاره فى غزوة جبل الأشل وحصوله على مغانم كثيرة ، « ان أمير المؤمنين كتب الى أن أصطفى له صفراء وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك »

---

(١) تاريخ الطبرى لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - جزء ٥ ص : ٢٩٢ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

فكتب اليه الحكم « أما بعد فان كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب الى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء والروائع ولا نحركن شيئا ، فإن كتاب الله عز وجل قبـــل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد اتقى الله عز وجل ، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا » •

وقال للناس : « أغدوا على غنائمكم » فغدا النـاس ، وقد عزل الخمس ، فقسم بينهم تلك الغنائم فهدده زياد •

فقال الحكم : اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى ، فمات بخراسان بمرو (٢) •

ــ لمـا أفتتحت الاندلس فى عهد الوليد بن عبد الملك أصاب الناس فيها غنائم فغلوا فيها غلولا كثيرا حملوه فى المراكب وركبوا فيها ، فلمـا وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهم غرق بهم •

فدعوا الله وتقلدوا المصاحف •

فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة وضربت المراكب بعضها بعضـا حتى تكسرت وغرقت بهم (٣) •

اهدار أساسى فى الجزية :

يقضى القرآن المجيد بأن الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب •

وسبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية » •

ومع ذلك كان الحجـــاج بن يوسف الثقفى فى عهـــد عبد الملـــك بن مروان والوليد أول من أبقى الجزية على من أسلم فقد لاحظ أن عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنـق الاسـلام وأن اسـقاط الجزية يؤثر على حصيلتها فآثر بقاء الحصيلة على تطبيق القرآن والحديث (٤) •

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١ ، ٢٥٢ •

(٣) فتوح مصر واخبارها •• لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المسـلم ابن اعين الخزشى المصرى • ــ تقديم وتحقيق محمد صبيح ــ ص ١٤٠ مؤسسة التعـــاون والنصر •

(٤) الاسلام وأهل الذمة ــ د• على حسن الخربوطلي ص ١٣٧ ــ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

ويفسر أبو عبيد الحديث السابق للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول « ان تأويل هذا الحديث أن رجلا لو أسلم فى آخر السنة وقد وجبت عليه الجزية أن اسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه وان كانت قد لزمته قبل ذلك ، لأن المسلم لا يؤدى الجزية ولا تكون دينا عليه كما لا تؤخذ منه فيما يستأنف بعد الاسلام (٥) .

خراج فوق الطاقة :

كتب سليمان بن عبد الملك الى أسامة بن زيد التنوخى متولى خراج مصر متعسفا فى جباية الخراج « احلب الدر حتى ينقطع ، فاذا ما انقطع فاحلب الدم حتى ينصرم » (٦) .

حصيلة محرمة من عشور التجارة :

كانت تؤخذ عشور التجارة على الخمور (٧) مع أنها محرمة وأن الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه .

استيلاء الولاة على حصيلة الايرادات العامة : ـ

شهدت الدولة الأموية نماذج من تجاوز امراء بنى أمية بغير حق للولاة على ما جمعوه من أموال عامة والاكتفاء بعزلهم بعد ما رؤى عدم استمرارهم فى أعمالهم ، واغفال مبدأ محاسبة الولاة وعمال الدولة على ما جمعوه من أموال عامة يشيع بينهم الاستخفاف بقدسية المال العام وينمى ظاهرة الاسراف والاستيلاء عليه ويرجح ايثار المنافع الخاصة على النفع العام .

وفيما يلى نماذج للتغاضى عن محاسبة الولاة على ما جمعوه من أموال فى عهد معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية .

ـ أراد معاوية بن أبى سفيان أن يعزل عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين هجرية فقال له :

« اختر بين أن أتتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وأردك الى عملك وبين أن أسوغك ما أصبت وتعتزل » .

فاختار أن يسوغه ما أصابه من ولايته ويعتزل (٨) .

---

(٥) الأموال لأبى عبيد ـ ص ٥٩ .

(٦) عمر بن عبد العزيز/ سعد عبد السلام ص ٢١ .

(٧) الأموال لأبى عبيد ص ٦٤ .

(٨) الطبرى جزء ٥ مرجع سابق ص ٢١٤ .

ـ فى سنة احدى وأربعين كان زياد بفارس فكتب معاوية الى زياد :

« ان فى يديك مالا من مال الله وقد وليت ولايه فأد ما عندك من المـال » ٠

فكتب اليه زياد :

« انه لم يبق عندى شىء من المال ٠ وقد صرفت ما كان عندى فى وجهه واستودعت بعضه لنازله ان نزلت » ٠

فكتب اليه معاوية :

« أن أقبل الى ننظر فيما وليت وجرى على يديك فان استقام بيننا أمر فهو ذاك والا رجعت الى مأمنك » ٠

فلم يأبه زياد (٩) ٠

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد وجه زيادا الى فارس لحربها وخراجها (١٠) ٠

ـ قدم عبد الرحمن بن زياد حاكم خراسان على يزيد بن معـاوية فقال له يزيد : كم قدمت به معك من المال من خراسان قال : عشرين ألف ألف درهم قال يزيد : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددنـاك على عملك ، وان شئت سوغنـاك وعزلناك وتعطى عبـد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ٠

قال : بل تسوغنى ما قلت ويستعمل عليها غيرى ٠وبعث عبد الرحمن بن زياد الى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم وقال : خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين وخمسمائة ألف من قبلى (١١) ٠

حدث هذا فى عهد بنى أمية بينما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحاسب الولاة على الزيادات التى طرأت على أموالهم الخاصة ويقاسمهم اياها ويوردها لبيت المال ٠

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الانفاق العام على ترف الأمراء

---

(٩) الطبرى ـ جزء ٥ مرجع سابق ص ١٦٨ ٠

(١٠) الطبرى ـ جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ١٣٧ ٠

(١١) الطبرى ـ جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٣١٦ ٠

في عهد بني أمية اختفى زهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده وكان لا يتم الفصل بين الأموال العامة وأموال رؤساء الدولة فتمرغوا في الدنيا وعاشوا عيشة الترف وأنفقوا على ترفهم من بيت مال المسلمين ، وفيما يلي نماذج لذلك :

ـ وقال عبد الله بن مسعده بن حكمة الفزارى من بنى آل بدر :

تنقل معاوية بن أبى سفيان من بعض كور الشام فبسط له على ظهر اجار مشرف (أى السطح) على الطريق فأذن لى ، فقعدت معه ، فمرت القطرات والرحائل والحوارى والخيول فقال معاوية :

« يا ابن مسعده ، رحم الله أبو بكر لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ، وأما عمر ـ أو قال ابن حنتم فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه وأما نحن فتمرغنا فيها » ٠

ثم كأنه ندم فقال : « والله انه لملك أتانا الله اياه » (١٢) ٠

ـ لما حضرت الوفاة معاوية « أوصى بنصف ماله أن يرد الى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقى لأن عمر قاسم عماله » (١٣) ٠

ـ اتفق عمرو بن العاص مع معاوية بن أبى سفيان على قتال على بن أبى طالب على أن تكون مصر طعمة له ما بقى ٠

وقد طمع أن تؤول ولاية مصر من بعده لابنه عبد الله وتكون طعمة ، فكتب بذلك لمعاوية فقال معاوية :

« أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم أنى ان بقيت بعده فقد خلعت عهده » (١٤) ٠

ـ وعن ترف يزيد بن معاوية قيل :

« ان يزيد بن معاوية كان أشد الناس كلفا بالصيد ، وأنه كان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلاجل المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبدا يقوم على رعايته وخدمته » ٠

وقيـــل :

« كان يزيد موفر الرغبـة فى اللهو والقنص والخمر والنســاء والشعر ـ وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر ففى

---

(١٢) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٣٣٤ ٠

(١٣) المرجع السابق ـ ص ٣٢٧ ٠

(١٤) المرجع السابق ـ ص ٣٣٥ ٠

السنة الأولى قتل الحسين بن على عليهما السلام وفى السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام وفى السنة الثالثة غزا الكعبة (١٥) ٠

ـ وعن سليمان بن عبد الملك قيل :

« كانت الخلافة الأموية فى الكلف بالنعمة الدنيوية على أتمهـا فى سليمان بن عبد الملك فقد كان أكلفهم بنعمة العيش كانت : فى طعام أو كساء أو ترف أو سرف أو خيلاء (١٦) ٠

« وكان سليمان يجلس وقد بسطت له البسط والنمارق عليها ، والى جانبه الأموال والكساوى وآنية الذهب والفضة » (١٧) ٠

نفقات عادة على مظهرية الحكم :

كان الخليفة من الراشدين يلبس الثوب من الكرباس (١٨) الغليظ وفى رجليه نعلان من ليف ويمشى فى الأسواق كبعض الرعية دون حراس أو مظهر من مظاهر السلطان ، غير أن الدولة الأموية بعدهم استحدثت تقاليد عديدة ومميزات تميز بها السلطان ، وأنفق من بيت مال المسلمين على تمويل تلك التقاليد والمميزات ٠

وكان معاوية بن أبى سفيان هو أول من رأس تلك التقاليد والمميزات فبنى لنفسه قصرا سماه الخضراء واتخذ فيه السرير للجلوس وهو المكان المرتفع أو ما يعرف فى الوقت الحاضر بكرسى العرش ، ثم وضع حول هذا السرير الستائر ، كما أحاط نفسه بالحجاب وجعل الحراس يمشون بين يديه وأوجد الشرطة لحراسته ٠ واتخذ المقصورة فى المسجد وأصبح يصلى فيها منفردا من الناس ، فاذا سجد قام الحرس رافعين السيوف ٠

وقد ظهرت أيضا أبهة الملك فى عهد عبد الملك بن مروان ، اذ تشبه بملوك الفرس وقياصرة الروم فكان يجلس على عرشه وعلى يمينه الأمراء وعلى يساره رجال الدولة ورجال البلاط ثم يقف أمامه من يريد المثول بين يديه من رسل الملوك والشعراء والكتاب والفقهاء وغيرهم وصار عبد الملك ـ كما وصفه أحد المؤرخين المسلمين وهو البـلاذرى « أول من تجبر من الخلفاء » ٠

---

(١٥) ابن طباطبا ـ الفخرى ص ١١٣ ٠

(١٦) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ـ دار الفكر العربى ـ ص ٢١ نقلا عن معاوية للعقاد ص ٨٣ ٠

(١٧) المرجع السابق ص ٢٢ ٠

(١٨) الكرباس : قماش من القطن الأبيض ٠

وامتدت هذه التقاليد الجديدة الى ولاة بنى أمية وعمالهم فقد عين معاوية مثلا زياد بن أبيه على البصرة ثم أضاف اليه الكوفة حتى صار أميرا على العراق كله ٠ فاتخذ زياد له حرسا خاصا مدربا قوامه أربعة آلاف رجل ، كانوا له العيون والأرصاد ، كما كان منهم الشرطة لحفظ النظام ، وكان نفر من هذا الحرس يسير أمام موكب زياد يفسح له الطريق أشبه بأكاسرة الفرس (١٩) ٠

نفقات عامة لاسكات المعارضة :

بعد عصر الخلفاء الراشدين اتخذت حركة الانفاق العام مسارات جديدة بهدف تثبيت سلطان الحكام وكف المعارضة عنهم وأيلولة الحكم الى بنيهم من بعدهم ، ويبين ذلك من النماذج التالية :

ـ لما قتل على بى أبى طالب رضى الله عنه كان على رأس جيش العراق قيس بن سعد ، فاستخلف أهل العراق الحسن بن على عليه السلام على الخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد على مقدمة جيشه فى اثنى عشر ألفا ، وأقبل معاوية فى أهل الشام حتى نزل مسكن ، فبينما الحسن فى المدائن اذ نادى مناد فى العسكر : ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطا كان تحته ، فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه قام فى أهل العراق فقال : يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى ٠

وبعث الحسن الى معاوية يطلب الصلح فأرسل له رسولان فصالحاه على أن يأخذ من بيت الكوفة خمسة آلاف ألف (٢٠) ٠

وفى رواية أخرى « صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما فى بيت المال وخراج دار بجرد على أن لا يشتم على وهو يسمع ٠ فأخذ ما فى بيت ماله بالكوفة وكان فيه خمسة آلاف ألف » ٠

وتذكر بعض الروايات أن أهل البصرة حالوا بين الحسن بن على وخراج دار بجرد حين رحيله من الكوفة الى المدينة (٢١) ٠

---

(١٩) تاريخ العالم الاسلامى ـ د٠ ابراهيم أحمد العدوى ـ مطبعة جامعة القاهرة ص ١٤١ ـ ١٤٣ ٠

(٢٠) الطبرى ـ جزء ٥ ص ١٥٩ مرجع سابق ٠

(٢١) المرجع السابق ص ١٦٥ ٠

وان كان معاويا قد سمح بالمال العام لتثبيت ملكه واسكات المعارضة الا أن الحسن بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو من ذى القربى وله نصيب فى المال العام استنادا لاية الخمس السابق الاشارة اليها ، ولم يكن المال الذى أخذه له وحده ولكن كان أيضا لذى القربى ممن يتبعونه .

ـ وشبيه بأموال الحسن بن على عليه السلام ما أخذه عبد الله بن عباس وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان واليا على الكوفة فى عهد على بن أبى طالب وكان على قضائها من قبل على بن أبى طالب أبو الأسود الدؤلى ، فكتب اليه :

« أما بعد ، فان الله جل علاه جعلك واليا مؤتمنا وداعيا مستوليا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتظلف (وتمنع) نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشى فى أحكامهم ، وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعنى كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك واكتب الى برأيك فيما أحببت أنته اليك والسلام » .

فكتب اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« أما بعد ، فمثلك نصح الامام والأمة ، وأدى الأمانة ودل على الحق ، وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الى فيه من أمره ولم أعلمه أنك كتبت ، فلا تدع اعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام » .

وكتب على الى ابن عباس فى ذلك فكتب اليه ابن عباس :

« أما بعد ، فان الذى بلغك باطل وانى لما تحت يدى ضابط قائم له ولة حافظ ، فلا تصدق الظنون ، والسلام » .

فكتب اليه على :

« أما بعد ، فأعلمنى ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت ، وفيم وضعت ؟ »

فكتب اليه ابن عباس يستقيل من العمل :

« أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أنى رزأته (٢٢) من مال أهل البلد ، فابعث الى عملك من أحببت فانى ظاعن عنه والسلام » (٢٣) .

---

(٢٢) رزأت المال : اصبته .

(٢٣) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلم عبد الله بن عباس بالذى يريد الحسن أن يأخذه لنفسه كتب الى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها فشرط ذلك له معاوية (٢٤) .

ومما سبق يبين أن ابن عباس استنكر ما بلغ على بن أبى طالب من أخذه للأموال العامة وذكر أنه حفيظ على الأموال العامة وقائم عليها وضابط لها وأن ما بلغه هو من قبيل الظنون ، فلما راجعه على بن أبى طالب طلب منه أن يولى الكوفة واليا آخر وزهد فى الامارة ، فلما قتل على ورأى أن معارضة معاوية غير مجدية ، طلب الأمان لنفسه ولما معه من أموال ، وهو صاحب نصيب فى الأموال العامة باعتباره من ذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه ، خصوصا وأن على بن أبى طالب رضى الله عنه حينما ولى أمر المسلمين طلب منه ذوى قربى الرسول نصيبهم فى الخمس تطبيقا للآية فرفض اقتداءا بما فعله الخلفاء من قبله .

فعن محمد بن اسحق قال : سألت أبا جعفر محمد بن على فقلت : على بن أبى طالب حيث ولى من أمر المسلمين ما ولى كيف صنع فى سهم ذوى القربى ؟

قال أبو جعفر : سلك به سبيل أبى بكر وعمر .

قلت : وكيف أنتم تقولون ما تقولون ؟

فقال : ما كان أهله يصدرون الا عن رأيه .

قلت : فما منعه ؟

قال : كره . والله . أن يدعى عليه خلاف أبى بكر وعمر وقال على « ما قدمت هنا لأحل عقدة شدها عمر » .

وعن ابن شيرين عن عبيدة عن على قال :

« أقضوا كما كنتم تقضون ، فانى أكره الاختلاف ، حتى يكون للناس جماعة أو أموت على ما مات عليه أصحابى » (٢٥) .

ـ ومن أمثلة ذلك أيضا ما وقع بين معـــاوية بن أبى سفيان وبين قيس بن سعد فقد كان معه اربعون ألفا من أتباع على بن أبى طالب بعد أن تركهم الحسن ، فلما فرغ معاوية من الحسن أرسل الى قيس بن سعد يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل وقد بايعنى الذى أعطيته طاعتك ؟ فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه فى أسفله فقال معاوية : أكتب فى هذا السجل ما شئت فهو لك .

---

(٢٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢٥) الأموال لأبى عبيد ص ٢١٦ .

فلما بعث اليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل معاوية فى سجله ذلك مالا وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه فى طاعته (٢٦) ٠

ـ ولم تكن الأموال العامة تعطى للمعارضين فقط بل كانت تعطى لأقاربهم أيضا فقد طلب هبيرة السكونى من معاوية أن يعفو عن ابن عمه حجر بن عدى الذى كان يناوىء حكم معاوية ولكن معاوية قتله ، وأرسل معاوية الى ابن عمه يطلبه ليسترضيه ولكنه لم يأت معاوية ، فلما كان الليل بعث معاوية اليه بمائة ألف درهم وقال له :

« ان أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك فى ابن عمك الا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حربا أخرى ، وان حجر بن عدى لو قد بقى خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص اليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر » ٠

فقبلها مالك بن هبيرة وطابت نفسه وأقبل الى معاوية من غده فى جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه (٢٧) ٠

نفقات عامة لتاليف القلوب للسلطة وليس للاسلام :

ـ وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامه والجون بن قتاده القشمى والحتات بن يزيد أبو منازل الى معاوية بن أبى سفيان فأعطى كل واحد منهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفا ، فلما كانوا فى الطريق سأل بعضهم بعضا فأخبروا بجوائزهم فكان الحتات أخذ سبعين ألفا فرجع الى معاوية فقال له معاوية : ما ردك يا أبا منازل قال الحتات : فضحتنى فى بنى تميم ، أما حسبى بصحيح ! أو لست ذا سن ؟ أو لست مطاعا فى عشيرتى ؟

فقال معاوية : بلى ٠

فقال الحتات : فما بالك خسست بى دون القوم ؟

فقال : انى اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك فى عثمان بن عفان ـ وكان عثمانيا ٠

فقال الحتات : وأنا فاشتر منى دينى ٠

---

(٢٦) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ١٦٤ ٠

(٢٧) المرجع السابق ـ ص ٢٧٨ ٠

فأمر له معاوية بتمام جائزة القوم (٢٨) ·

من هذا يبين أن نوعا من الانفاق العام وجه نحو تأليف القلوب لحكم معاوية وليس هذا بتأليف القلوب الذى طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يمنح الأموال لحديثى العهد بالاسلام لتقوية ايمانهم أو لرؤساء العشائر لرد أذاهم عن الاسلام والمسلمين ، وشتان بين التأليفين ، فتأليف الرسول صلى الله عليه وسلم كان للاسلام وتأليف معاوية كان لاستتباب ملكه وتأييد حكمه · والدليل على ذلك ما كان يوحى به الى عماله عند تعيينهم بالعمل على تمكين سلطانه وشتم على بن أبى طالب وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، فقد حدث أن ولى معاوية بن أبى سفيان المغيرة بن شعبة الكوفة ، فكان مما أوصاه به ما يلى :

« وقد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ويصلح به رعيتى ، ولست تاركا ايصاءك بخصـلة : لا تتحم (تتورع) عن شـتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب على والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم ، وباطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والادناء لهم والاستماع منهم » (٢٩) ·

وتنفيذا لوصية معاوية كان المغيرة يخطب ويقول :

« اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فانه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوما ، اللهم فارحم أنصاره وأولياءه ومحبيه والطالبين بدمه ، ويدعو على قتلته (٣٠) ·

انفاق بعض المال العام على قتال المسلمين :

فجر النزاع بين على ومعاوية وأيلولة الحكم لمعاوية خلافات فى الرأى بين الدولة وبعض طوائف الأمة ، وأدت تلك الخـلافات الى منـازعات استخدمت فيها الدولة الأموية جند الاسلام والسلاح والعتاد لفض تلك المنازعات وكان تمويل ذلك من بيت مال المسلمين ، وبذلك استخدم المال العام لقتال وقتل بعض المسلمين بدلا من أن يوجه لأداء خدمات عامة لهم ومنها استتباب أمنهم الداخلى وأمانهم الخارجى ·

---

(٢٨) الطبرى — جزء ٥ — مرجع سابق ص ٢٤٢ ·
(٢٩) المرجع السابق جزء ٥ — ص ٢٥٤ ·
(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٤ ·

ومن أمثلة ذلك القتال الذى نشب فى عهد معاوية بن أبى سفيان بينه وبين الخوارج والقتال الذى وقع فى عهد يزيد بن معاوية بن أبى سفيان مع الحسين بن على وأسفر عن قتله وبعض أهل بيته وعدد ممن شايعة من القبائل ، والقتال فى عهد عبد الملك بن مروان الذى أدى لقتل عبد الله بن الزبير وبعض أنصاره (٣١) .

اسراف فى النفقات العامة لحاشية الولاة وللشعراء :

ـ استلحق معاوية يزيد ابن سمية بأبيه وولاه البصرة ، فكتب خمسمائة من أهل البصرة فى صحابته ورزقهم ما بين الثلاثمائة الى الخمسمائة ونظير ذلك نظم أحدهم فيه قصيدة أشاد به وبحكمه ، منها هذه الأبيات :

ألا من مبلغ عنى زيادا	فنعم أخو الخليفة والأمير
فأنت امام معدلة وقصد	وحزم حين تحضرك الأمور
أخوك خليفة الله بن حرب	وأنت وزيره نعم الوزير
بأمر الله منصور معاف	اذا جار الرعية لا تجور

ويعبر الشاعر عن العطاء وقسمته فيقول :

يدر على يديك لما أرادوا	من الدنيا لهم حلب غزير
وتقسم بالسواء فلا غنى	لضيم يشتكيك ولا فقير (٣٢)

ـ مدح الشاعر جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة منها هذا البيت :

ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح

وبعد أن فرغ من انشاده أمر له بمائة ناقة كلها سود الحدقة ! وكان بين يديه صحاف من فضة فقال له جرير : يا أمير المؤمنين تأذن لى بواحدة منهن .

فقال : خذها (٣٣) .

---

(٣١) المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(٣٢) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(٣٣) عبد الملك بن مروان (أعلام العرب ١٠) د. محمد ضياء الدين الريس ص ٣١٥ عن كتاب عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام ص ١٣٣ .

ـ ويقول الأخطل فى قصيدة قضى سنة ينظمها ليمدح عبد الملك :

الخائض الغمر والميمون طائره   خليفة الله يستسقى به المطر
وما الفرات اذ جاشت حواليه   فى حافتيه وفى أوساطة العشر
يوما بأجود منه حين تسأله   ولا بأجهر منه حين يجتهر

ثم يمدح بنى أمية فيقول :

حشد على الحق عيافوا الخنا أنف   اذا ألمت بهم مكروهة صبروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا(٣٤)

فلما فرغ الأخطل من انشاده طرب عبد الملك وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم من بيت المال ومنحها له وأنعم عليه بخلع ثمينة ٠

وهكذا لقاء المال غالى الشعراء فى المدح ، وفى سبيل ذلك ألبسوا الباطل ثوب الحق فأساءوا الى الفضيلة والمثل والقيم ، وصدق قول الله جل وعلا فى بعض الشعراء « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (الشعراء / ٢٢٤ ـ ٢٢٦) ٠

نماذج المخالفات الادارة المالية وعمالة الدولة :

من عوامل نجاح السياسة المالية لأى دولة أن تكون ادارتها رشيدة ، ولذلك نهى القرآن المجيد عن أن يتولى ادارة الأموال السفهاء وهم من لا يحسنون ادارتها ، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الادارة المالية اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاية المطلقة ٠

وفى العهد الأموى وقبل عمر بن عبد العزيز كان من أسباب هبوط مستوى الأداء المالى العام ، اهتزاز سياسة عمالة الدولة ، فكان الهدف السياسى الأول كما ذكرنا هو تثبيت دعائم الحكم الأموى ، وفى سبيل ذلك كان لا يختار لبعض وظائف الدولة الأصلح والأكفأ وانما أقربهم مودة وأشدهم حماسا لتأييد السلطة والسلطان ، فتولى الخراج عمال غير أكفاء أساءوا الى بيت المال والممولين وحاد بعضهم عن الحق فى التنفيذ استجابة لرغبات الساسة وتعبيرا عن الولاء لهم ٠

وفيما يلى نماذج من المخالفات فى تعيينات عمالة الدولة :

---

(٣٤) المصدر السابق ص ١٣٤ ج ٠

الاستجابة لطالبى الولاية :

قدم عبد الرحمن بن زياد وافدا على معاوية ٠

فقال : يا أمير المؤمنين أما لنا حق ٠

قال : بـلى ٠

قال : فماذا توليني ٠

قال : بالكوفة النعمان رشيد وهو رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان وعباد بن زياد على سجستان ، ولست أرى عملا يشبهك الا أن أشركك فى عمل أخيك عبيد الله ٠

قال : أشركنى فان عمله واسع يحتمل الشركة ٠

فولاه معاوية خراسان (٣٥) ٠

وبهذا استجاب معاوية لطالبى الولاية ، وقد سبق أن سأل الصحابى أبوذر الغفارى النبى صلى الله عليه وسلم الامارة ٠

فقال : أنت ضعيف وهى أمانة وهى يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها (٣٦) ٠

مناورات فى تعيين عمال الخراج :

ـ استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فأتاه المغيرة بن شعبة وقال لمعاوية : « استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرا على مصر فتكون أنت بين لحيى الأسد » فعزل معاوية عبد الله بن عمرو واستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة ٠

فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الكوفة ؟

فقال معاوية : نعم ٠

فقال عمرو : أجعلته على الخراج ٠

فقال معاوية : نعم ٠

---

(٣٥) الطبرى ـ جزء ٥ ـ مرجع سابق ٣١٥ ٠

(٣٦) الخراج للقاضي أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم ـ المطبعة السلفية ٠

قال عمرو : تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال ، فيذهب فلا يستطيع أن تأخذ منه شيئا ، استعمل على الخراج من يخافك ويهـابك ويتقيك فعزل معاوية المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة .

فلقى المغيرة عمرا فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به فى عبد الله ؟

قال المغيرة : نعم .

قال عمرو : هذه بتلك (٣٧) .

فمن هذا يبين أن تعيين عمال الخراج كان يخضع أحيانا للدس والكيد والمناورة .

تعيين لتحقيق المصلحة الشخصية :

ـ أراد معاوية توجيه عتبة بن أبى سفيان على البصرة ، فكلمه ابن عامر وقال : ان لى بهـا أموالا وودائع فان لم توجهنى عليهـا ذهبت فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة احدى وأربعين هجريا (٣٨) .

وهذا مثال آخر على ان اختيار الوالى كان أحيانا لتحقيق مصلحته الشخصية .

ولاية للقرابة :

فى سنة خمس وخمسين هجرية شكا أهل البصرة الى معاوية واليها عبد الله بن عمرو بن غيلان فعزله معاوية .

وقال لهم : اختاروا من تحبون أن أولى بلدكم .

قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين .

فقال : هل لكم من ابن عامر فهو من عرفتم فى شرفه وعفافه وطهارته .

قالوا : أمير المؤمنين أعلم .

فجعل معاوية يردد ذلك عليهم ليسبرهم (يختبرهم ويمتحنهم) .

ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد (٣٩) .

---

(٣٧) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ١٦٦ .
(٣٨) المرجع السابق ص ١٧١ .
(٣٩) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٣٠٠ .

ولاية للمجاملة :

سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يستعمله على خراسان وكان يزيد بن معاوية حاضرا ٠

فقال معاوية : ان بها عبيد الله بن زياد ٠

فقال : أما لقد اصطنعك أبى ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا يجارى اليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلائه وقدمت على هذا (اشارة الى ابن معاوية يزيد) وبايعت له والله لأنا خير منه أبا وأما ونفسا ٠

فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به وقد كان من شكرى لذلك أنى طالبت بذلك حتى تكشفت الأمور ولست بلائم نفس فى التشمير ٠ وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خير منى وأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فضل أمك على أمه فما ينكر ، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فما أحب أن الغوطة (٤٠) دحست (٤١) ليزيد رجالا مثلك ٠

فقال يزيد لأبية : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى أمره وقد عتب عليك فأعتبه (٤٢) ٠

فولاه حرب خراسان وولى اسحق بن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية (٤٣) ٠

اثارة الحقد بين العاملين :

لما كان سعيد بن العاص على المدينة كتب اليه معاوية أن اهدم دار مروان فلم يهدمها فأعاد عليه الكتاب بهدمها فلم يفعل فعزله ، وولى مروان فكتب اليه أن اهدم دار سعيد فهم بذلك ، فأراه سعيد كتاب معاوية يهدم داره وأنه لم يفعل فلم يهدم دار سعيد (٤٤) ٠

تعليمات بمخالفات فى الادارة المالية :

ـ كتب معاوية الى وردان مولى عمرو بن العاص أمير مصر أن زد كل امرىء من القبط قيراطا ، فرد عليه وردان قائلا « كيف أزيد عليهم وفى عهدهم ألا يزاد عليهم » ٠

---

(٤٠) الغوطة : مكان واسع بدمشق وهى احدى متنزهات الدنيا الأربع ٠

(٤١) دحست : أى ملئت ٠

(٤٢) أعتبه : أى أرضاه ٠

(٤٣) الطبرى جزء ٥ مرجع سابق ص ٢٩٤ ٠

(٤٤) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٢٩٤ ٠

ذلك أن معاهدات الصلح بين الدولة الاسلامية والذميين وما بها من نصوص ومنها النصوص المتعلقة بالمال العام واجبة التنفيذ بين الطرفين ٠

ـ يصور أحد الكتاب ادارة المال العام فى عهد معاوية فيقول :

« وان الذى يعلن لعن خصمه على بناء المساجد لا يكف عن الحمد لنفسه فى كل مكان وبكل لسان ! ولو لم يرد من أخبار تلك الفترة ان معاوية كان يغدق أموال المسلمين على الأعوان ومن يرجى منهم العون ٠ لكان لعن خصمه على المنابر كافيا للابانة عما صنعه لكسب الثناء عليه ، واسكات القادحين فيه ٠٠٠ ولكن أخبار الأموال المبذولة لتغيير الحقائق فى هذه الفترة يفيض بها كتب المادحين ومن لا يمدحون ولا يقدحون ٠ ولم يعلم أحد مبلغها من الوفر والجسامة ، ولكنها معلومة التقدير ، وان لم تعلم بالاحصاء وأرقام الحساب ، لأنها استنفذت خزانة الدولة وجرت الى مضاعفة المكوس والضرائب ومخالفة العهود لأهل الذمة وحسبان الزكاة من حصة الخزانة التى يستولى عليها ولاة الأمور ٠٠٠ (٤٥) ٠

ـ قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بها مالا كثيرا وكان بصحبته عمر بن عبد العزيز فقال لعمر بن عبد العزيز : كيف رأيت ما فعلت يا أبا حفص ؟

قال عمر : رأيتك زدت أهل الغـنى غنى وتركت أهـل الفقر بفقرهم (٤٦) ٠

مخالفات فى عطاء بيت المال :

كان العطاء فى عهد الخلفاء الراشدين مرتبطا بعدالة الاسلام فاتسم بالحق والعدل والشمول ، غير أنه ابتداء من عهد معاوية اتجه العطـاء اتجاها سياسيا فارتبط منحة فى بعض الحالات بتأييد شخص الخليفة وتدعيم سلطانه وفيما يلى نماذج لذلك ٠

ـ قال زياد فى عهد معاوية بن أبى سفيان على المنبر مهددا أهل البصرة بقطع العطاء عنهم اذا لم يكفوه بعض الخارجين على الولاء لمعاوية وله :

« يا أهل البصرة والله لتـكفنى هؤلاء أو لأبدأن بكم ، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهما » ٠

---

(٤٥) معاوية بن أبى سفيان فى الميزان ـ طبعة دار الهلال بالقاهرة ص ٢٠ ، ٢١ ، عباس العقاد ٠

(٤٦) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ابن عبد الحكم ـ تعليق أحمد عبيد ـ الطبعة الثانية مكتبة وهبه بالقاهرة ص ١١٢ ٠

فثار الناس فقتلوهم (٤٧) .

ـ كان مما ورد فى خطبة عبيد الله بن زياد فى عهد يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان حينما أقبل الى الكوفة ليواجهه الحسين بن على أن طلب من الناس أن يكتبوا له عن أهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق وأيما شخص وجد فى عرافته أحد منهم صلب على باب داره وألغى عنه العطاء (٤٨) .

ـ ينوه الفرزدق عن مخالفات العطاء وقد كان معارضا لزياد فى عهد معاوية وكان اذا نزل زياد البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، فتوسط الناس لدى زياد فقال :

« لو أتانى لأمنته وأعطيته » .

فبلغ ذلك الفرزدق فرفض فى قصيدة طويلة منها هذه الأبيات عن مخالفات العطاء :

دعانى زياد للعطاء ولم أكن	لآتية ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم	رجال كثير قديرى بهم فقرا
قعود لدى الأبواب طلاب حاجة	غوان من الحاجات أو حاجة بكرا

وفر الفرزدق الى المدينة حتى هلك زياد (٤٩) .

مظالم فى المال الخاص :

واذا كان أمراء بنى أمية قد ارتكبوا المخالفات السابقة بالنسبة للمال العام ، فقد وقعت بعض الظلامات على المال الخاص ، من ذلك ما رواه الطبرى فقال .

ـ كان محمد بن يوسف عامل الوليد على اليمن ، فلما حج حمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين زوجة الوليد : اجعل لى هدية محمد بن يوسف فأمر بصرفها اليها ، فلما أرسلت الى محمد بن يوسف طالبة الهدية فأبى وقال ينظر فيها أمير المؤمنين فيرى رأيه .

فقالت للوليد : يا أمير المؤمنين انك أمرت بهدايا محمد أن تصرف الى ولا حاجة لى بها .

---

(٤٧) الطبرى جزء ٥ ـ مرجع سابق ص ٢٣٨ .
(٤٨) المرجع السابق ص ٣٥٩ .
(٤٩) الطبرى جزء ٥ مرجع سابق ص ٢٤٨ .

قال : ولم ·

قالت : بلغنى انه غصبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم

فلما حمل محمد الهدايا الى الوليد قال : بلغنى أنك أصبتها غضبا ·

قال : معاذ الله ·

فأمر الوليد فاستحلف محمد بن يوسف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غضب شيئا منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيب فحلف فقبلها الوليد ودفعها الى أم البنين ·

فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه (٥٠) ·

ـ حدود الله واجبه التطبيق وفى ذلك يقول الله جل علاه :

« تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيهـا وله عـذاب مهـين » (النساء / ١٣ ، ١٤) ·

ومع ذلك تعدى سليمان بن عبد الملك الحدود عند البحث عن حق رجل ، فقد كان عمر بن عبد العزيز عنده ذات يوم وعنده ابن سليمان وهو يومئذ ولى عهده ، وجاء رجل يطلب ميراثا من بعض نساء الخليفة ·

فقال سليمان : ما أخال النساء يرثن فى العقار شيئا ·

فقال عمر : سبحان الله وأين كتاب الله ·

فنادى سليمان بغلام وقال له · اذهب فأتنى بسجل عبد الملك بن مروان الذى كتب فيه ذلك ·

فقال عمر : لكأنك أرسلت الى المصحف ·

فغضب أيوب بن سليمان ·

وقال لعمر : والله ليوشكن الرجـل أن يتكلم بمثل هذا عند أمين المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه ·

فقال عمر : اذا أفضى الأمـر اليك والى أمثـالك كان ما يدخل على الاسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول (٥١) ·

---

(٥٠) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٤٩٨ ·

(٥١) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لابن عبد الحكم ـ تعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ٢٧ ·

مقارنة السياسة المالية للخلفاء الراشدين والأمويين :

في ضـوء ما سبق يمكن المقارنة بين أوضاع السـياسة المالية في عهد الخلفاء الراشـدين رضى الله عنهم وعهـد الأمويين قبـل عمر بن عبد العزيز على النحو التالى :

– اتفق العهدان بصفة عامة على تطبيق الايرادات العامة الاسلامية وهى الزكاة وخمس الغنائم والخراج والجزية وعشور التجارة ، وان كان سيتضح فيما بعد أن حكام بنى أمية فرضوا نوعا من الرسوم لم تكن فى عهد الخلفاء الراشدين .

– تم تطبيق هذه الايرادات العامة فى عهد الخلفاء الراشدين بالتزام أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الكريم ، بينما حدثت فى عهد بنى أمية تجاوزات ومخالفات فى التطبيق .

– حاد الانفاق العام فى عهد بنى أمية عن الترشيد الكامل فى عهد الخلفاء الراشدين فاغترف حكام بنى أمية من المال بغير حساب وكان للبعض حاشية نالها نصيب من الأموال العامة وترك لبعض الولاة بعض ما حصلوه من المال العام ، كما أنفق من بيت المال لتأييد الحكم وتثبيت السلطة واغراء المعارضة لتسكت .

– كان تعيين الولاة والعمال فى عهد الخلفـاء يتم بصـفة عامة على أساس الأصلح والأكفأ ، بينما كان يتم فى عهد بنى أمية فى بعض الحالات على أساس الثقة ، وفى بعض الحالات الأخرى على أساس القرابة والمجاملة مما عكس أثره على كفاءة السياسة المالية للدولة .

– التزمت إدارة المالية العامة فى عهد الخلفاء الراشدين بالتقوى فشح الحق على التنفيذ وعمت العدالة المالية فى تحديد الأوعية الخاضعـة للفرائض المالية ونفذت النصوص المالية التى تضمنتها عقود الصلح مع أهل الذمة وعومل أهل الذمة بالرفق والرحمة تنفيذا لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما فى عهد بنى أمية طرأت تجاوزات ومخالفات فى ادارة المالية العامة حادت بها عن خط التقوى ومبادئها .

– كان للكل حظه من عطاء بيت المال فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن فى عهد بنى أمية ، اتخذ العطاء سلاحا لتحقيق سياسة الدولة فأغدق على المؤيدين وحرم منه المعارضون .

– تضمنت آثار المخالفات المالية فى عهد بنى أمية وقوع مظالم على الناس ولم يكن ذلك يحدث فى عهد الخلفاء الراشدين .

الأسس العامة المطلوبة لاصلاح مسار السياسة المالية للدولة :

ينبنى على ما سبق أن اصلاح السياسة المالية للدولة ينبغى أن يقوم على أسس تؤدى الى ازالة المخالفات التى لحقت بها ، حتى تعود لما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين وتكون هذه الأسس كالآتى : ـ

- ازالة ما أعترى الايرادات العامة من مخالفات ٠
- ترشيد الانفاق العام ٠
- التزام الكفاءة والصلاحية فى تعيين ولاة الدولة وعمالها ٠
- التزام اطار التقوى فى ادارة السياسة المالية ٠
- حصول كل صاحب حق على حقه من عطاء بيت المال ٠
- رد المظالم التى وقعت فى عهد بنى أمية ٠

نبوءة للرسول بالاصلاح تتحقق :

امتدت المخالفات فى السياسة المالية حتى عهد الخليفة الأموى سليمان ابن عبد الملك وقد توفى يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين هجرية (٥٢) ٠

وبذلك آن أوان نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاصلاح ، طبقا لحديثه الذى رواه أحمد بن حنبل وهـــو « ان الله عز وجـل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها » (٥٣) ٠

وسنرى فى الأبواب التالية أن الله عز وجل بعث للأمة الاسلامية عمر بن عبد العزيز ليقيم لها أمر دينها فى المالية العامة الاسلامية ٠

---

(٥٢) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٤٦ ٠

(٥٣) الامام الشافعى ـ للاستاذ عبد الحليم الجنـــدى ص ٣٨٠ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

الباب الثاني

خلافة عمر بن عبد العزيز وسياسته المالية

الفصل الأول

خلافة عمر بن عبد العزيز

نبذة عن خلافة عمر بن عبد العزيز :

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات ليلة رؤيا نهض من نومه على أثرها يعجب ويقول :

« من هذا الذى من ولد عمر يسمى عمر يسير بسيرة عمر » ·

وكان يقول أيضا :

« ان من نسلى رجلا بوجهه شج يلى الخلافة ويملأ الدنيا عدلا » ·

ونقل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن أبيه تلك النبوءة ، فكان يقول :

« ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا » ·

وبدأت أولى حلقات نبوءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تتحقق فى حياته فقد خرج ذات ليلة كعادته يتفقد أحوال الرعية فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فترامى الى أذنيه حديثا جرى بين أم وأبنتها وتسرب من أحد المنازل ، وكان كالآتى : ــ

الأم : ألا تمذقين (أى تخلطين) اللبن بالماء ·

البنت : كيف أمذق اللبن يا أماه وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟

الأم : قد مذق الناس فامذقى ، فما يدرى أمير المؤمنين وهو لا يرانا ·

البنت : ان كان لا يعلم ولا يرانا فالله يعلم وهو يرانا ، ما كنت أفعله وقد نهي عنه ·

تملك عمر بن الخطاب الاعجاب بصلاح الفتاة وخشيتها الله جل وعلا فلما أصبح الصباح تحرى عنها فاذا هي من بني هلال ·

فنادى ابنه عاصم وقال له : اذهب يا بني فتزوجها فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب ·

أطاع عاصم أباه وتزوج الفتاة فولدت له ليلى المعروفة باسم « أم عاصم » وتزوجها فيما بعد أمير من أمراء العرب وهو عبد العزيز ابن مروان بن الحكم فأنجبت ولدا أسمته باسم جدها عمر فكان عمر ابن عبد العزيز بن مروان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ·

وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ·

وكان مولده في سنة احدى وستين هجرية وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي ، وفي طفولته رمحته دابة في وجهه وهو بدمشق فأتت به أمه وضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه وهي تبكي ·

ودخل عليها أبوه وهي على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه فقد ترك رمح الدابة شجا في وجهه فقال لها : اهدئي أم عاصم ، فطوباك اذا كان عمر أشج بني أمية فسيلي خلافة الاسلام والمسلمين ·

وبدأت ارهاصات خلافة الطفل تتوالى ·

فلما شب ، وبينما كان يتلقى العلم على يدي أحد شيوخه سأله عن سبب الشج في وجهه فشرح له قصة الدابة التي رمحته ·

فقال الشيخ : أنت اذن اشج بني مروان ؟ ستلي يا بني الخلافة يوما فتملأ الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما ·

وحدث الخزاعي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في روضة خضراء فقال له : انك ستلي أمر أمتي فزع (١) عن الدم فان اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز واسمك عند الله جابر (٢) .

ويروى أبو بكر بن أبي الدنيا رواية أخرى عن عمر بن عبد العزيز : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

---

(١) فزع أي فكف ·

(٢) عمر بن عبد العزيز لأبي كثير القرشي ـ تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ـ دار الطباعة والنشر ص ٥٧ ·

يقول : أدن يا عمر

فدنوت حتى خشيت أن أصيبه

فقال : اذا وليت فاعمل نحوا من عمل هذين ٠

فاذا كهلان قد اكتنفاه

فقلت : ومن هذان

فقال : هذا أبو بكر وهذا عمر (٣) ٠

خلافة عمر بن عبد العزيز : ـ

قص وزير سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة (٤) وكان من علماء التابعين وفضلائهم قصة خلافة عمر بن عبد العزيز فقال :

لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خز ، ونظر فى المرآة ٠

فقال : أنا والله الملك الشاب

فخرج الى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك

فلما ثقل (٥) عهد فى كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ ٠

فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! انه مما يحفظ الخليفة فى قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح ٠

فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه

فمكث يوما أو يومين فدعانى

فقال : ما ترى فى داوود بن سليمان

فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدرى أحى هو أم ميت

فقال لى : فمن ترى

قلت : رأيك يا أمير المؤمنين

وكنت أريد أنظر من يذكر

---

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ ٠

(٤) هو أبو المقدام ـ أو أبو نصر ـ رجاء بن حيوة بن جندل الكندى الشامى الفلسطينى التابعى الامام ، روى عن كثير من الصحابة وخلائق من التابعين وروى عنه جماعات من التابعين وكان ثقة عالما فاضلا (عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى ـ تقديم وتعليق أحمد الشرباصى هامش ص ٥٩) ٠

(٥) ثقل : أى اشتد مرضه ٠

قال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز

فقلت : أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما

فقال : هو والله على ذلك ٠

ثم قال : والله لئن وليتـــه ولم أول أحدا سواه لتكونن فتنه ولا يتركونه أبدا يلى عليهم الا أن يجعل أحدهم بعده ، فيزيد ابن عبد الملك أجعله بعده فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به ٠ (٦)

قلت : رأيك

فكتب سليمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، أنى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم » ٠

وختم الكتاب ٠

وأرسل سليمان فى طلب صاحب الشرطة فلما حضر

قال : مر أهل بيتى فليجتمعوا

فأرسل صاحب الشرطة اليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا

ثم قال سليمان لوزيره رجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابى هـــذا اليهم فأخبرهـــم أن هذا كتابى وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ، ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين ٠

قال : نعم

فدخلوا

فقال لهم سليمان : فى هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم وهم ينظرون اليه فى يد الوزير ـ عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت فى هذا الكتاب ٠

فبايعوه رجلا رجلا

---

(٦) تذكر بعض الروايات أن سليمان بن عبد الملك قال إيضا مشيراً الى استخلافه لعمر بن عبد العزيز « لا عقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب » ٠

انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، تعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ٢٩ ٠

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون قد أسند الى شيئا من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحرمتى ومودتى الا أعلمتنى ان كان حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتى حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ٠

قال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفا ٠

فذهب عمر غضبان

قال رجاء : لقيني هشام به عبد الملك ـ وكان اخو الخليفة سليمان وكان يتطلع الى المنصب ٠

فقال : يا رجاء ان لى بك حرمة ومودة قديمة ، وعندى شكر ، فاعلمنى هذا الأمر ، فان كان الى علمت ، وان كان الى غيرى تكلمت ، فليس مثلى قصر به ، فاعلمنى فلك الله على ألا ذكر من ذلك شيئا أبدا ٠

فأبى رجاء وقال : والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر الى ٠

فانصرف هشام وهو قد يئس

ودخل رجاء على سليمان فاذا هو يعانى سكرات الموت ٠

وقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

ومات فسجاه رجاء بقطيفة خضراء

وأرسلت زوجة سليمان الى رجاء تقول : كيف أصبح ؟

فأجاب رجاء : نائم وقد تغطى ٠

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق وأوصيته ألا يبرح حتى آتيه ، فلا يدخل على الخليفة أحد ، فخرجت وأرسلت الى صاحب الشرطة فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا فى مسجد دانق ٠

فقلت : بايعوا

فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ٠

قلت : هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمى فى هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلا رجلا ٠

فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أنى أحكمت الأمر

قلت : قوموا الى صاحبكم فقد مات ٠

قالوا : انالله وانا اليه راجعون •

وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز

نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبدا

قلت : أضرب والله عنقك ، قم فبايع

فقام يجر رجليه

وأخذت بعمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر

وقال عمر بن عبد العزيز « انا لله وانا اليـــه راجعون » لكراهته نتولى الخلافة (٧) •

وقال هشام بن عبد الملك « انا لله وانا اليـه راجعون » لأنه نحى عنها (٨) •

وتم ذلك فى سنة تسع وتسعين هجرية •

وأراد عمر أن يتأكد من بيعة الناس له فخطب الناس وقال :

« أيها الناس ، انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ولا طلبت له ولا مشـورة على المسلمين ، وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون » •

فصاح المسـلمون صيـــحة واحدة : « بل اياك نختار ، يا أمير المؤمنين » (٩) •

رؤى منامية عن خلافة « عمر بن عبد العزيز » :

وقد أحاطت بالبيعـــة لعمر بن عبد العزيز رؤى منامية مختلفـة أوردها بعض المؤلفين :

فكان عمران بن شرجيل بن حسنة يقول ان رجلا رأى فى المنـام ليلة ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أن مناديا بين السماء والأرض ينادى

---

(٧) « فلم يكن فى الخلافة مطمع ، فسليمان بن عبد الملك كان له أولاده ومن عادة خلفاء بنى أمية ايثار أولادهم بالاستخلاف ، فعل ذلك معاوية الثانى ثم فعله مروان حين استخلف ولده عبد الملك وأراده عبد الملك حين أراد تنحية أخيه عبد العزيز وأخذ البيعة لولده الوليد » •

(٨) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٥٢ •

(٩) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ـ ص ٩٠ ـ طبعة دار المعارف •

أتاكم اللين والدين واظهار العمل الصالح فى المصلين فقال : ومن هو ؟ فنزل فكتب فى الأرض : « عمر » (١٠) ٠

وعن وهيب بن الورد قال : بينما نحن خلف المقام اذ رأيت كأن داخلا من باب بنى شيبة :

وهو يقول : يا أيها الناس ولى عليكم كتاب الله

فقلت : من

فأشار الى ظفره واذا مكتوب عليه : « ع م ر » ، فجـاءت بيعـة عمر بن عبد العزيز » (١١) ، (١٢) ٠

تحققت اذن نبوءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتولى خلافة الاسلام والمسلمين من ولده رجل بوجهه شج ٠

مواصفات عمر تؤهله للاصلاح المالى :

حينما ولى عمر بن عبد العزيز امارة الدولة الاسلامية كانت صفاته تنبىء بأنه سيقود بنجاح الاصلاح العام ومنه الاصلاح المالى ـ فقد

ـ التزم طريق التقوى ٠

ـ نهل من منابع العلم ٠

ـ أخذ بالشورى ٠

ـ أقام العدل ٠

ونوضح ذلك فيما يلى :

تقوى الأمير تصلح مسار المال العام :

عن تقوى عمر بن عبد العزيز قيل

ـ فاجأته أمه ذات يوم وهو طفل فى حجرته وحده يبكى وينتحب، فألقت نفسها عليه متساءلة عما دهاه ٠

فكان جوابه « لا شىء يا أماه ـ انما ذكرت الموت » !! (١٣)

---

(١٠) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير القرشى ـ تقديم وتعليق أحمد الشرباصى ص ٤١ ـ دار التوزيع والطباعة والنشر ٠

(١١) المرجع السابق ـ هامش ص ٤١ ٠

(١٢) رأينا ذكر الرؤى المنامية لمجرد الاحاطة والعلم ٠

(١٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ـ طبعة ثالثة ص ٢٨ ٠

ـ قال آنس بن مالك : ما صليت وراء امام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ـ يعنى عمر بن عبد العزيز ـ حين كان على المدينة • فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود (١٤)

ـ قال عبد الله بن طاووس ق رأيت أبى تواقف هـو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء ، حتى أصبحت فلما افترقا

قلت : يا أبت من هذا الرجل ؟

قال : هذا عمر بن عبد العزيز وهو من صالحى هذا البيت ـ يعنى بنى أمية (١٥) •

ـ قال عبد الله بن كثير :

قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء انابتك ؟

قال : أردت ضرب غلام لى قال لى : أذكر ليـلة صـبيحتها يوم القيامة (١٦) •

ـ وجاء رجل الى سعيد بن المسيب

فسأله : من المهدى

قال سعيد : أدخلت دار مروان ؟

قال : لا

قال : فأدخل دار مروان ترى المهدى

فأتى الرجل دار مروان فرأى الأمير عمر بن عبد العزيز والنـاس مجتمعين •

فعاد الى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد دخلت دار مروان فلم أر أحدا ، أقول هذا المهدى •

فسأله سعيد : هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعـد على السرير ؟

---

(١٤) عمر بن عبد العزيز •• ابن كثير القرشى ـ تعليق أحمد الشرباصى ص ٤٩ •

(١٥) المرجع السابق ص ٥٠ ـ عبد الله بن طاووس ثقة فاضل عابد وأبوه من كبار العلماء واتفقوا على جلالته وعلمه وحفظه وصلاحه •

(١٦) المرجع السابق ص ٥١ • وعبد الله بن كثير هو أحد القراء السبعة كان ثقة وله أحاديث صالحة •

قال : نعم

قال : فهو المهدى (١٧)

ـ لما خرج عمر بن عبد العزيز سنة ثمان وثمانين ومعه جماعة من قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحجيج العطش وذلك آن المطر قل •

فقال عمر : فالمطلب ها هنا بين ، تعالوا ندع الله •

فدعوا الله ودعا معهم فألحوا فى الدعاء ، فلما كان الليل سـكبت السماء ومطرت عرفة ومنى وجمع ونبتت مكة تلك السنة للخصب (١٨)

ـ وقال رياح بن عبيدة البـاهلى الكوفى وكان من خواص عمر بن عبد العزيز ومن جلسائه ـ خرج عمر بن عبد العزيز الى الصلاة وشيخ متوكىء على يده •

فقلت فى نفسى : ان هذا الشيخ جاف ؟

فلما صلى ودخل لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذى أتكأته يدك ؟

فقال : يا رياح أرأيته ؟

قلت : نعم

قال : ما أحسبك يا رياح الا رجلا صـالحا ، ذلك أخى الخضر ، أتانى فاعلمنى أنى سألى أمر هذه الأمة وأنى سأعدل فيها (١٩) •

ـ أبان ولايته للمدينة أطاع عمر بن عبد العزيز أمر الوليد فجلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قربة من ماء فى يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يوما ثم مات • وكان الوليد بناء على كتاب من الحجاج يظن أن خبيب يعد للثأر لأبيه وللوثوب على الملك •

ندم عمر على ما فعل ندمـا شـديدا وأغلق على نفسه باب داره سبعين يوما ، ولما عزل عن المدينة فى سنة ثلاث وتسعين وخرج منهـا التفت اليها وبكى •

---

(١٧) سعيد بن المسيب من المشتغلين بعلوم الحديث والفقه الذين كانوا يعرفون باسم أهل الحديث أو التابعين • وقد سبق التنويه عنه •

(١٨) تاريخ الطبرى جزء ٦ مرجع سابق ص ٤٣٨ •

(١٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى مرجع سابق ص ٥٧ ، ٥٨ وقد وردت في أكثر من مرجع • ـ رباح بن عبيدة الكوفى ـ سكن الحجاز وهو ثقة وكان من العباد •

وقال لمولاه : يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة (٢٠) ·

وكان في قوله يستند الى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم « ان المدينة كالكير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » · رواه مسلم (٢١) ·

وكثيرا وهو خليفة ما كان يتذكر ذلك الحادث فيبكى بالرغم من أنه دفع دية خبيب الى أوليائه لما استخلف ·

فيقول له حواريوه المقربون ·

فيم بكاؤك وقد وفقك الله لعمل أهل الجنة ؟

فتزداد دموعه ويقول : كيف بخبيب ؟؟ كيف بخبيب ؟؟ ان نجوت من خبيب فأنا بخير (٢٢) ·

ـ أحاط عمر بن عبد العزيز حكمه بتقوى الله وعبر عن ذلك تعبيرا واضحا بالكثير من كلماته وخطبه وفيما يلى نموذج لاحدى خطبه :

« لقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة لدين الله ليس لأحد تبديلها ولا الركون لأمر خالفها ، من اهتدى بها فهو المهتد ·

ومن استنصر بها فهو المنصور ،

ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ·

أيها الناس :

انه ليس بعد نبيكم نبى وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب،

فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال الى يوم القيامة ،

ألا وأنى لست بقاض وانما أنا منفذ ، ولست بمبتدع انما أن متبع ، ولست بخيركم انما أنا منكم غير أنى أثقلكم حملا » (٢٣) ·

---

(٢٠) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٤٨٢ ·

(٢١) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير القرشى ـ مرجع سابق ص ٤٦ ·

(٢٢) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ مرجع سابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٣ ـ ٣٥ ـ عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٤٣ ·

(٢٣) معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ـ مرجع سابق ص ١٨ ·

- أصبحت تقواه فى عهده سمة عامة يتحادث بها الناس ويقتدون بها ، فيقول الطبرى « كان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون فى زمانه ، فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع - فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام - فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى ٠

فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل

ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر ؟ » (٢٤) ٠

فعمر بن عبد العزيز اذن كان من الأتقياء ، والتقوى فى المالية العامة الاسلامية ضرورية لتخطيط ايراداتها ونفقاتها وادارتها فتجعلها تنبع من مصادرها الأصلية وهى القرآن المجيد والسنة النبوية وتعصم مسارها من أهواء الحكام ونزعات العمال وتقومه بالاصلاح ان حاد عن الجادة ونكص عن الاستقامة ٠

علم الرئيس يشع على المالية العامة : -

علم رؤساء الدول ميزة كبرى تمكنهم من مناقشة وتوجيه واعتماد سياسات الدولة ومنها السياسية المالية ، ويصبح علم الرئيس ضرورة قصوى اذا كان يدير سياسات الدولة ادارة مباشرة ، كما كان الشأن فى عهود الاسلام الأولى ، فاشرافه المباشر على سياسة المالية العامة وتنفيذها يتطلب منه أن يتأكد من سلامة السياسة الموضوعة وأن تنفيذها يسير فى المسار السليم وأن الأموال العامة تدار ادارة رشيدة ولا يتحقق ذلك الا بالعلم والخبرة ٠ وفى المالية العامة الاسلامية يتسع علم الرئيس ليشمل علوم القرآن وأحكام السنة وسائر العلوم المتصلة بها ٠

وهذا ما توفر فى « عمر بن عبد العزيز » قبل ولايته خلافة المسلمين ٠

- فقد جمع القرآن وهو صغير ، وبان حرصه على العلم من صغره ، فيقول الزبير وابن بكار ان أول ما أستبين عن رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته فى الأدب ، ان أباه ولى مصر وهو حديث السن يشك فى بلوغه ، فأراد أبوه اخراجه معه الى مصر من الشام ٠

فقال له : يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لى ولك ؟

---

(٢٤) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٩٧ ٠

قال : وما هو ٠

قال : ترحلني الى المدينة فأقعد الى فقهائها وأتأدب بآدابهم (٢٥) ٠

فأرسله أبوه الى المدينة فقعد مع مشايخ قريش وتلقى العلم عنهم وأقبل على العربية وآدابها وشعرها فاستوعب محصولا وفيرا ٠

ـ وقد تحدث هو فيما بعد عن علمه فى طفولته ٠

فقال : « لقد رأيتنى بالمدينة غلاما مع الغلمان ثم تاقت نفسى للعلم فأصبت منه حاجتى » (٢٦) ٠

ـ والشهادات بعلمه كثيرة

كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه اجتاز به فى المدينة فسأله عنه ٠

فقال الضحاك بن عثمان : ما خبرت أحدا الله أعظم فى صدره من هذا الغلام (٢٧) ٠

وعن ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج الينا فاذا نحن عنده تلاميذه (٢٨) ٠

وقال سفيان : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذه (٢٩) ٠

وعن مجاهد : أتينا عمر فما برحنا حتى تعلمنا منه (٣٠) ٠

وقال ابن وهب : حدثنى الليث عن أبى النصر المدينى ؟

قال : رأيت سليمان بن يسار خارجا من عند عمر بن عبد العزيز

فقلت له : من عند عمر خرجت ؟

قال : نعم

قلت : تعلمونه

---

(٢٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق أحمد الشرباصى ص ٤٥ ٠

(٢٦) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ص ٢٦ ٠

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٩ ـ وصالح بن كيسان هو أبو محمد صالح بن كيسان المدنى ثقة ثبت فقيه مات بعد سنة ثلاثين ومائة هجرية ٠

(٢٨) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير القرشى تعليق أ)مد الشربا(ى (ں ٥٠ ٠

(٢٩ ، ٣٠) المرجع السابق ص ٥٠ ـ ومجاهد هو مجاهد بن جبير كان من الأئمة المعدودين ٠

قال : نعم

فقلت : هو والله أعلمكم (٣١) ٠

وقال الليث : حدثنى رجل كان صحب ابن عمر وابن عباس وكان عمر بن عبد العزيز يستعمل الرجل على الجزيرة فقال :

« ما التمسنا علم شيء الا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذه »(٣٢) ٠

وقال ابن وهب أيضا : حدثنى الليث ، حدثنى قادم البربرى أنه ذاكر ربيعة بن أبى عبد الرحمن يوما شيئا من قضايا عمر بن عبد العزيز ـ اذ كان بالمدينة ٠

فقال ربيعة : كأنك تقول : أخطأ والذى نفسى بيـــده ما أخطأ قط (٣٣) ٠

ـ ومما يتصل بعلمه ٠

أن عمر بن عبد العزيز قضى فترة تدريب على الحكم قبل الخلافة ، فلما مات أبوه وكان أمير مصر أخذه عمه عبد الملك بن مروان وكان على رأس الدولة الاسلامية فخلطه بولده وزوجه بابنته فاطمة وكان قد ورث عن أبيه الكثير من الأموال والمتاع والدواب ٠ ولما مات عبد الملك وولى ابنه الوليد بن عبد الملك ولاه المدينة والطائف من سنة ست وثمانين هجرية الى سنة ثلاث وتسعين فتمرس على شئون الحكم وتدرب على ادارة شئـــون الدولة وقرب العلماء وأخذ عنهم وحج بالناس وساهم فى بناء مسجـــد النبى صلى الله عليه وسلم ووسعه بأمر من الوليد بن عبد الملك فأدخل فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم غير أنه عزل عن المدينة فى سنة ثلاث وتسعين (٣٤) ٠

بالشورى يشترك الحاكم والرعية فى السياسة المالية :

أظهرت ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة أنه يدير ولايته بالشورى، فقد كون مدة ولايته مجلسا للشورى من عشرة فقهاء وكان لا يقطع أمرا بدونهم أو من حضر منهم وهم :

---

(٣١) المرجع السابق ص ٤٩ ٠ سليمان بن يسار الهلالى المدنى أحد الفقهاء السبعة ، سمع الكثير من الصحابة والتابعين وروى عنه الكثير من التابعين ـ كان ثقة عالما فقيها عابدا كثير العلم ٠

(٣٢) المرجع السابق ص ٥٠ ٠

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٩ ٠

(٣٤) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٤٢ وما بعدها ٠

- عروة بن الزبير
- عبيد الله بن عتبة
- أبو بكر عبد الرحمن الحارث بن هشام
- أبو بكر سليمان بن أبى خيثمة
- سليمان بن يسار
- القاسم بن محمد
- سالم بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عبد الله بن عمر
- عبد الله بن عامر بن ربيعة
- خارجة بن زيد

وحدد اختصاصهم فقال لهم :

« انى انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ، وما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم أو برأى من حضر منكم ، فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامه ، فأناشدكم بالله على من بلغه ذلك الا بلغنى - فخرجوا يجزونه خيرا (٣٥) ٠

كما كان يستشير سعيد بن المسيب ولا يخرج عن قوله ، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتى أحدا من الخلفاء ولكنه كان يأتى الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة (٣٦) ٠

والحاكم حينما يطبق الشورى يطيع أمر الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالشورى ، فقد قال سبحانه وتعالى « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (آل عمران/من ١٥٩) ٠

ويطبق مبدءا عاما وهو أن المؤمنين أمرهم شورى بينهم ٠

فقال جل وعلا « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى/من ٣٨) ٠

والشورى لازمة فى سياسة المال العام شأنها شأن باقى السياسات العامة للدولة واذا كانت الماليات العامة الحالية تتضمن بشأنها دساتير الدول أحكاما توجب المشورة باستطلاع رأى ممثلى الشعب فى مسائل المالية العامة ، فتقضى بأن لا تفرض ضريبة ولا يعفى منها الا بقانون وبأن

---

(٣٥) الطبرى ج ١ ص ٤٢٧ - مرجع سابق ٠

(٣٦) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير تقديم الشرباصى - مرجع سابق ص ٤٨ ٠

تعرض على المجالس النيابية الموازنة العامة للدولة وحساباتها الختامية للمناقشة والاعتماد ٠

واذا كان من حق ممثلي الشعب الآن أن يناقشوا مسائل المالية العامة للدولة فى أى وقت فما ذلك كله الا انبثاقا من مبدأ الشورى الذى قرره الاسلام من مئات السنين ٠

العدالة المالية أحد دعائم السلطان :

ظهرت سمة العدل كعنصر من عناصر شخصية عمر بن عبد العزيز حينما كان واليا على المدينة ، فقد راعه أن بنى هاشم فى المدينة ومكة لا ينالون حظهم من عطاء بيت المال بينما الآخرون يرفلون فى النعيم من الأموال العامة ، فطلب من الوليد أن يعطى بنى هاشم وآل البيت أسهمهم من الغنائم والفىء والعطاء ، وتلك حقوقهم ، فأبى الوليد ٠

كما تعود عمر اذا جاءه أحد من آل البيت أن يأذن له بالدخول مهما كانت مشاغله ويقول له أمام الجميع :

« انى لأستحى من الله أن تقف ببابى ولا يؤذن لك » (٣٧) ٠

قالت فاطمة بنت على بن أبى طالب وهى عجوز :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز أمير المدينة فاخرج الحرس والناس ثم قال لى يا ابنة على والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب الى منكم ، ولأنتم أحب الى من أهل بيتى »(٣٨) ٠

كما أوضح عمر بن عبد العزيز للخليفة حينما كان واليا على المدينة مظالم الحجاج الثقفى التى كان يرتكبها فى الكوفة بكل من يخالف رأيه واسرافه فى الأموال العامة على كل من يريد أن يصطفيه ويشترى رأيه وقتله بالظن الآلاف من المسلمين بغير بينة أو دليل ، وما زال يبلغ الخليفة بأعماله حتى كتب الخليفة للحجاج يوجهه للامتناع عن ذلك ٠

ولكن الحجاج رد بأنه انما قتل أهل المعصية وأثاب بالأموال أهل الطاعة وبذلك دعم ملك الخليفة ولا يعد ذلك تبذيرا ، وأخبر الحجاج الوليد بأن أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة

---

(٣٧) عمر بن عبد العزيز ــ سعد عبد السلام حبيب ص ١٥٠ ٠

(٣٨) خامس الراشدين ــ عبد الرحمن الشرقاوى ٠ سلسلة مقالات عن عمر بن عبد العزيز بجريدة الأهرام ــ عدد ١٩٨٥/٦/٢٦ ٠

ومكة وان عمر بن عبد العزيز يحتضنهم وأن ذلك مما يوهن ملكه ويضعف سلطانه ، فعزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة (٣٩) ٠

وتمسك عمر بالعدل ينبع من طاعته لأمر الله جل وعلا بالعدل فى كثير من الآيات منها قوله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨) ٠

وأمر الله جل وعلا بالعدل بين أهل الكتاب فى آية :

« وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » (المائدة/من ٤٢) فالعدل اذا يعتبر أساسا من أسس الولاية الصالحة وهو سمة لازمة لسياسات المالية العامة بل أساس من أسسها ، فمراعاة العدالة تؤدى الى توزيع الأعباء العامة على المواطنين حسب مقدرة كل منهم ، كما أنها تؤدى الى أن ينال كل ذى حق حقه من بيت المال من خدمات أو عطاء على قدم المساواة دون اجحاف أو تمييز ٠

وهكذا فان تقوى عمر بن عبد العزيز وعلمه وأخذه بالمشورة وعدله كانت كلها تنبىء حينما ولى أمر المسلمين بأنه سيقود مسار المالية العامة للدولة الاسلامية قيادة ناجحة ، وهو ما سنتبينه فى الأبواب التالية ٠

---

(٣٩) الطبرى جزء ٦ - مرجع سابق ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ٠

الفصل الثانى

أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

سياسة عمر بن عبد العزيز المالية من خطبه واقواله :

تتضح أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز مما أعلنه فى بعض الخطب والكلمات العامة التالية :

ـ غداة تولى عمر بن عبد العزيز امارة الدولة الاسلامية ألقى الخطاب التالى :

« أوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فانه هـــادم اللذات وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله وأن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتبها ولا فى نبيها وانما فى الدينار والدرهم وأنى والله لا أعطى أحدا باطـلا ولا أمنع أحدا حقه » .

ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت فلا طاعة لى عليكم » (١) .

ـ وبعد تولى الخلافة :

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر : أكتب لى سيرة عمر حتى أعمل بها (٢) .

---

(١) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى ـ تقديم وتعليق احمد الشرباصى ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

ـ وقال لعمته وقد جاءته تبلغ شكوى عائلة الخليفة من منع العطاء المميز عنهم ومن مساواتهم بسائر الافراد واسترداد عمر لما كان قد تقرر من أموال لبني عبد الملك وأولادهم وردها الى بيت المال والى أربابها :

فرفض وقال :

« يا عمة اعلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده فلم يستقض منه شيئا حتى مات ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقيه ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه ، وأيم الله لئن أبقاني الله لأردنه الى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط واذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى والولى لا يزيل الظلم فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء فى غيرهم » (٣) ٠

ـ وعن أهمية سياسة العمالة واتصالها بالسياسة المالية قال :

« ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها فالوالي ركن والقاضى ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا » (٤) ٠

وبتحليل الأقوال السابقة يتبين أن سياسة المالية العامة لعمر بن عبد العزيز قامت على الأسس التالية :

ـ قرر وجود تجاوزات فى تنفيذ السياسة المالية العامة لمن سبقه من أمراء بنى أمية ، ويستدل على ذلك بقوله :

« ان هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتبها ولا فى نبيها وانما فى الدينار والدرهم » ٠

ـ أعلن عزمه على تطبيق الفرائض المالية والسياسة المالية عموما التى كانت مطبقة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، ويتضح ذلك من تأكيده « بأنه ان أبقاه الله ليردن النهر المورود الذى تركه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مجراه الأول » ٠

ويتضح ذلك أيضا من طلبه سيرة عمر بن الخطاب ليعمل بها ، ومنها العمل بسيرته فى السياسة المالية ٠

ومن سيرة عمر بن الخطاب فى السياسة المالية ما يلى :

---

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ ٠
(٤) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٨٦ ٠

أعلن غداة توليه الخلافة اختصاصه بالمال العام بجانب شئون الخلافه فقال :

« من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ، فان الله تبارك وتعالى جعلنى له خازنا وقاسما » .

وأعلن سياسته المالية بشأن الايرادات العامة والنفقات العامة فقال :

« أيها الناس انه لم يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية وانى لا أجد هذا المال « يقصد المال العام » يصلحه الا خلال ثلاث أن يؤخذ بالحق ويعطى فى الحق ويمنع من الباطل » وحدد ما يأخذه من المال العام فقال :

« انما أنا ومالكم كولى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف » .

وعن الادارة بالعدل فى الجباية قال :

« لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم الا من وجهه » .

وعن الادارة بترشيد الانفاق العام قال :

« ولكم على اذا وقع فى يدى (أى المال العام) ألا يخـــرج منى الا بحقه » .

وعن سياسة العطاء قال :

« ولكن على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله وأسد ثغوركم » .

وعن منع الظلم ورد المظالم قال :

« ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يعتدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق » (٥) .

ــ ومن أقوال عمر بن عبد العزيز فى البند السابق يستنتج أيضا أنه قرر أن يزيل ما اعترى السياسة المالية من مخالفات ما دام قد عزم على تطبيق ما كان يطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وأن عزمه ورد مطلقا فيشمل تنقية الايرادات العامة والنفقات العامة والادارة المالية من المخالفات المالية .

ــ كما يستنتج أيضا أنه عزم على ترشيد الانفاق العام :

ــ ويؤيد ذلك قوله « لا أعطى أحدا باطلا » .

---

(٥) انظر كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣ .

فانفاق المال العام سيكون خاليا من الباطل ملتزما بالعدل لا سرف فيه ولا تبذير ٠

ـ وعزم على التزام الكفاءة والصلاحية في تعيين ولاة الدولة وعمالها خصوصا من يزاولون أمور المال العام حينما اعتبر أن صاحب بيت المال ركن من أركان أربعة لتثبيت السلطان ٠

ـ ونوى عمر بن عبد العزيز أن يحيط ادارة السياسة المالية باطار من المبادىء التى تنبثق من التقوى حينما دعا الناس الى التمسك بها ٠

ـ وقرر كذلك أن تقوم السياسة المالية على أساس حصول كل صاحب حق على حقه من بيت المال أى ازالة مخالفات العطاء ويدعم ذلك قوله « ولا أمنع أحدا حقا » ٠

ـ وصمم على تطبيق سياسة يرد بها المظالم ، حينما أعلن تصميمه على رد المظلم بادئا بأقاربه وبطانته ٠

ومما سبق يتضح أن السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز قامت على أسس من الاصلاح المالى وهى نفس أوجه الاصلاح التى تطلبتها ازالة المخالفات المالية التى شابت عهد أمراء بنى أمية قبله والتى نوهنا عنها فى ختام الفصل السابق ٠

سياسة الاصلاح الاقتصادى مع الاصلاح المالى :

ارتبطت سياسة الاصلاح المالى فى عهد عمر بن عبد العزيز بسياسته لاصلاح المسار الاقتصادى وقامت على تحرير اقتصاد الدولة الاسلامية من القيود واطلاق حريته ، فأذاع تعليمات وأقوال عامة لتحقيق المبادىء التالية :

ـ فتح باب الهجرة للجميع ٠

ـ اطلاق حرية التجارة والمعايش ٠

ـ حرية العمل والعمال والغاء السخرة ٠

ـ المزارع للجميع ٠

ـ عدم التدخل فى الأسعار ٠

ونحلل فيما يلى تعليماته وأقواله بشأن المبادىء الاقتصادية السابقة :

فتح باب الهجرة

كتب عمر بن عبد العزيز لولاته قائلا « افتحوا للمسـلمين باب الهجرة » (٦) ٠

وبذلك أصبح حق الهجرة متاحا لمن يريد ، والناس يهاجرون عادة لتحسين أحوالهم الاقتصادية والمعيشية أو لطلب العلم ، كما أن الهجرة تؤدى الى تحقيق استثمار الأراضى الجديدة وامكانية تعمير المدن الحديثة ، وقد أمر الله جل وعلا الناس بالسعى والهجرة ٠

فقال سبحانه وتعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله يجـد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » (النساء من / ١٠٠) ٠

وقال جل وعلا : « فامشـوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (الملك /من ١٥) ٠

وكانت الهجرة من مكة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم أحد وسائل نشر الدين الاسلامى واعلاء رايته ٠

حرية التجارة والمعايش اولى من الضرائب والمكوس :

قال عمر بن عبد العزيز « ان البر والبحر لله جميعا سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم » ففتح طريق البحر للتجارة الحرة ومنع الضرائب المتصلة بهـا (٧) ٠ وكان يستشهد بقول الله جل وعلا :

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله » (الجاثية/من ١٢) ٠

فحيثيات عمر بن عبد العزيز فيما ذهب اليه قد بنيت على أساس دينى وهو أن الله سبحانه وتعالى سخر البر والبحر للناس ، فأية قيود ـ ولو كانت تؤدى الى جباية أموال عامة لبيت المال تحد من هذا التسخير وتقيد انطلاق معايش العباد فينبغى ازالتها ٠

حرية العمـل :

حرية العمل هى حق الانسان أن يتخير من العمل ما يشـاء وأن يزاوله كما يشاء فلا يجوز للدولة ولا لغيرها أن تسخر العامل للعمل اذا كان لا يريد واذا أدى العامل عملا لا بد أن ينال عنه الأجر المناسب وقد

---

(٦) معجزة الاسلام : عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ، ص ١٧٥ ٠
(٧) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ، ص ١٧٥ ٠
وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد عبيد طبعة ثانية ص ٨٢ ٠

اعتنق عمر بن عبد العزيز هذه السياسة والزم بها عماله فارسـل لهم التعليمات التالية :

« ليكن لكل عمل آجره فضعوا السخره عن الناس (٨) » ٠

المزارع للجميع :

ويقول عمر بن عبد العزيز لولاته :

« انما جعلت المزارع لأرزاق المسلمين كافة ٠٠ فردوها لما جعلت له (٩) » ٠

وبذلك يحرر الأرض الزراعية من أية قيود تحول دون زراعتها وتمتع الناس كافة بنتاجها كاحتكار الدولة لها أو استيلاء طائفة من الناس على نتاجها وتكوين طبقة من الاقطاعيين يتحكمون فى غلاتها ، هذا وقد تبنى الفيزقراطيون فى القرون الوسطى بعد عمر بن عبد العزيز مبدأ حرية العمر وضرية التجارة وكان شعارهم تلك الجملة :

« أتركه يعمل أتركه يمر » Laisser faire laisser passer

وهم بذلك دعوا الى حرية العمل أى يكون الناس أحـرارا فى أن يستخدموا جهودهم كيفما يشاءون وترك الناس أحرارا يزاولون حريـة الاستبدال والاتجار فى داخل البلاد وخارجها (١٠) ٠

عدم التدخل فى الأسعار :

وحدث أن ارتفعت الاسعار فى عهد عمر بن عبد العزيز فطالبه البعض بتحديد الأسعار فأبى تمسكا بسياسة الحرية الاقتصادية ٠

فعن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال :

قلت لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية فى زمانك وكانت فى زمان من قبلك رخيصة ؟

قال عمر بن عبد العزيز : ان الذين كانوا قبلى كانوا يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم ، فلم يكونوا يجدون بدا من أن يبيعوا ويكسد ما فى أيديهم وأنا لا أكلف أحدا الا طاقته ، فباع الرجل كيف شاء ٠

فقلت : لو أنك سعرت ٠

---

(٨) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ٦٨ ٠

(٩) المرجع السابق ص ٨٣ ٠

(١٠) الاقتصاد السياسى ـ الجزء الأول ـ طبعة ثالثة ـ د٠ أحمـد محمد ابراهيم ص ٦٠ ٠

قـــال : ليس الينا من ذلك شيء انما السعر لله (١١) ٠

مما سبق يتضح أيضا أن عمر بن عبد العزيز كان لا يكلف أهل الذمة فوق طاقتهم كما كان يفعل من سبقه من الولاة الذين كانـــوا يظلمونهم فأدت زيادة العبء عليهم وتعجيل أدائه الى اضطرارهم لبيع سلعهم بخسارة ليسددوا التكاليف الباهظـــة التى فرضت عليهم والا تعرضـــوا للأذى وللتعذيب ، ولذلك كانت الأسعار رخيصة بسبب زيادة عرض السـلع زيادة غير طبيعية ، أما فى زمن عمر بن عبد العزيز حيث لم يحمل أهـل الذمة الا بما يستحق عليهم بالعدل فتمكنوا من تنظيم عرض سلعهم فى ظل العوامل الطبيعية للسوق واستحقوا عنها الثمن العادل وان كان مرتفعا فى عهد عمر بالمقارنة بعهد من كانوا قبله ٠

تمنى عمر المساواة بين الأغنياء والفقراء :

يبين مما سبق أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالنظام الاسلامى فى السياسة الاقتصادية وهى حرية الأفراد فى مزاولة الأنشطة الاقتصادية على أن يلتزموا فى مزاولتها بأحكام الاسلام ويؤدون من ثرواتهم ما عليهم من التزامات ومنها حقوق الفقراء ٠

غير أن مما يؤثر عن عمر بن عبد العزيز ويتصل بالسياسة المالية والاقتصادية قوله « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى يستوى الكل » (١٢) ٠

وقد خلص البعض أنه بذلك أعلن الاشتراكية ٠

والواقع أن عمر بن عبد العزيز لم يعلن الاشتراكية بالمعنى الذى تقصده المذاهب الاشتراكية التى ظهر أغلبها فى القرن التاسع عشر بعد عهد عمر بمئات السنين والتى تشترك بأنواعها المختلفة فى ثلاثة أمـور تميزها عن المذاهب الأخرى وهى :

ـ الغاء الملكية الخاصة الغاء كليا وجزئيا ٠

ـ تنظيم الانتاج والتوزيع بواسطة المجموع ٠

ـ وذلك لتحقيق نوع من المساواة الفعلية (١٣) ٠

---

(١١) الخراج لأبى يوسف ص ١٣٢ ٠

(١٢) عمر بن عبد العزيز ، سعد عبد السلام حبيب ص ٨١ نقلا عن الموسوعة التاريخية لعمر أبو النصر ص ١٠٦ ٠

(١٣) الاقتصاد السياسى ـ جزء أول طبعة ثالثة ـ د٠ أحمد محمد ابراهيم ص ٧١ ٠

فلم يقصد عمر بن عبد العزيز أن ياخذ بالغاء الملكية الخاصة الغـاء كليا أو جزئيا واستبدالها بملكية المجموع ليصبح أمرها بين يدى الدولة باعتبارها ممثلة للجماعة ، ولم يرد أن يستبدل ملكية القطاع الخـــاص للمشروعات الاقتصادية فى عهده لتمتلكها الدولة أو هيئاتها العامة ، وذلك لأن الاسلام الذى يحكم به يقر الملكية الخاصة ٠

ولم يرد عمر بن عبد العزيز تنظيم الانتاج والتوزيع تنظيما اداريا عاما فتحل مسئولية المجموع محل مسئولية الفرد الذى يغدو مجرد موظف يخضع لما يملى عليه ٠

واذا كان عمر بن عبد العزيز قد تمنى تحقيق المساواة بين الكـل فان بواعث هذه المساواة تختلف عن بواعث مساواة الاشتراكيات التى نشأت فى القرن التاسع عشر ، فترى تلك الاشتراكيات أن عدم المساواة ظلم وأن الاغنياء مغتصبون لحقوق الفقراء وأن الذى جعل هذا الاغتصاب ممكنا هو نظام الملكية الخاصة ولهذا نادوا بالقضاء عليها قبل كل شىء ٠

فمحور بواعث المساواة عند الاشتراكيين هو الملكية الخاصة فيعتبرونها مغتصبة ويرتبون على هذا الاغتصاب الغاء الملكية الخاصة وهو ما يتعارض مع تعاليم الاسلام الذى يقر حق التملك والملكية الخاصة للأموال باعتبار أن المال العام أصلا مال الله وأن ملكية المسلم للأموال باعتباره خليفة الله وعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياما أمينا واعيا بأداء التكاليف التى كلفه الله بها والامتناع عما نهاه عنه فى ادارته وتنميته وتوريثه(١٤) ٠

ويؤيد ذلك قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » النور/من ٣٣) ٠

وقوله جل وعلا :

« آمنو بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » (الحديد/من ٧) ٠

فمساواة عمر لم تخرج عن دائرة التمنى ولو أراد تنفيذها لجعـل الدولة تتدخل وتتخذ الاجراءات والوسائل التى تضع هذا التمنى موضع التحقيق ، ومن هذه الوسائل تطبيق سياسة مالية تقوم على تحقيـــق المساواة بين الأغنياء والفقراء ٠

---

(١٤) للتفصيل يمكن الرجوع لكتابنا ـ الاطار الأخلاقي لمالية المسلم ـ طبعة الهيئـة المصرية العامة للكتاب ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ٠

وكل ما تمناه عمر هو أن يقترب من المساواة اما عن طريق توسع الأغنياء بالتطوع بالأموال للفقراء بعد أداء حقوقهم المشروعة كالزكـــاة المفروضة والكفارات ، ودائرة التطوع بالأموال فى الاسلام دائرة واسعة تؤيدها آيات عديدة من القرآن المجيد ٠

فمن آيات الله جل وعلا التى تحض على البذل والعطاء :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (البقرة / ٢٤٥) ٠

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » (الحشر/من ٩) ٠

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ٠ انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » (الانسان / ٨ ـ ١٠) ٠

« فلاقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ● أو اطعام فى يوم ذى مسغبة ● يتيما ذا مقربة ● أو مسكينا ذا متربة ٠ » (البلد/١١ ـ ١٦) ٠

تأصيل المذهب الاقتصادى فى عهد عمر بن عبد العزيز :

مما سبق وفى ضوء تعاليم الدين الاسلامى يمكن استنتاج أن المبدأ الذى طبقه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه هو مبدأ الحرية الاقتصادية وعدم التدخل الا فى الحالات التى يشير بها الاسلام ٠

وقد تبلور هذا المبدأ على أساس أن الله جل وعلا قد أوجد نظامـا طبيعيا تخضع له الظواهر الاقتصادية وهو أفضل من كل النظم التى تتمخض عنها القوانين الوضعية وأقدرها على توفير السعادة والرخـــاء للأفراد والجماعات فى الدنيا والآخرة وأنه اذا ترك لـــكل فرد حريته الشخصية دون تدخل من الدولة فى شئونه الاقتصادية فانــــه يخـــدم مصالحه على أفضل وجه وهو فى نفس الوقت يخدم مصلحة المجموع كما أن للفرد أن يمتلك ما يشاء من الثروات ويتم ذلك كله فى اطار من تعاليم الدين الاسلامى فلا يظلم البائع المشترى ولا يبخس المشترى البائع ، كما أن بخس الكيل والميزان والغش والربا والاكتناز والاحتكارات من المحظورات فى الاسلام ، فتعاليم الدين الاسلامى اذا طبقت بالكامل كفيلة أن تحـقق الثمن العادل للسلع ، ولا خوف من أن يضار أصحاب الدخول المحدودة من ارتفاع الاسعار لأن نظام الزكاة فى الاسلام يفرض لهم حقوقا فى أموال

الأغنياء ، ولا تقتصر هذه الحقوق على الزكاة المفروضة ، بل ان فى أموال الأغنياء حقوقاً فوق الزكاة اذا كانت الزكاة المفروضة لا تكفيهم ، فتدخل الدولة في الأسعار لا يكون الا اذا خولفت أحكام الاسلام كأن يكون ارتفاعها نتيجة غش أو احتكار أو تجارة فى محرم أو بخس كيل أو تطفيف ميزان ، وغير ذلك من المحرمات والمحظورات ٠

نطاق تنفيذ اصلاح السياسة المالية :

يسرى اصلاح السياسة المالية على جميع عناصرها وهى الايرادات العامة والنفقات العامة وادارة المالية العامة ، ويترتب على ذلك أنه فى المالية العامة الاسلامية ، يطبق الاصلاح على :

- ايرادات الزكاة ونفقاتها المخصصة أى موازنة الزكاة ٠
- ايرادات خمس الغنائم ونفقاتها المخصصة أى موازنة خمس الغنائم ٠
- أيرادات الجزية والخراج وعشور التجارة ونفقاتها العامة أى موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة ٠
- ادارة المالية العامة ٠
- نظام العطاء ٠
- ازالة أية مظالم مالية ٠

ونوضح فى الأبواب التالية ما قام به عمر بن عبد العزيز من اصلاح بادئين بموازنة الزكاة ٠

الباب الثالث

الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة والموازنة العامة لخمس الغنائم

الفصل الأول

الاصلاح المالى للموازنة العامة للزكاة

الاصلاح المالى لايرادات الموازنة العامة للزكاة

المنهج العام لاصلاح موازنة الزكاة :

شملت اصلاحات موازنة الزكاة فى عهد عمر بن عبد العزيز ايراداتها ومصارفها العامة ، وقامت هذه الاصلاحات على أساس ارجاع أحكامها الى الى الكتاب والسنة وتطبيقات الخلفاء الراشدين ، مع مراعاة ذلك فيما صدر من فتاوى وفيما اذيع من تعليمات وفيما تم من تنفيذ ، وبذلك اتجه عمر بن عبد العزيز الى تنقية أمور الزكاة العامة مما كان قد علق بها من شوائب وما ألم بها من تجاوزات وما اعتراها من مخالفات ، وهو اتجاه اقام أمر الدين فى أمور الزكاة .

وفيما يلى تفاصيل ما تم من اصلاحات فى جانب الايرادات العامة لموازنة الزكاة ثم يليها ما تم من اصلاحات فى جانب النفقات العامة لها :

طلب كتاب الرسول فى الصدقات :

حين أستخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى المدينة يلتمس كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فى الصدقات فوجده عند آل عمرو بن حزام (١) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها الى عماله حتى توفى فأخرجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه من بعده فعمل بها حتى توفى ثم أخرجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده فعمل بها ، ولشدة عناية عمر بن الخطاب بأمر الصدقة والمحافظة على العمل بما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن كتاب الصدقة

---

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار – لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى ص ٣١ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

والعمل بما فيه بوصيته ٠ ويجزم ابن شهاب الزهرى بأن نسخة كتاب الصدقة للنبى صلى الله عليه وسلم كانت عند آل عمر وأخرجها سالم بن عبد الله بن عمر للزهرى فقرأها ووعاها على حقيقتها دون شك ، وانتسخ عمر بن عبد العزيز نسخة منها وهو خليفة للعمل بما فيها ، والذى قدمها عبد الله وأخوه سالم ابنا عبد الله بن عمر ٠

وأوضح سالم بن عبد الله بن عمر نقلا عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موضوع الكتاب فقال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجه الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض فكان فيه :

فى خمس من الابل شاة ، وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض (٢) الى خمس وثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون (٣) الى خمس وأربعين ، فاذا زادت واحدة ففيها بنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان (٤) الى عشرين ومائة ، فان كانت الابل أكثر من ذلك ففى كل خمسين حقه وفى كل أربعين ابنة لبون ٠

وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة الى عشرين ومائة ، فاذا زادت واحدة فشاتان الى مائتين ، فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة ، فاذا كانت الغنم أكثر من ذلك ففى كل مائة شاة شاة — وليس فيها شىء حتى تبلغ المائة ٠

ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة ، وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا تؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عيب » ٠

أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى ٠

ثم قال : قال الزهرى : اذا جاء المصدق قسمت الشاء أثلاثا : ثلثا شرار وثلثا خيار وثلثا وسط فيأخذ المصدق من الوسط ٠

ثم قال : ولم يذكر الزهرى البقر

---

(٢) ابنة المخاض : هى التى أتى عليها الحول ودخلت فى الثانى ٠

(٣) ابنة اللبون : هى التى دخلت السنة الثالثة وصارت أما لبون بوضع الحمل ٠

(٤) الحقة : بكسر الحاء وهى التى أتت عليها ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة ٠

ثم زاد فى رواية آخرى عن سفيان بن حسين باسـناده ومعناه قال : « فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون » (٥) ٠

وتحرى عمر بن عبد العزيز عن هذا الكتاب وحصـوله عليه أو على نسخة منه يوضح مدى تمسكه بتطبيق قواعد الزكاة بدقة كما سـنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين رغبته فى التيقن مقدما من تفاصيلها حتى اذا أذاعها على الناس سار هو والأمة على المنهج السليم ٠

عمر بن عبد العزيز يؤكد سنوية زكاة أرباح التجارة :

عن قطن بن فلان قال : مررت بواسط زمن عمر بن عبد العزيز فقالوا :

« قرىء علينا كتاب أمير المؤمنين « أن لا تأخذوا من أرباح التجارة شيئا حتى يحول عليها الحول » (٦) ٠

وحدثنا معاذ عن ابن عوف قال أتيت المسجد وقد قرىء الكتاب فقال صاحب لى « لو شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز فى أرباح التجارة أن لا يعرض حتى يحول عليها الحول (٧) ٠

وباصدار عمر بن عبد العزيز لهذا الكتاب يكون قد طبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قرر مبدأ سـنوية الزكاة فقال « لا زكاة فى مال حتى يحول عليها الحول » ٠

وحكمة تحديد السنة أن الزكاة لا تؤخذ الا من النماء وهذا يتطلب وقتا جرت العادة بتحديده بسنة ، ويستثنى من ذلك الخارج من الأرض لأن النماء يمكن أن يتحقق فى أقل من سنة ٠

هـذا ويثير التطبيق العملى لمبـدأ سنوية زكاة التجارة فى العصر الحديث المسائل التالية :

ـ يمسك التجار حديثا حسابات منتظمة توضح فى نهاية كل سنة مالية نتيجة مزاولة نشاطهم فهل تستحق الزكاة فى نهاية السنة نفسها أم فى نهاية السنة التالية لها ؟

الرأى أن الزكاة تستحق فى نهاية السنة نفسها لأن الأرباح تتحقق على مدار السنة ابتداءا من أولها حتى آخرها ، فان كانت هناك أرباح قد

---

(٥) المنتخب من السنة ـ المجلد السادس ص ١٧٧ ـ ١٨٢ ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

(٦ ، ٧) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٥٠٩ ٠

تحققت فى نهاية السنة فقد تحققت أيضا بعض الأرباح فى بدء السنة ، وقد يكون ما تحقق فى الفترة الأخيرة من السنة خسائر أكلت جزءا من ارباح أول السنة فيخضع الصافى للزكاة • وتأخير استحقاق الزكاة على الأرباح لسنة تالية يؤدى الى مرور أكثر من عام على بعض الأرباح وهى التى تحققت فى أوائل العام الذى خضع صافى ربحه للزكاة •

ـ اذا توقف التاجر عن عمله كليا أو جزئيا سرت الزكاة على الأرباح التى تحققت حتى تاريخ التوقف وتستحق فى نهاية العام الذى حدث فيه التوقف الكلى أو الجزئى ، لأن شرط مرور الحول واجب التطبيق استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قضى بمرور الحول •

على أنه اذا رأى المسلم أن يبادر بأداء الزكاة تقربا لله سبحانه وتعالى خوفا من أن يهلك المال قبل استحقاق الزكاة فلا يجد ما يؤدى به حق الله ، فان ذلك أفضل •

ـ والمقصود بالربح هو الربح الصافى بعد خصم جميع التكاليف وتحميل كل سنة بما يخصها من المصاريف ، ولا تخصم احتياطيات لمقابلة أية خسائر محتملة لأن الخسائر المستقبلة غير متيقنة • ويكفى أن يكون الربح قد تحقق فعلا حتى تسرى عليه الزكاة وليس من الضرورى ان يكون هذا الربح قد قبض فعلا •

ـ واذا كان كتاب عمر بن عبد العزيز قد أوضح خضوع أرباح التجارة للزكاة فانه مما تشمله الزكاة أيضا أية أموال أخرى غير مستغلة فى التجارة •

اخضاع عمر بن عبد العزيز السمك للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله فى عمان

« أن لا يأخذ من السمك شيئا حتى يبلغ مائتى » •

أو قال « فاذا بلغ مائتى درهم فخذ منه الزكاة » (٨) •

ومما يدعم اخضاع أنشطة وأموال السمك للزكاة حديثا أنه تستثمر فيها رؤوس أموال ذات شأن فى زراعته واقامة صناعاته والتجارة فيه •

---

(٨) الأموال لأبى عبيدة ـ ص ٤٣٤ •

زكاة الحمص والعدس :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن أن يأخذ الصدقة من الحنطة والشعير والنخل والعنب ٠

ويبدو أن البعض اعتبر ما ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فزادوا فى الأنواع التى تؤخذ منها الزكاة ٠

وممن زادوا ابن عباس ٠

فعن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال « الصدقة فى الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسلت (٩) والزيتون » ٠

ومنهم من التزم النص كابن عمر ٠

فعن صدقة الثمار والزرع قال « ما كان من نخل أو عنب أو حنطة أو شعير » ٠

وكان عمر بن عبد العزيز من الذين زادوا ٠

فكتب أن يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة ، وكان فى سجله « ويؤخذ من القطانى » (١٠) على نحو مما يؤخذ من الحمص والعدس الزكاة (١١) ٠

ونرى الأخذ برأى من زادوا ، لأن الزراعة تتطور وتظهر أنواع جديدة من المحاصيل لم تكن موجودة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ما ثبت أن الخلفاء الراشدين نهوا عن خضوعه للزكاة ، لقول عمر وعلى وعائشة « ليس فى الخضروات زكاة » (١٢) ٠

رأى عمر بن عبد العزيز فى زكاة العسل :

يورد أبو عبيدة فى كتابه الأموال رأيين مختلفين لعمر بن عبد العزيز فى زكاة العسل فقال « حدثنا مروان بن شجاع عن خصيف أن عمر بن عبد العزيز رأى فى العسل العشر » (١٣) ٠

وقال أيضا « حدثنا ابن بكير عن مالك عن أنس عن عبد الله بن أبى بكر قال :

« جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى أن لا تأخذ من الخيل ولا من العسل صدقة » (١٤) ٠

---

(٩) السلت : نوع من الشعير أبيض لا قشر له ٠

(١٠) القطانى : كالعدس والحمص واللوبيا والأرز وغيرهم ٠

(١١) الأموال لأبى عبيد — ص ٥٧٠ — مرجع سابق ٠

(١٢) المرجع السابق — هامش ص ٥٦٩ ٠

(١٣ ، ١٤) المرجع السابق ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ ٠

ولعله من التوفيق بين الرأيين نقول أنه اذا كان العسل فى أرض الخراج فلا صدقة فيه لأن العشر والخراج لا يجتمعان على أرض ، ذلك لأن الخراج يدفعه الذمى اذا كان على أرض آلت للدولة الاسلامية ورؤى ابقاؤه عليها وليس عليه زكاة لأنها على المسلمين ، أما اذا كان العسل فى أرض مسلم فيدفع عن العسل والمحاصيل الزكاة اذا توفرت شروطها ويؤيد ذلك أن عمر بن الخطاب قال فى زكاة العسل :

« ما كان فى السهل ففيه العشر وما كان منه فى الجبل ففيه نصف العشر » (١٥) ٠

خضوع الابل التى تعمل بالريف للزكاة :

كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة ــ أن تؤخذ الصدقة من الابل التى تعمل فى الريف (١٦) ويرى البعض عدم الخضوع ٠

فعن هشام عن الحسن قال « ليس فى الابل العوامل والبقر العوامل صدقة » ولربما كان عدم الخضوع بسبب أنها عاملة فتعتبر أداة من أدوات انتاج المحاصيل ٠

ليس فى الخيل السائمة زكاة :

عن معمر عن سماك بن الفضل عن عمر بن عبد العزيز قال « ليس فى الخيل السائمة زكاة » (١٧) وبذلك يطبق عمر بن عبد العزيز سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

فقد حدث بن عيينه عن أبى اســحاق عن الحارث عن على قال : قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم « عفونا لكم عن صــدقة الخيل والرقيق » ويرى أبو عبيد أن الزكاة تجب فى الخيل اذا كانت للتجارة وتسقط عن السائمة (١٨) ٠

ليس فى الأوقاص صدقة :

الأوقاص جمع وقص وهو ما بين النصابين ، فمن المعروف مثلا أن صدقة البقر من كل ثلاثين تبيعا ومن كل أربعين مسنة ومن الستين تبيعين ومن السبعين مسنة وتبيعا ومن الثمانين مسنتين ومن التسعين ثلاثة أتابيع ومن المائة مسنة وتبعين ومن العشرين ومائة ثلاثة مسنات أو أربعة أتابيع ٠

---

(١٥) المرجع السابق ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ ٠

(١٦) المرجع السابق ص ٤٦٦ ٠

(١٧ ، ١٨) المرجع السابق ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ ٠

وقد يحدث أن يملك المسلم عددا من البقر ما بين النصابين أى أزيد من النصاب السابق وأقل من النصاب اللاحق ، فيكون لديه مثلا واحد وثلاثون بقرة أو اثنان وثلاثون وهكذا حتى تسع وثلاثون ·

فهل تستحق الزكاة على ما زاد عن الثلاثين وقل عن الأربعين ؟

أجاب على ذلك عمر بن عبد العزيز فكتب : « ان ليس فى الأوقاص شىء » (١٩) ·

وهو فى ذلك يطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم · فقد قال معاذ بن جبل حينما كان باليمن « لست بآخذ من أوقاص البقر شيئا حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان رسول الله لم يأمرنى فيها بشىء » (٢٠) ·

وعن يحيى بن الحكم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الأوقاص لا صدقة فيها » ·

وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وطبقة عمر بن عبد العزيز تفادى صعوبات عملية فى تطبيق زكاة الأنعام وما كان يثيره من خلاف بين المصدقين والمتصدقين ·

اخذ عمر بن عبد العزيز الصدقة من المعادن :

عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر بن عبد العزيز كتب « أن خذ من المعادن الصدقة ولا تأخذ منها الخمس » (٢١) ·

ونرى أن المعادن تخضع للزكاة اذا تملكها المسلم ومضى عليها الحول وتوفرت فيها سائر شروط الاخضاع ، ويؤخذ منها الخمس اذا كان المعدن ركازا والركاز هو المعدن الذى يوجد مدفونا فى الأرض فيستحق عليه لبيت المال الخمس وقت العثور عليه فى باطن الأرض باعتبـاره غنيمة ويستند فى ذلك لحديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « فى الركاز الخمس » والركاز فى ذلك يختلف عن اللقطة ·

فعن عمر بن شعيب أن المزنى سأل رسول الله صـلى الله عليه وسلم عن اللقطة توجد فى الطريق العامر فقال : عرفها سنة فان جاء صاحبها والا فهى لك ·

(١٩ ، ٢٠) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ·
(٢١) المرجع السابق ص ٤٢٤ ·

قال : يا رسول الله فما يوجد فى الحرب العادى ·

قال : فيه وفى الركاز الخمس (٢٢) ·

حجز الزكاة من المنبع :

من طرق تحصيل الضرائب حديثا حجزها من المنبع فتؤخذ من الايراد قبل أن يؤول لصاحبه ويحصل على الايراد الصافى بعد خصم الضرائب المستحقة عليه ، وميزة هذه الطريقة فى التحصيل أنها تضمن للدولة تحصيل مستحقاتها كاملة بسهولة ويسر ·

وقد طبق عمر بن عبد العزيز طريقة الحجز من المنبع فى تحصيل الزكاة ·

قال يزيد : كان عمر بن عبد العزيز اذا أعطى الرجل عمالته « أى أجره » أخذ منها الزكاة واذا رد المظالم أخذ منها الزكاة وكان يأخذ الزكاة من الأعطية اذا خرجت لأصحابها (٢٣) ·

وعن ميمون بن مهران قال :

« كتب الى عمر بن عبد العزيز فى مال رده على رجل فأمرنى أن آخذ منه زكاة ما مضى من السنين » (٢٤) ·

تحصيل الصدقة بالعدل :

حدث عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد فقال :

ان مما كان عمال عمر بن عبد العزيز يصنعون بالمدينة فى أخذ الصدقة ، أن يفرق المال ثلاث فرق ثم يختار صاحبها ثلثا ثم يأخذ صاحب الصدقة حاجته من الثلث الثانى (٢٥) ·

وعمال عمر بن عبد العزيز بهذا الأسلوب فى أخذ الصدقة انما يطبقون نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليماته لعمال الصدقات بالعدل فى تحديد قيمة الصدقة ·

فيقول صلى الله عليه وسلم « المعتدى فى الصدقة كما نعها » (٢٦) ·

---

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٢١ ·

(٢٣ ، ٢٤) الأموال لأبى عبيد مرجع سابق ص ٥٢٩ ·

(٢٥ ، ٢٦) المرجع السابق ص ٤٩٤ ·

ومما قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه لليمن « ٠٠ فأعلمهم صدقة أموالهم فان أقروا بذلك فخذ منهم واتق كرائم أموالهم واياك ودعوة المظلوم فانه ليس لها دون الله حجاب » ٠

ويسير عمر بن عبد العزيز في ذلك أيضا بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقد قال لمصدقيه « اذا مررتم بصاحب المال فلا تنسوا الحسنة ولا تنسوها صاحبها ، وفرقوا المال ثلاث فرق فخيروا صاحب المال ثلثا ثم اختاروا من أحد الثلثين ٠٠ » (٢٧) ٠

تحصيل الصدقة في مكان المتصدق :

حدث أبو معاوية عن عبد الله بن فلان أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

كتب عمر بن عبد العزيز « أن صدقوا الناس على مياههم وبأفنيتهم » ومعنى ذلك أن ممثل بيت المال الذى يأخذ الصدقة لا يجوز له أن يطلب من أرباب الأغنام أن يأتونه بها الى حيث يقيم ليقدرها ويحدد الصدقة الواجبة ، بل عليه أن ينتقل الى مكان وجود هذه الأنعام لدى أربابها ويأخذ الصدقة ، لأنه ان فعل خلاف ذلك أرهق الأنعام وأربابها ، وقد يضر ذلك الأنعام وأربابها ولا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ، فضلا عن أن تحديد قيمة الزكاة الواجبة فى مكان الأنعام تجعل المصدق على يقين من عددها فيحدد بيقين أيضا قيمة الصدقة الواجبة ٠

وعمر بن عبد العزيز بذلك يطبق تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم فتح مكة « لا جلب ولا جنب ولا شغار فى الاسلام ولا تؤخذ صدقات المسلمين الا على مياههم وبأفنيتهم » فالرسول صلى الله عليه وسلم يوضح أنه لا ينبغى للمصدق أن يقيم بموضع ثم يرسل الى أهل المياه ليجلبوا اليه مواشيهم فيصدقها ولكن ليأتينهم على مياههم حتى يصدقها هناك » (٢٨) ٠

---

(٢٧) الخراج لأبى يوسف ص ٨١ ٠

(٢٨) المرجع السابق ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ٠

الفصل الثانى

الاصلاح المالى لنفقات موازنة الزكاة
الاصلاح المالى وموازنة خمس الغنائم

أولا : الاصلاح المالى لنفقات موازنة الزكاة

اذاعة مصارف الزكاة :

أذاع عمر بن عبد العزيز مصارف الزكاة فى بعض كتبه فقال :

« ثم فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة على أمر الله فى العين والحرث والماشية وبين مواضع ذلك فقال ٠

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » ٠

حتى استقامت سنتها فى الأخذ حين تؤخذ وفى القسمة حين تقسم ، فيعمل بهـا المسلمون فى جزيرة العرب حتى علموهـا أو كل ذى عقل منهم » (١) ٠

وقال أيضا ٠

« وأما الصدقات فان الله تبارك وتعالى فرضها وسمى أهلها حين طعن فيها أناس وبلغوا فيها تهمة نبيهم فقال : (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) ٠

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لابن عبد الحكم ـ تعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانيـة ص ٦٠ ، ٦١ ٠

فقال الله تبارك وتعالى عند ذلك : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الأموال : الحرث والمواشى والذهب والورق فتؤخذ الصدقات كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لا يظلمون ولا يتعدى عليهم ، ولا يحابى بها قريب ، ولا يمنعها أهلها ثم تجعل الى مرضيين من أهل الاسلام ، فيجعلونها حيث أمرهم الله يحملهم الامام من ذلك على ما حمل ، وينزه نفسه من ذلك من أمور قد أكثر فيها على الأئمة » (٢) ٠

وأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب بكتابة السنة فى مواضع الصدقة فكتب ما يلى :

هذه منازل الزكاة ومواضعها ان شاء الله وهى ثمانية أسهم فسهم الفقراء وسهم للمساكين وسهم للعاملين عليها وسهم للمؤلفة قلوبهم وسهم فى الرقاب وسهم للغارمين وسهم فى سبيل الله وسهم لابن السبيل ٠

فسهم للفقراء نصفه لمن غزا منهم فى سبيل الله أول غزوة حين يفرض لهم من الامداد وأول عطاء يأخذونه ثم تقطع عنهم بعد ذلك الصدقة ، ويكون سهمهم فى عظم الفىء والنصف الباقى للفقراء من الزمنى (يعنى ذوى العاهات) والمكث الذين يأخذون العطاء ان شاء الله ٠

وسهم المساكين نصفه لكل مسكين به عاهة لا يستطيع حيلة ولا تقلب فى الأرض والنصف الباقى للمساكين الذين يسألون ويستطعمون ومن فى السجون من أهل الاسلام ممن ليس له أحد ان شاء الله ٠

وسهم العاملين عليها ينظر فيمن سعى على الصدقات بأمانة واعفاف اعطى على قدر ما ولى وجمع من الصدقة وأعطى عماله الذين سعوا معه على قدر ولايتهم وجمعهم ، ولعل ذلك أن يبلغ قريبا من ربع هذا السهم بعد الذى يعطى عماله ثلاثة أرباع فيرد ما بقى على من يغزو من الأمداد (جمع مد وهم الجند الذين يمد بهم الجيش المحارب) والمشترطة ان شاء الله ٠

وسهم المؤلفة قلوبهم لمن يفترض له من امداد الناس أول عطاء يعطونه ومن يغزو مشترطا لا عطاء له ، وهم فقراء ، ومن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم ولا يسألون الناس ان شاء الله ٠

وسهم الرقاب نصفان : نصف لكل مكاتب يدعى الاسلام وهم على أصناف شتى : فلفقهائهم فى الاسلام فضيلة ولمن سواهم منهم منزلة

---

(٢) المرجع السابق ــ ص ٨٠ ٠

أخرى على قدر ما أدى كل رجل منهم وما بقى عليه ان شاء الله ، والنصف الباقى تشترى به رقاب من صلى وصام وقدم فى الاسلام من ذكر وأنثى فيعتقون ان شاء الله ·

وسهم الغارمين على ثلاثة أصناف : منهم صنف لمن يصاب فى سبيل الله فى ماله وظهره (اسم لما يركب) ورقيقه وعليه دين لا يجد ما يقضى ولا ما يستنفق الا بدين ، ومنه صنفان لمن يمكث ولا يغزو وهو غارم وقد أصابه فقر ، وعليه دين لم يكن شيء منه فى معصية الله ولا يتهم فى دينه - أو قال فى دينه ان شاء الله ·

وسهم فى سبيل الله فمنه لمن فرض له ربع هذا السهم ومنه للمشترط الفقير ربعه ، ومنه لمن تصيبه الحاجة فى ثغره وهو غاز فى سبيل الله ان شاء الله ·

وسهم ابن السبيل يقسم ذلك لكل طريق على قدر من يسلكها ويمر بها من الناس ، لكل رجل رجل من ابن السبيل ليس له مأوى ، ولا أهل يأوى اليهم ، فيطعم حتى يجد منزلا أو يقضى حاجته ، ويجعل فى منازل معلومة على أيدى أمناء لا يمر بهم ابن السبيل له حاجة الا آووه وأطعموه وعلفوا دابته ، حتى ينفذ ما بأيديهم ان شاء الله » ·

ومن الكتاب السابق يمكن ابراز النقاط التالية :

- من الأوضاع المحمودة فى المال العام أن نصدر تعليمات عامة توضح تطبيق أحكامه لأن ذلك يمنع الخلاف فى التطبيق ويقلل من الاستفسارات والاستيضاحات التى تنشأ خلال التنفيذ ·

- أن الكتاب اتسم بشمول جميع مصارف الزكاة وبذلك غطى جميع حاجات المحتاجين وحقق جميع أهداف مصارف الزكاة ·

- قسم الكتاب كل مصرف من مصارف الزكاة الى فئتين أو أكثر وبذلك اتسم بالوضوح واليقين والوضوح واليقين من العناصر التى تضفى على الفرائض المالية سمة الاتقان والجودة ·

- علق أحدهم على هذا الكتاب بقوله « لا شك أن هذا الكتاب العظيم فى قسم الصدقات يعتبر دستورا كاملا فى هذا الباب ، فانه لم يدع ذا حاجة من المسلمين الا سد حاجته فرحم الله بن شهاب » (٣) ·

وبالرغم من شمول الكتاب السابق ووضوحه ، فان تعليمات أخرى كانت تصدر من عمر بن عبد العزيز تعالج حالات التطبيق ، كما يتضح مما يلى :

---

(٣) الأموال لأبى عبيد - ص ٦٩١ - ٦٩٣ - مرجع سابق ·

تحديد الحد الأدنى لحاجات كل مسلم من بيت المال :

أرسل عمر بن عبد العزيز تعليمات الى ولاته محددا ضرورات كل مسلم من بيت مال المسلمين فقال :

« لا بد لكل مسلم من مسكن يأوى اليه ... وخادم يكفيه مهنته ... وفرس يجاهد عليه عدوه ... وأثاث فى بيته ... فوفروا ذلك كله ... ومن كان غارما فاقضوا عنه دينه » (٤) .

فبيت المال اذن بناء على تعليمات عمر بن عبدا لعزيز يتكفل لكل مسلم غير قادر بما يلى .

ـ مسكن مؤثث وخادم : وذلك باعتبار أن المسكن ضرورة من ضرورات الحياة يقيم فيه المسلم وتسكن فيه نفسه وباعتبار أن الأثاث من مستلزمات المسكن وكذلك الخادم فى حالة عجز المسلم ، وينوه القرآن الكريم عن المسكن فيقول جل وعلا :

« وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » (يونس / ٨٧) .

ويقول سبحانه وتعالى أيضا :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » (النحل /٨٠) .

وفى الأونة الحديثة تكفل بعض الدول انشاء مساكن لمحدودى الدخل نظير ايجار مخفض أو تملكها لهم مقسطة الثمن على آجال طويلة ، كما تكفل للمنكوبين ممن تعرضوا لكوارث فقدوا فيها مساكنهم مساكن أخرى لايوائهم ، كما تنشىء الملاجىء لايواء وسكن يتامى الفقراء وأمثالهم .

ـ فرس للجهاد : وهو ضرورى للمسلم باعتبار أن الجهاد فرض عين على المسلم اذا هجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين وتسمى هذه الحالة بالنفير العام يقتضى معه خروج جميع المسلمين المطيقين للقتال ، واذا عجز أهل تلك البلدة عن مقاومة العدو فرض القتال على الأقرب من المسلمين حتى تقع الكفاية فاذا وقعت الكفاية لم يجب القتال على غيرهم .

---

(٤) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ٣٦ .

وقد ورد فى القرآن الكريم أكثر من آية تحض على الجهاد منها :

« يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة /٣٥) ٠

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة /٤١) ٠

ـ تضمنت تعليمات عمر بن عبد العزيز كذلك قضاء دين الغارمين من أموال الزكاة ومن المعروف ان مصرف الغارمين هو أحد مصارف الزكاة ، والغارمون هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم فيأخذون من مال الزكاة بشرط أن لا يكون المدين قد استدان فى سفاهة أو صرف الدين فى معصية ٠ ومن الغرماء من يتحمل حماله لمنع قيام فتنة ونزاع فيصلح بين المتخاصمين ويتحمل فى سبيل ذلك دية يدفعها من ماله الخاص ويعود ويستردها من بيت المال فيؤديها له بيت المال من أموال الزكاة ٠

وأداء دين الغرماء الذى تضمنته تعليمات عمر بن عبد العزيز يؤدى الى اطمئنان الدائنين وسيولة التمويل بين الدائنين والمدينين ئلا يكسد الاقتصاد العام بسبب نقص السيولة ولا يقل تدفق الانتاج نتيجة لذلك ٠

انفاق على سهم المؤلفة قلوبهم :

من بين وجوه انفاق الزكاة الانفاق لتاليف القلوب للاسلام ، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعطى من الزكاة لتأليف قلوب رؤساء القبائل لكف الأذى عن الاسلام وتقوية اسلام من دخلوه حديثا ، ونهج أبو بكر الصديق نهج الرسول ، غير أن عمر بن الخطاب أوقف الانفاق على المؤلفة قلوبهم لأن الدولة الاسلامية قويت ولأن الاسلام قوى وتدعم فى النفوس فزالت بذلك حكمة الانفاق على التأليف ٠

وفى عهد عمر بن عبد العزيز أعطى من بيت المال بطريقا ألف دينار ليتألفه وبذلك اجتهد وبرهن على مرونة التشريع الاسلامى وفتح الباب للابتكار الذى يؤدى لمصلحة الأمة ولا يخالف نصا من القرآن والحديث (٥)٠

انفاق على فداء الأسرى :

عن صالح بن جبير أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلا مالا يخرج به

(٥) الامام الشافعى ـ تاليف الاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ ٠ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

لفداء الأسارى فقال الرجل : يا أمير المؤمنين انا سنجد ناسا سافروا الى العدو طوعا . أفنفديهم ؟

قال : نعم

قال : وعبيدا فروا واماء .

فقال : افدوهم .

ولم يذكر له صنف من الناس من جند المسلمين الا أمر بفدائهم (٦) .

وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين أنه كان يكاتبهم ويطمئنهم بأن بيت المال ينفق على أهليهم ويبشرهم بأنه بعث اليهم من يفاديهم جميعا .

فقد قال بكر بن خنيس : كتب عمر الى الأسارى بالقسطنطينية :

أما بعد فانكم تعدون أنفسكم أسارى معاذ الله بل أنتم الحبساء فى سبيل الله ، واعلموا أنى لست أقسم شيئا فى رعيتى الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ، ولولا أنى خشيت ان زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ، وقد بعثت اليكم فلان بن فلان يفادى صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم بما سئل به ، فأبشروا ثم أبشروا والسلام عليكم (٧) .

وهو فى ذلك ينهج نهج عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فقد قال : لأن أستنقذ رجلا من المسلمين من أيدى الكفار أحب الى من جزيرة العرب .

وقال ابن عباس : قال ابن الخطاب رضى الله عنه « كل أسير كان فى أيدى المسلمين ففكاكه من بيت مال المسلمين » (٨) .

الانفاق على مصرف « ابن السبيل » :

كتب عمر الى سليمان بن أبى السرى عامله على سمرقند « أن اعمل خانات فى بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة وتعهدوا دوابهم ، فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين ، فان كان منقطعا به فقووه بما يصل لبلده (٩) .

---

(٦) الأموال لأبى عبيد ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لابن عبد الحكم ـ تعليق احمد عبيد ـ طبعة ثانية مرجع سابق ص ١٤٠ .

(٨) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ص ١٩٦ .

(٩) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٦٧ .

فمن هذا الكتاب يبين أن عمر عمم نظام بيوت الضيافة لتستضيف الغرباء من المسلمين أثناء مرورهم ببلاد غير بلادهم ، وكان النظام يقضى بضيافة من يمر يوما وليله وتعهد دابته ، فاذا كان من يمر مريضا ضوعفت مدة الضيافة ، فان كان متقطعا عنه المال فيمد بما يمكنه من الوصول لبلده ، وتمويل هذه الضيافة كان من أموال الزكاة باعتبار أن مصرف ابن السبيل ، أحد مصارفها الثمانية ٠

بيت المال ينفق على سارق محتاج :

أتوا الى عمر بن عبد العزيز يوما بسارق ، فشكا اليه الحاجة والفاقة، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم ٠

وبهذا غلب عمر بن عبد العزيز حاجة المسلم على سرقته ، لأن الحاجة كانت سببا للسرقة فلولاها لما سرق ولو كان بيت المال قام بواجبه بكفالة المحتاجين لما فعل فعلته ، وعمر بن عبد العزيز فى ذلك قد أقتدى بما سبق أن فعله عمر بن الخطاب ٠

فقد سرق غلمان لحاطب ناقة لرجل من مزينة فانتحرها ، فرفع ذلك الى عمر فأمر عمر بقطع أيديهم ثم أوقف تنفيذ الحكم ٠

وقال لحاطب : أراك تجيعهم (أى لا يشبع غلمانه فسرقوا) والله لأغرمنك غرما يشق عليك ٠

ثم قال لصاحب الناقة : كم ثمن ناقتك ٠

فقال : كنت والله أمنعها من أربعمائة درهم ٠

فقال عمر لحاطب: أعطه ثمانمائة درهم ٠

فقطع يد السارق عقاب للجانى اذا لم تضطره الحاجة ٠

وفى عام المجاعة أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن قطع يد السارق طبقا لقول الله جل وعلا « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١٠) ٠

ويرى الامام أحمد بن حنبل أنه لا يجوز قطع يد السارق فى عام المجاعة ويحمل الدولة وبيت المال توفير الطعام للجائعين ويحمل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحرومين ، وبالقاء مسئولية اطعام الجائعين على الدولة وبيت مالها فى عام المجاعة يمتنع اقامة الحدود بسند شرعى فلا يختل نظام

(١٠) الامام الشافعى ناصر السنة وواضع الأصول ـ تأليف الأستاذ عبد الحليم الجندى طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

الدولة بعدم تطبيق الحدود اذا لم يكن عدم التطبيق مستندا الى التشريع ، كما أن تحميل المياسير مسئولية الأخذ بيد المحـــرومين يقيهم نهبـــة أموالهم .

بل يوجب الامام أحمد دية القاتل على الذين لا يقتلون لكنهم يمتنعون عن اطعام الجوعى فيموتون من جوعهم وهى درجة فى ايلاف الجمـاعة لم تبلغها أى شريعة ... الا الحنيفية السمحاء (١١) .

اتساع الانفاق العام على التكافل الاجتماعى :

فى عهد عمر بن عبد العزيز اتسعت أنشطة الدولة للتكافل الاجتماعى فشملت أنوعا جديدة من الرعاية وذلك على النحو التالى :

ـ بدأ بحصر المستحقين للتـــكافل الاجتماعى من أرباب العـاهات والعجزة ، فكتب الى الامصار أن يرفعوا اليه بيان بكل أعمى أو مقعد أو من به فالج ومن به عجز يحول بينه وبين القيام للصلاة .

ـ أمر لكل أعمى بقائد يقوده ويقضى له حاجياته .

ـ عين خادما لكل اثنين من العجزة من غير العميان .

ـ عين للمرضى من يسهر على خدمتهم وراحتهم .

ـ أطعم الطعام ففتح دور الطعام فأمر بأن يخصص طعاما للمساكين والفقراء وأبناء السبيل .

ـ أنشأ الخانات فى البلاد وأمر عماله بأن يقرى من مر بهم (١٢) .

صرف الزكاة فى مكان المتصدق :

الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد وترد على فقرائها وذلك استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل معاذا لليمن ، فطلب منه أن يدعو الناس للاسلام ومن أركانه الزكاة ويقول لهم « ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد فى فقرائكم » ، وهذا هو ما أكده عمر بن عبد العزيز فكتب الى عماله :

« أن ضعوا شطر الصدقة وابعثوا الى بشطرها » ثم كتب فى العام المقبل « أن ضعوها كلها » وحدث على بن ثابت عن سفيان بن سعيـد « أن زكاة حملت من الرى الى الكوفة فردها عمر بن عبد العزيز الى الرى » .

---

(١١) أحمد بن حنبل ـ امام أهل السنة ـ للأستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣١٨ ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

(١٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ٤٨ ، ٥٧ .

وعلى ذلك فان جهل المصدق فحمل الصدقة من بلد الى بلد آخر سواه وبأهلها فقر اليها . ردها الامام اليهم كما فعل عمر بن عبد العزيز.

وفي ذلك يقول أبو عبيد « والعلماء اليوم مجمعون على أن أهل كل بلد من البلدان أو ماء من المياه أحق بصدقتهم ما دام منهم ذوى الحاجة واحد فما فوق ذلك ، وان أتى ذلك على جميع صدقتها حتى يرجع الساعى ولا شيء معه منها (١٣) .

وقد سبق أن طبق عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفس المبدأ ، ففى عهد أعاد معاذ بن جبل الى اليمن فبعث اليه معاذ بثلث صدقة الناس ، فأنكر عمر بن الخطاب ذلك .

وقال لمعاذ : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم .

فقال معاذ : ما بعثت اليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه منى .

فلما كان العام الثانى بعث اليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ما راجعه من قبل .

فقال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا (١٤) .

---

(١٣) الأموال لأبى عبيد ص ٧١٠ مرجع سابق ٧١٠ .

(١٤) المرجع السابق ص ٧٠٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٠١ .

الاصلاح المالى لموازنة خمس الغنائم

موازنة خمس الغنائم :

أوضحنا أن موازنة خمس الغنائم تتكون مواردها من خمس ما يؤول من غنائم تسفر عنها فتوحات الاسلام وأن نفقاتها لله وللرسـول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل تنفيذا لقوله جل وعلا :

« واعلموا انما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (الانفال / ٤١) ٠

ونناقش فيما يلى الايرادات هذه الموازنة ونفقاتها فى عهد عمر بن عبد العزيز ٠

ايرادات خمس الغنائم :

لم تعبىء الدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز الجيوش للجهاد ما عـدا مناوشات صغيرة مع الترك والخوارج (١٥) فقد استعاض عن زحف الجيوش بكتبه التى كان يرسلها الى ملوك الهند وحكام مقاطعتها يدعوهم الى الاسلام فأسلم أكثرهم متأثرين بما كان قد ترامى اليهم من أنباء ورعه وزهـده وتقواه ، كذلك كتب الى البربر فى افريقية يدعوهم الى الاسلام فدخلوا فيه أفواجا وكتب الى ملوك ما وراء النهر فأسلم أكثرهم ورفعوا رايـة الاسلام (١٦) ٠

---

(١٥) الفصل الثانى من الباب الخامس أوضحنا فيه هذه المناوشات ٠

(١٦) معجزة الاسلام ــ عمر بن عبد العزيز ــ دار المعارف ــ طبعة ثالثة ــ ص ٩٦٧ خالد محمد خالد ٠

وكان عمر غداة توليه الخلافة قد أمر بسحب جيش الدولة الذى كان يحاصر القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية) وكان على رأسه مسلمة بن عبد الملك وكاد الحصار قبل عهد عمر أن يؤتى أكله ويفتح أبواب العاصمة لولا خدعة ورط فيها القائد الرومانى (أليون) مسلمة بن عبد الملك فردت القوة عجزا والنصر هزيمـــة فتفشى المرض والمجاعة فى جيش المسلمين وانقطعت خطوط تموينه ٠

وعلى ذلك يمكن القول بصفة عامة أنه لم تتحقق موارد عامة تذكر من خمس الغنائم فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن ما قد يكون هناك من موارد من هذا المصدر ببيت المال هو من غنائم فتوحات سبقت عهده٠

نفقات خمس الغنائم :

يذكر أبو يوسف « أن عمر بن عبد العزيز بعث بســـهم الرسول وذوى القربى الى بنى هاشم » (١٧) ٠

ويعتبر هذا الاجراء من اجراءات الاصلاح المالى لعمر بن عبد العزيز لأن الامراء السابقين من بنى أمية كانوا قد حرموهم ، ليس من نصيبهم فى الخمس فقط بل من عطائهم العام الذى كانوا يستحقونه من بيت مال المسلمين شأنهم شأن باقى المسلمين ٠ فعل هذا بالرغم من معارضة بنى أمية وتلكؤ والى المدينة فى التنفيذ خشية سطوة امراء بنى أمية ٠

فقد استقر رأى عمر بعد مدارسة الفقهاء ان لهم حق أولى القربى وهم أولو قربى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الحق يعطيهم خمس خمس الفىء الذى يؤول لبيت المـال وحسـب المختصون قدر المال الذى حرموا منه منذ عهد معاوية فوجدوه آلافا مؤلفة وكان بنو هاشم أيضا قد بلغ تعدادهم عشرات الآلاف ، انتشروا فى الأمصار فأمر عمر بحصرهم وايتائهم حقوقهم حيث كانوا ٠

وكتب عمر الى محمد بن حزم عامله على المدينة بأن يقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار ٠

فتلكأ أمير المدينة فلما علم عمر بذلك أرسل اليه يستحثه ٠

فرد أمير المدينة : ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ، ففى أى ولده أقسم عشرة آلاف دينار ٠

---

(١٧) الخراج لأبى يوسف مرجع سابق ص ٢١ ٠

فكتب اليه عمر ساخرا : لو كتبت اليك فى شاة تذبحها لكتبت الى أسوداء أو بيضاء ، اذا أتاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على من فاطمة عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم .

هذا وموارد الخمس المتبقية من الفتوحات السابقة على عهد عمر بن عبد العزيز قد ساهمت في الانفاق على اليتامى والمساكين وابن السبيل بجانب موارد الزكاة ، ولليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيها نصيب .

ضم الخمس للفيء والتوزيع منهما معا :

رأى عمر بن عبد العزيز ضم موارد الخمس والفيء ثم التوزيع منهما معا على الأمة بما فيهم اليتامى والمساكين وابن السبيل استنادا الى أن الانفاق على الرسول وذى القربى وعليهم ورد فى آية : الفيء والخمس ، واقتداء بما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكتب بذلك الى عماله فقال :

« واما الخمس فان من مضى من الأئمة اختلفوا في موضعه . فطعن فى ذلك طاعن من الناس وأكثر فيه ، ووضع مواضع شتى ، فنظرنا فاذا هو على سهام الفيء فى كتاب الله ، لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرى فاذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى فى الفيء قضاء قد رضى به المسلمون . فرض للناس أعطية وأرزاقا جارية لهم ، ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك . ورأى أن فيه لليتيم والمسكين وابن السبيل ، فرأى أن يلحق الخمس بالفيء ، وأن يوضع مواضعه التى سمى الله وفرض ، ولم يفعل ذلك ليتنزه منه . وخيفة التوهم فيه ، فاقتدوا بامام عادل ، فان الآيتين متفقتان آية الفيء وآية الخمس ، فان الله قال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٨) (الحشر / ٧) .

وكذلك فرض الله الخمس ، فنرى أن يجمعا جميعا فيجعلا فيئا للمسلمين ولا يستأثر عليهم ولا يكون دولة بين الأغنياء منهم » (١٩) .

---

(١٨) خامس الراشدين ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ عدد الأهرام ١٩٨٥/٨/١٤ .

(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد ـ الطبعة الثانية ـ مرجع سابق ص ٨٠ ، ٨١ .

الباب الرابع

الاصــــلاح المالى لايرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة

الفصـــل الأول

الاصلاح المالى لايرادات الجزية

الأسس العامة لاصلاح الجزية

قامت اصلاحات عمر بن عبد العزيز لفريضـــة الجزيـــة على الأسس التالية :

- توضيح الغامض من حالات الاخضاع للجزية •
- تنظيم عقد معاهدات صلح الجزية وتنفيذها •
- تحديد مدى التزام الورثة بجزية مورثهم •
- ابداء الرأى فى بعض تصرفات أهل الكتاب •
- تأكيد المعاملة الطيبة لأهل الكتاب •

وجلاء غموض الفرائض المالية وتثبيت وتنفيذ أحـــكام تعاقداتهما واتفاقياتهما ومعاملة ممولبها معاملة طيبة يرسى أسس العدالة المالية مع أهل الكتاب فالعدل شيمة من شيم الاسلام والمسلمين ، وبذلك يكون عمر ابن عبد العزيز قد أقام فى شئونها أمر الدين •

وفيما يلى تفاصيل حالات الاصلاح :

كتاب يوضح أسس الجزية :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله عدى بن ارطاه :

« أما بعد فان الله سبحانه وتعالى انما أمر ان تؤخـــذ الجزية ممن رغب عن الاسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا ، فضع الجزية على من أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض • فان فى ذلك صلاحها لمعاش

المسلمين وقوة على عدوهم ، وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنة وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . فلو أن رجلا من المسلمين كان له مملوكا كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق ، وذلك أنه بلغنى أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل أبواب الناس .

فقال : ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية فى شيبتك ثم ضيعناك فى كبرك ثم أجرى عليه من المال ما يصلحه (١) .

وبتحليل الكتاب السابق يتضح أنه تضمن المبادىء التالية :

- تفرض الجزية طبقا لطاقة تحمل أهل الكتاب ، وبذلك تكون قد قامت على العدالة .

- يترك من كان منهم يزرع الأرض ويعمرها فى عمله وبذلك يزيد الانتاج ويعود خيره على الدولة الاسلامية .

- يجرى على شيوخ أهل الكتاب والمرضى ومن عجز منهم عن الكسب الارزاق من بيت المال ، وفى ذلك تعميم للرعاية الوارفة من الدولة لتشمل أهل الكتاب مما يؤكد السماحة التى تتسم بها المالية العامة الاسلامية .

اخذ الجزية من المجوس

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة كتابا يطلب منه أن يسأل الحسن بن أبى الحسن عن معاملة المجوس .

فسأل عدى الحسن ، فأخبره أن رسول الله قد قبل من مجوس أهل البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم ثم أقرهم بعده أبو بكر ثم أقرهم عمر بعد أبى بكر وأقرهم عثمان بعد عمر (٢) .

ويتضح من ذلك أن عمر بن عبد العزيز تحرى ما كان يعامل به الرسول صلى الله عليه وسلم المجوس وطبق سنته .

ليس على مسلم جزية :

أوضحنا أن الحجاج الثقفى كان يفرض الجزية على من أسلم من أهل الكتاب وأقره على ذلك خلفاء بنى أمية ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز

---

(١) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٥٧ .
(٢) الخراج لأبى يوسف ص ١٣٠ ، ١٣١ .

أصدر تعليماته برفع الجزية عمن أسلم . وأكد ذلك أكثر من مرة لعمال الخراج ، ومن ذلك ما كتبه الى حيان بن شريح عامله على مصر فقال له :

« ضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » (التوبة/من ٥) .

كما قال سبحانه وتعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٣) (التوبة / ٢٩) .

حكم أرض من كان يعطى الجزية ثم اسلم :

عن الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال :

« أيما قوم صولحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كانت أرضه لبقيتهم » (٤) .

أى أن أرض الكتابى الذى كان يدفع الجزية وأسلم لا ترد اليه الأرض وتعامل معاملة أرض باقى قومه فيكون حكمها حكم أرض من لم يسلم منهم أى تعتبر من فىء المسلمين ، وقول عمر بن عبد العزيز السابق يستند الى ما تم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابن ذئب الزهرى قال :

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس البحرين ، فمن أسلم منهم قبل اسلامه فأحرز اسلامه نفسه وماله ، الا الأرض فانها فىء المسلمين من أجل أنه لم يسلم أول الأمر وهو فى منعه .

ولعل اعتبار الأرض من فىء المسلمين يستند الى أن نصر المسلمين وفتحهم للبلاد جعل الأرض جميعها غنيمة للمسلمين وفيئا لهم وبذلك أصبحت ملكا لجماعة المسلمين .. فاسلام المجوسى بعد ذلك لا يغير من وضع الأرض لأنه لم يكن مالكا لها قبل اسلامه .

---

(٣) فتوح مصر واخبارها ــ تاليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابن أيمن القرشى المصرى ــ تحقيق محمد صبيح ص ١٠٧ .

(٤) الأموال لأبى عبيد ــ مرجع سابق ص ٢٠٤ .

اقرار صلح الجزية من جميع من يدفعونها :

اذا تم صلح بين دولة الاسلام ودولة أخرى لم تستجب للاســـلام وآثرت أن تدفع الجزية ، فان دفع الجزية يقع عبؤه على كل فرد من أهل الكتاب فى الدولة التى لم تسلم الا من كان معفيا منها لشيخوخته أو لمرضه أو كان من النساء أو من الاطفال أو غير ذلك من الحالات المعفاه · ولذلك كان عمر بن عبد العزيز لا يكتفى باقرار الرؤساء للصلح نيابة عن جميع الرعايا من أهل الكتاب بل كان يوجب موافقة جميع من يقع عليهم عبء الجزية على عقد الصلح · ولعل حكمة ذلك أن رفض الاسلام وقبول دفع الجزية من أهل الكتاب أمر متعلق بالعقيدة الشخصية لكل فرد ، فرأى عمر بن عبد العزيز ضرورة صدور الرأى من الأشخاص أنفسهم ما دام متعلقا بعقيدة كل منهم ·

وان كان يكفى لذلك أن تعلن الدولة المتصالحة مع الدولة الاسلامية بين رعاياها عن عزمها على عدم ترك دينها الى لاسلام ودفعها الجزية وفى نفس الوقت تمنح الحرية لمن أراد ترك دينه ليدخل فى الاسلام ·

وقد نقل رأى عمر بن عبد العزيز صفوان بن عمر فقال :

« كان أئمة الجيوش من المسلمين قبل عمر بن عبد العزيز يصـالح الامام رؤوس أهل الحصن وقادتهم على ما تراضوا عليه دون علم بقية من فى الحصن من الرزم ، فنهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، وأمر امراء جيوشه أن لا يعملوا به ولا يقبلوه ممن عرضه عليهم حتى يكتبوا كتابا ويوجهوا به رسولا وشهودا على جماعة أهل الحصن (٥) ·

ويعلق أبو عبيد فى كتابه الأموال على ذلك فيقول :

« وهذا هو الوجه ، لأنهم ليسوا بمماليك ، فيجوز حكمهم عليهم ، الا أن يكون الاتباع غير مخالفين للرؤساء ، وعلى هذا يحمل ما كان من النبى صلى الله عليه وسلم لمن عقد وصالح من رؤساء أهل نجران وغيرهم ، أن ذلك كان على ملاء منهم ، وأن الأتباع غير خـــارجين لهم من رأى ولا مستكرهين عليه » (٦) ·

اقرار عقود الصلح السابقة :

وكان عمر بن عبد العزيز يقر عقود الصلح السابقة على عهده بعد أن يستوثق من صحتها ·

(٥ ، ٦) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٢٢ ·

فعن العلاء بن عائشة انه قال :

كتب الى عمر بن عبد العزيز أن سل أهل الرها ، هــل عندهم صلح ، فسألتهم فأتانى أسقفهم بدرج أو حق فيه كتاب ، فاذا فى الكتاب :

« هذا كتاب من عياض بن غنيم ومن معه من المسلمين لأهل الرها : انى آمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذراريهم ، ونســائهم ، ومدينتهم ، وطواحينهم ، اذا أدوا الحق الذى عليهم شهد الله وملائكته » .

فأجازه لهم عمر بن عبد العزيز (٧) .

جزية الأموات ومدى استحقاقها على ورثتهم :

يموت الذمى وعليه الجزية ، فهل تحصل من ورثته ؟

روى عن عمر بن عبد العزيز رأيان :

الرأى الأول : رواه عبد الرحمن بن جناده كاتب حيان بن سريح الذى بعثه الى عمر بن عبد العزيز ومعه كتاب يستفتيه أيجعل جزية موتى القبط على أحيائهم ؟ فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية الأموات على الأحياء .

الرأى الثانى : رواه عن معقل بن عبد الله عن عمر بن عبد العزيز أنه ليس على من مات أو من أبق جزية فلا تؤخذ من ورثته ولا يجعلها بمنزلة الدين لأنهم لم يكونوا ضامنين لذلك (٨) .

وازاء اختلاف وجهتى النظر ، نرى أن الجزية ضريبة سنوية شخصية تقع على الذمى فى حياته ، فاذا مات ولم تكن قد استحقت عليه جزية فى حياته فلا تستحق بعد وفاته حتى ولو ترك مالا آل لورثته ، أما اذا استحقت عليه جزية قبل وفاته ولم يؤدها وترك أموالا فتستأدى الجزية من ورثته لأن بيت المال دائن بمقدارها شأنها فى ذلك شأن ديون الغير التى تستحق على التركة وتتعلق بها ، اذ لا تركة الا بعد سداد الديون ، أما اذا لم يخلف تركة فلا تؤخذ من الأموال الخاصة بالورثة أنفسهم لأنهم كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لم يكونوا ضامنين لأداء الجزية .

تحديد أهل الجزية من الذميين وحقوقهم :

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله محددا أهل الجزية فقال :

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٦٧

(٨) المرجع السابق ص ٦١ .

« وانما آهل الجزية ثلاثة نفر : صاحب أرض يعطى جزيته منها وصانع يخرج جزيته من كسبه ، وتاجر يتصرف يعطى جزيته من ذلك ، وانما سنتهم واحدة » (٩) ٠

ويبدو أن الحالات التى ذكرها عمر بن عبد العزيز هى الحالات التى كانت سائدة فى عهده ، لأنه توجد فى المجتمع مهن أخرى يمتهنها أهل الكتاب ، كأرباب المهن الحرة ، وعلى ذلك يمكن القول ان ما ورد فى قول عمر بن عبد العزيز هو على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ٠ وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أن سنتهم واحدة ، ولعله قصد بذلك أن تكون معاملتهم واحدة ، من ناحية فرض الجزية واستحقاقها ومواعيد أدائها ، واعتبار من يدفع الجزية فى ذمة الدولة الاسلامية واذا أسلم رفعت عنه الجزية ، وهذا هو ما أوضحته فقرة أخرى من كتابه سالف الذكر فقال :

« فمن أسلم من نصرانى أو يهودى من أهل الجزية فخالط عم (عموم) المسلمين فى دارهم ، وفارق داره التى كان بها ، فان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه » (١٠) ٠

وأكد ذلك فى رده على عامله فى الكوفة كما يبين من الفقرة التالية :

حقوق من أسلم من أهل الكتاب :

أرسل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن (عاملة على الكوفة) الكتاب التالى :

كتبت الى تسألنى عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذنى أخذ الجزية منهم ، وان الله جل شأنه ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه فى ماله الصدقة ولا جزية عليه وميراثه لذوى رحمه اذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الاسلام، وان لم يكن له وارث فميراثه فى بيت مال المسلمين الذى يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففى مال الله الذى يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه ٠ والسلام (١١) ٠

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادىء التالية التى أمر عمر ابن عبد العزيز بتطبيقها :

---

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد ص ٨٢ ٠

(١٠) المرجع السابق ص ٧٩ ٠

(١١) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ص ١٣١ ، ١٣٢ ٠

ـ ليس على اليهود والنصارى بعد اسلامهم جزيــة مهما كانت حصيلتها قبل اسلامهم ٠

ـ يعامل المجوس معاملة أهل الكتاب فليس عليهم جزية ان أسلموا ٠

ـ بعث الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا ٠

ـ بعد اسلام اليهود والنصارى والمجوس يؤدون الصدقة على أموالهم اذا بلغت نصابا وفى حالة وفاتهم بعد اسلامهم تطبق على أموالهم التى تؤول لورثتهم أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية ٠

ـ اذا لم يكن لهم ورثة وتركوا أموالا عند وفاتهم تؤول لبيت مال المسلمين باعتبار أن بيت مال المسلمين وارث من لا وارث له ٠

ـ يتمتع من أسلم بما يتمتع به سائر المسلمين من عطاء بيت المال ٠

جواز بيع أهل الذمة ممتلكاتهم لأداء الجزية :

كب عمر بن عبد العزيز الى يحيى بن سعيد :

« ان ما باع القبط فى جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليده أو بعير أو بقره أو دابة فان ذلك جائز عليهم جائز لمن ابتاعه منهم غير مردود اليهم ان أيسروا (١٢) ٠

ومما سبق نستخلص المبادىء التالية :

ـ اذا استحق على ذمى جزية وأصبح مدينا بها يجوز له بيع بعض ممتلكاته لأداء الجزية اذا كان معسرا ٠

ـ ولمن ابتاع منه هذه الممتلكات أن يتمسك بصحة عقد البيع ولا يردها الى من باعها اذا أيسر بعد عسر ورغب فى استرداد ما باعه ٠

ـ لا تسرى هذه القاعدة على الأرض التى تحت أيدى أهل الذمة لأن البلد اذا فتحت عنوة كانت أرضها فيئا للمسلمين (١٣) ، ولا يجوز لأهل الكتاب التصرف فيها اذا كانوا يزرعونها ٠

(١٢ ، ١٣) فتوح مصر واخبارها ـ تاليف ابى القــاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم بن أيمن القرشى ٠ تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ١٠٦ ٠

جواز كراء أهل الذمة لأرضهم :

يستكمل عمر بن عبد العزيز كتابه السابق فيقول :

« وما آكروا من أرضهم فجائز كراؤه الا أن يكون يضر بالجزية التى عليهم ، فلعل الأرض أن ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم ، وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراءها جائزا لمن تكاراها منهم » ٠

ومما سبق يمكن استخلاص المبادىء التالية :

ـ الأرض فى البلاد التى فتحت عنوة فىء المسلمين وملك لهم ٠

ـ يجوز ابقاء الذميين على الأرض لاستغلالها وأداء الخراج عنها كما فعل عمر بن الخطاب ٠

ـ وفى رأى عمر بن عبد العزيز يجوز لهم كراء الأرض ٠

ـ اذا كان الكراء يضر بالجزية كأن كانت قيمة الكراء أقل من عائد استغلال الأرض وكان ذلك مما يقلل من أموال الذمى فلا يستطيع أداء الجزية المستحقة عليه ، فلا يجوز كراء الأرض ٠

ـ اذا كان الذمى قد أدى الجزية فلا اعتراض على الكراء ٠

طريقة تحديد الجزية بمصر فى عهد عمر بن عبد العزيز :

يتبين مما سبق أن هناك ثمة علاقة بين الجزية والأرض ، مع أنه ليس على الأرض جزية وانما عليها الخراج والجزية على الرؤوس ، ويبدو أنه بمصر كانت الجزية على الرؤوس طبقا للمبدأ العام ولكن كانت تحـــدد بطريقتين جزء منها مخصص على رؤوس الرجال وجزء عام يكون على رؤوس أهل القرية ، وتكون أرض أهل القرية ضامنة للجزية التى عليهم ٠

فيقول يحيى بن سعيد :

« الجزية جزيتان : فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التى عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فانا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين » (١٤) ٠

---

(١٤) المرجع السابق ص ١٠٦ ٠

أداء الجزية لا يبيح للذمى الاتجار فى الخمر :

أداء الجزية يجعل أهل الكتاب فى ذمة الدولة الاسلامية فيكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، الا اذا كان من بين هذه الأموال خمور فيمنع ضررها عن المسلمين وقد فعل عمر بن عبد العزيز ذلك فأمر بتحويلها الى خل وعدم اهدارها لأنها مال من أموال أهل الذمة فينبغى عدم اهدارها وفاء من المسلمين بعهدهم بحماية أموال أهل الذمة ٠

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ـ وهو عامله على الكوفة ـ أن لا تحمل الخمر من رستاق الى رستاق (١٥) وما وجدت منه فى السفن فصيره خلا (١٦) ٠

فكتب عبد الحميد الى عامله بواسطة محمد بن المنتشر بذلك ، فأتى السفن فصب فى كل راقود (١٧) ماء وملحا فصيره خلا (١٨) ٠

---

(١٥) من متجر لمتجر أو من بلد لآخر ٠
(١٦) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ١٣٤ ٠
(١٧) الراقود : دن كبير يطلى داخله بالقار ٠
(١٨) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ ٠

الفصل الثانى

الاصلاح المالى لخراج الأرض وعشور التجارة

الاصلاح المالى لخراج الأرض

الأسس العامة لاصلاح خراج الأرض :

قام اصلاح عمر بن عبد العزيز لخراج الأرض على الأسس التالية :

- وضع قواعد مفصلة لتحديد خراج الأرض .
- توضيح حكم المعاملات فى أرض الخراج .
- التأكيد على عدم تعذيب أرباب الخراج .
- توضيح بعض حالات احياء الأرض .
- تحقيق المساواة فى الانتفاع بأرض الحمى .

واهتمام عمر بن عبد العزيز باصلاح الخراج يؤدى الى اصلاح الأرض وانتاجها ، وهذا الاهتمام يقيم أمر الاسلام ، الذى اهتم اهتماما بالغا بالأرض وخصوبتها فقد تعرض القرآن الكريم للأرض فى مواضع عدة حتى بلغ ما ورد ذكره معرفا بالألف واللام أربعمائة وخمسين موضعا،كما ربط الاسلام بين خصوبة الأرض وانتاجيتها وقسمها طبقا لدرجة خصوبتها فيقول الله سبحانه وتعالى :

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (الأعراف/٥٨) (١) .

---

(١) للمزيد فى هذا الشأن يرجع لكتابنا ـ الاطار الأخلاقى لمالية المسلم ص وما بعدها طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفيما يلى تفصيل حالات الاصلاح المالى التى قام بها عمر بن عبد العزيز :

تحديد قواعد خراج الأرض :

كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بشأن خراج الأرض ما يلى (٢) :

« انظر الأرض ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامر على خراب ، وانظر الخراب فان أطاق شيئا فخذ فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يحمل شيئا ، وما أجدب من العامر من الخراج فخذه فى رفق وتسكين لأهل الأرض وآمرك أن لا تأخذ فى الخراج الا وزن سبعة ليس فيها تبر ولا أجور الضرابين ولا اذابة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج (٣) ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض » .

ومن الكتاب السابق يمكن استخلاص المبادىء التالية بشأن خراج الأرض فى عهد عمر بن عبد العزيز :

ـ بدأ عمر بن عبد العزيز كتابه بطلب نظر الأرض ، أى دراسة أحوالها وموقفها ودرجة خصوبتها للوصول لمدى احتمالها للخراج ، حتى يتسم ما يؤخذ منها من خراج بالعدل ، فلا تحمل الأرض ما لا تطيق ، وهذا هو المبدأ الذى وضعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حينما رفض تقسيم ما غنمه الفاتحون من أرض بينهم وآثر ان يبقيها ملكا للدولة ويفرض عليها الخراج وقال لمن أرسلهما ليحددا الخراج على أرض العراق بعد فتحها :

« لعلكما حملتا الأرض ما لا تطيق ، فقال أحدهما وهو عثمان بن حنيف « حملت الأرض أمرا هى له مطيقة » . وقال الآخر هو حذيفة بن اليمان « وضعت على الأرض أمرا هى له محتملة وما فيها كثير فضل »

ـ تضمن الكتاب نهيا عن تحميل أرض خراب على أرض عامر ولا تحميل أرض عامر على خراب ، لأن تحميل أنواع الأرض على بعضها ، الخراب منها على العامر والعامر منها على الخراب ، يؤدى الى النظر الى

---

(٢) الكتاب من حديث لعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه ورد فى كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٨٦ .

(٣) الفيوج : جمع (فيج) وهو رسول البريد .

الأرض كلها عند تحديد خراجها نظرة شمولية فلا يتسم تحديد الخراج بالدقة التى تتحقق اذا تم تحديد الخراج بالنسبة لكل أرض على حدة ، والنظرة الشمولية تؤدى الى غبن صاحب الأرض اذا حدد الخراج بأعلى مما تطيق الأرض أو غبن بيت المال اذا هبط الخراج عما تطيق .

ـ حدد الكتاب طريقة استئداء الخراج من كل نوع على حده ، فلا يؤخذ من الخراب الا القليل الذى يطيقه ان كان يطيق شيئا ، وعلى المختصين أن يبحثوا أسباب خراب الأرض ويعمروها ، لأن التعمير يزيد الانتاج العام ويرفع المدخل القومى ويساهم فى التموين الغذائى للشعب وينمى خراج الدولة .

كما أن العامر من الأرض قد لا يؤتى فى سنة ما محاصيل كافية لاستئداء الخراج منها بسبب أحوال جوية أو آفات زراعية أو بسبب هبوط درجة خصوبة الأرض نفسها ، فاذا أدت هذه العوامل الى توقف الأرض عن الانتاج فلا يؤخذ منها خراج واذا انتجت شيئا يسيرا فيؤخذ منها الخراج فى رفق بما يتناسب مع اليسير الذى أنتجته حتى لا يهجر الزارعون أراضيهم اذا التهم الخراج غير العادل معظم انتاجها .

وربط عمر بن عبد العزيز خراج الأرض بدرجة جودتها يؤيده ما يذهب اليه الفنيون حديثا من وجود علاقة بين نوعية الأرض والمحاصيل التى تنجح زراعتها بها ، فيقسمونها من حيث علاقة بعض خواصها وانتاجية المحاصيل وتكاليف هذه الانتاجية على النحو التالى : (٤)

نوع الأرض وما تنتجه	الرى	الصرف	الملوحة	القلوية
أرض تنمو فيها جميع المحاصيل وتعطى أكبر نتاج بأقل تكاليف .	جيد	جيد	عالية	عالية
أرض تنتج أغلب المحاصيل غير الحساسة للملوحة وتعطى أكبر انتاج بتكاليف قليلة نسبيا .	جيد	متوسط	متوسط	ضعيف
أرض لا تجود بها معظم المحاصيل الحقلية وتعطى محصولا متوسطا بتكاليف متوسطة .	متوسط	ردئ	عالية	متوسط
أرض محدودة الإنتاج تحتاج إلى مصاريف خدمة زراعية متوسطة أو عالية طبقا لحالة الإنتاج .	متوسط	ردئ	عالية	عالية

(٤) من بحث للدكتور / أحمد محمود بدوى ـ بمعهد بحوث الأرض ـ مجلة الارشاد الزراعى ـ عدد مايو ويونيه ١٩٨٠ ـ ص ٣٧ .
وورد بكتابنا الاطار الأخلاقى لمالية المسلم ـ ص ١٠٢ .

– حدد الكتاب قيمة الخراج بوزن سبعة وحدات من وحدات الوزن التى كانت سارية فى ذلك العهد ٠

نفقات معينة حددها الكتاب :

هذا ويتضمن كتاب عمر بن عبد العزيز فى ختامه قاعدة هامة وهى أنه لا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، لأنه ان أسلم صاحب الأرض ولم تكن أرضه قد آلت للمسلمين كغنيمة بعد فتحهم للبلاد ، فلا تعتبر فيئا للمسلمين ، وباسلامه تجب عليه الزكاة على محصولات أرضه ٠

وقد يحدث أن يكون تحت يد شخص من أهل الكتاب أرض آلت للمسلمين بسبب الفتح للبلاد أو نتيجة صلح وتضمنت شروط الصلح أيلولة الأرض للمسلمين ، وهذه الأرض يستحق عليها الخراج ، فاذا أسلم هذا الشخص فهل يدفع الزكاة على محصولاته وهى ركن من أركان الاسلام ؟ أم يدفع الخراج عن الأرض باعتبارها ملكا للمسلمين ؟ أم يدفع الاثنين معا ٠ يرى عمر بن عبد العزيز أنه يدفع الاثنين معا ٠

فقد قال عمرو بن ميمون بن مهران :

سألت عمر بن عبد العزيز « المسلم تكون فى يده أرض خراج فيطلب منه العشر (اى الزكاة) فيقول (أى المسلم) أنما على الخراج ٠

فقال عمر بن عبد العزيز : الخراج على الأرض والعشر على الحب(٥) ٠ والواقع أن هذا الحكم يؤدى الى ازدواج العبء على الزارع لأنه يقع عليه عبئان فى وقت واحد وهما خراج الأرض وزكاة الزرع ٠

وضع خاص لأهل مكة :

لا يفرض خراج على أرض مكة ، لأن أرضها حرام حرمها الله ، وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان مكة حرام حرمها الله لايحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها » ٠

وكان عمر بن الخطاب ينهى أن تغلق دور مكة دون الحاج ويسكن الحجاج فى الدور الخالية ٠ وطبق عمر بن عبد العزيز حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى أمير مكة كتابا أمره :

---

(٥) الأموال لأبى عبيد ص ١١٤ ٠

« ان لايدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهـم » (٦) ٠

الأرض فيء المسلمين فلا يجوز للذميين بيعها :

اذا افتتح المسلمون بلدا أعتبرت أرضها من الغنائم وتصبح ملكا للمسلمين عامة ، فاذا أبقت الدولة الاسلامية ملاكهـــا السابقين عليها لزراعتها فلا يجوز لهم التصرف فيها بالبيع ، لأنهم بذلك يكونون قـد باعوا مالا يملكون ، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله فقال : « أما بعد فحل بين أهل الأرض وبين بيع ما فى أيديهم فانهم انما يبيعون فيء المسلمين » (٧) ٠

عدم بيع الآلات الزراعية :

يحدث أن يطالب عمال الخراج القائمين على أرض الخراج من أهل الكتاب بالخراج المستحق عليهم ، فلا يؤدون ما عليهم من الخراج فيلجأ عمال الخراج الى بيع بعض ممتلكاتهم لأداء الخراج المستحق لبيت المال ٠

وقد نهى عمر بن عبد العزيز أن تبـــاع آلات أهل الذمة استئداء للخراج المستحق عليهم لأن ذلك يعطل الانتاج العام ويؤدى الى تناقص الخراج ، فقد كتب لعماله « أن لا يباع لأهل الذمة آلة » (٨) ٠

مبادىء عامة للعاملين بالخراج :

كان ميمون بن مهران قاضي الجزيرة وعلى خراجهـــا فى عهـد عمر بن عبد العزيز فكتب اليه يشـكو شدة الحـكم والجباية ، فكتب اليه عمر :

« انى لم أكلفك ما يعنيك ، اجتن الطيب واقض بما استبان لك من الحق ، فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو أن الناس اذا ثقل عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا » (٩) ٠

فمما كتب عمر يمكن استخلاص المبادىء التالية بشأن واجبـات القائمين على الخراج :

---

(٦) المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ ٠

(٧) المرجع السابق ص ١٢٢ ٠

(٨) المرجع السابق ص ١٢٢ ٠

(٩) الخراج لأبى يوسف ص ١١٤ ــ مرجع سابق ٠

ـ لا يكلف عمـال الخراج بأعمال واختصـاصات وأعبـاء فوق ما يستطيعون لأن فى ذلك عناء لهم وعدم اتقان لأعمال الخراج ٠

ـ لا يجبى عمال الخراج الا الطيب من الأموال ، فيعدل فى الجباية ويحسن فى المعاملة ويبعد عن الجور والظلم ٠

وكان عمر بن الخطاب اذا أتاه خراج االعراق يخرج اليه عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شـــهادات أنه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد (١٠) ٠

ـ اذا صادف عامل الخراج صـــعوبة فى التطبيق بسبب غموض النص والتبـاس التفسير ، يطلب رأى المشرفين عليه ممن اختصــــوا بالتفسير والافتاء ٠

ـ لا ينبغى أن يتصف عامل الخراج بالسلبيـة فيعالج الحالات السهلة ويترك تلك التى تتطلب جهدا ٠

عدم تعذيب أهل الخراج :

كتب عدى بن ارطأة وهو أحد عمال عمر بن عبد العزيز اليه ما يلى :

« أما بعد فان أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم حتى يمسهم شيىء من العذاب » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز ما يلى :

« أما بعـد فالعجب كل العجب من استئذانك ايـاى فى عذاب البشر كأنى جنة لله من عذاب الله وكأن رضاى ينجيك من سخط الله ، اذا أتاك كتابى هذا فمن أعطاك ما قبله عفوا والا فاحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب الى من أن ألقاه بعذابهم ، والسلام » ٠

وعمر بن عبد العزيز ينهيه عن تعـــذيب أهل الذمة فى الخراج إنما يطبق نهى رسول الله عن تعذيب الناس ، فقد حدث هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد أنه مر على قوم قد أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟

فقيل له : أقيموا فى الشمس فى الجزية ، فكره ذلك ودخل على أميرهم ٠

وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من عذب الناس عذبه الله » (*) ٠

---

(١٠) المرجع السابق ص ١٢٥ ٠

(*) المرجع السابق ص ١٢٥ ٠

احياء الأرض :

طبقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من يقوم باحياء أرض غير مملوكة لأحد وكانت هذه الأرض ميتة تؤول اليه ملكيتها ٠

فقد قال صلى الله عليه وسلم « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وما أكلت العافية منها فهى له صدقه » ٠

وسار الخلفاء الراشدون على تطبيق سنة الرسول ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب على المنبر ويقول « يا أيها الناس من أحيا أرضا ميتة فهى له » ٠

وطبق عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفس المبدأ العام ٠

فعن حكيم بن رزيق قال :

« قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز الى أبى

« أن من أحيا ارضا ميتة ببنيان أو حرث مالم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم أو أحيوا بعضها وتركوا بعضا فأجز للقوم احياءهم الذى أحيوا ببنيان أو حرث (١١) ٠

وعن يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود الخولانى :

« أن عمر بن عبد العزيز كان يقضى فى الرجل اذا أخذ الأرض فعمرها وأصلحها ثم جاء صاحبها يطلبها : انه يقول لصاحب الأرض : ادفع الى هذا ما أصلح فيها فانما عمل لك » (١٢) ٠

وكان عمر بن عبد العزيز يقول أيضا :

« من غلب الماء على شيء فهو له » (١٣) ٠

فتكون سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن احياء الأرض قامت على الأسس التالية :

ـ من أحيا ارضا ميتة ليست ملكا لأحد فهى له ٠

ـ الاحياء يكون بكافة الطرق بالزراعة أو باقامة المبانى بعد تمهيد الأرض أو حسر الماء عنها كان كانت مستنقعا فجففها حتى صارت صالحة٠

---

(١١) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٦٩ ٠

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٧ ٠

(١٣) المرجع السابق ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ٠

ـ اذا أحيا شخص أرضـــا مملوكة للغير ، يمكن لصاحبهـا أن يستردها بعد أن يدفع تكاليف احياء الأرض لمن أحياها ، أو يدفع من أحياها للمالك ثمن أرضه وتؤول اليه ٠

حالة تطبيقية :

يورد أبو عبيد فى كتابه الأموال حالة عملية أصدر فيها عمر بن عبد العزيز حكمه فكان رسول الله قد سلم بلالا أرضا ، فباعوها بنو بلال الى الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز ، فلما استثمرتها الدولة استخرجت منها معادن فطالب بنو بلال بزيادة فى الثمن قائلين انهم باعوا الأرض على أنها أرضا زراعية ولم يبيعوا ما استخرج منها من معادن ٠

فرد اليهم عمر بن عبد العزيز ما اســتخرج من معــادن بعد أن خصم منها قيمة ما أنفق فى استخراجها (١٤) ٠

سياسة حمى الأرض :

من بين أراضى الدولة الاسلامية نوع من الأرض ينبت فيها الكلأنبتا طبيعيا بغير حرث أوغرس أوسقى من احد ، فتبيحها الدولة للناس جميعا ليرعوا فيها أنعامهم ولا يجوز لأحد أن يحمى هذه الأرض اى يحيطها بسور يمنعها عن الناس ، الا أنه يجوز للدولة أن تحمى هذه الأرض فى سبيل الله ، فقد حماها رسول الله صلى الله عليه وسلم لايواء الخيل الغازية فى سبيل الله وحماها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعده للخيل الغازية فى سبيل الله ولايواء أنعام الصدقة بعد أخذها من المتصدقين تمهيــدا لتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين ٠

وقد قامت سياسة عمر بن عبد العزيز بشأن حمى الأرض على أن يطبق ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده وأباح للجميع بدون استثناء الانتفاع بها ولا يفضل فى ذلك صاحب سطوة أو جاه أو سلطان على غيره من المسلمين ، فأذاع على ولاته وعماله تعليمات تقول :

« ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نقم الصدقات ، فيكون فى ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات ، وانما الامام كرجل من المسلمين ، انما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء » (١٥) ٠

---

(١٤) المرجع السابق ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ٠

(١٥) ابن الحكم وسيرة عمر بن عبد العزيز ـ تعليق : أحمد عبيد ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ٠ص ٨١ ٠

الاصلاح المالى لعشور التجارة

اسس الاصلاح :

قام اصــلاح عمر بن عبد العزيز لضريبــة عشور التجــارة على الأسس التالية :

ــ توضيح مبادئهــا ٠

ــالغاء ضرائب متداخلة معها ٠

ــ الافتاء فى ضريبة العشور على الخمر ٠

وهو اصلاح ينبع من تعاليم الدين خصوصا فى الضريبة على الخمر لأن الله تعالى يقول : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة/من ٩٠) ٠

وفيما يلى تفاصيل أسس الاصلاح :

توضيح مبادىء عشور التجارة :

عشور التجارة هى الضرائب على أموال التجارة الصادرة من البلاد الاسلامية والواردة لها ، وقد أوضــــحنا أن أول من وضعها فى الدولة الاسلامية عمر بن الخطاب ، فقد كتب اليه أبو موسى الأشعرى يذكر له أن تجار المسلمين اذا أتوا أرض الحرب يأخذون منهم العشر ، فكتب اليه عمر أن يأخذ من الحربيين اذا مروا ببلاد الاسلام كما يأخذون من تجار المســلمين ، ومن أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين عن كل أربعين درهما درهما أى ربع العشر وليس فيما دون المائتين من الدراهم شىء ، فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد بحسابه ٠

وتعتبر البلاد بلاد حرب اذا كانت الأحكام الظاهرة غير اسلامية وتعتبر دار اسلام اذا كانت الأحكام المنفذة اسلامية (١٦) ٠

ويبدو أنه بمرور الوقت بعد عمر بن الخطاب وفى أيام خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز لم يكن الأمر واضحا فى التطبيق فأصدر بشأن هذه الضريبة عدة تعليمات وهى :

حدث يحى بن سعيد عن زريق بن حيان ـ وكان على مكس مصر ـ فذكر أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب ما يلى :

« انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم العين ومما ظهر من التجارات من كل أربعين ، دينارا ، وما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين دينار ، فان نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها شيئا ، واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها ولا تأخذ منها شيئا وأكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول » ٠

ويتضح من الكتابين السابقين أن عمر بن عبد العزيز طبق نفس الفئات التى كان يطبقها عمر بن الخطاب على تجار المسلمين باعتبار أن ما يحصل منهم زكاة وطبق كذلك نفس الفئات على تجار الذميين ، وأمر بأن يعطوا ايصالا بما دفعوه ٠

ولم توضح تعليمات عمر بن عبد العزيز فئات من يمر من التجار غير المسلمين وغير أهل الذمة وهم تجار البلاد التى لا تطبق الشريعة الاسلامية ، ويبدو أن الأمر بشأنهم كان واضحا لم يتطلب صدور تعليمات ٠

الغاء ضرائب متداخلة مع عشور التجارة :

يبدو أن خلفاء بنى أمية قبل عمر بن عبد العزيز فرضوا ضرائب اضافية تحت أسماء مختلفة ، فأمر عمر بن عبد العزيز برفعها عن الناس وقد أشار كتابه الى تلك الضرائب وهى الفدية والمائدة والمكس ٠ فعن يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبيه قال :

---

(١٦) انظر كتابنا النظم المالية فى الاسلام ـ طبعة ثالثة ص ١٠٩ وما بعدها ٠

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « أن ضع عن الناس الفدية وضع عن الناس المائدة وضع عن النـاس المكس ، وليس بالمكس ولكنه البخس الذى قال الله تعالى فيه ــ ولا تبخسوا الناس أشـــياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ــ فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن لم يأتك فالله حسيبه » ٠

ويعتبر ما آجراه عمر بشأن رفع ما كان يجبى من الناس بغير حق من الاصلاحات الهامة للنظام المالى فى عهده ، لأن تلك الفرائض تثقل كاهل الناس وتخل بالعدالة المالية وتولد السخط على الحكم والحكام ٠

نسف بيت المكس :

لم يكتف عمر بن عبد العزيز بالغاء الضرائب الاضافية التى فرضت على الناس بغير حق ، بل أمر بنسف دار الدولة التى كانت تحصلهـا من الناس ٠ فقد كتب الى عبد الله بن عوف النارى :

« أن اركب الى البيت الذى برفح الذى يقال له « بيت المكس » فاهدمه ثم احمله الى البور فانسفه فيه نسفا »

ويعرف المكس بأنه ما يأخذه أعوان الدولة على أشياء معينة عند بيعها او عند ادخالها المدن وجمعـه مكوس والماكس والمكاس من يأخذ المكس ويقال له أيضا صاحب المكس ٠

وعن عقبة بن عامر أنه سمع رســول الله صــلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » ــ رواه الامام أحمد وأبو داود وصححه على شرط مسلم ٠

ويبدو أن سبب تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكس أنها تعتبر من الضرائب غير المباشرة وهى تتسم عادة بالظلم لأنها لا تقع على الدخل أو الثروة المباشرة لدافعهـا ، بل تفرض على السلع فترفع أثمانها ، فلا يستطيع أصحاب الدخول المحدودة الحصول عليها ، واذا حصلوا عليها تكلفوا نظير ما يدفعونه كثمن لها ما لا يطيقون ٠

ليس على الخمر عشور :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » ، فيحدث أن يمر على الموانى الاسلامية تجــــار من أهل الذمة يحملون خمرا ، وبناء على ذلك لا يحل فى الماليـــة العامة الاسلامية أن

يؤخذ عنها عشور التجارة لأنه لما كان ثمنها أو قيمتها محرمة أصـــلا فاستقطاع جزء من قيمتها كعشور يعتبر بالتالى محرما لأنه اذا كان مصدر العشور محرما كانت العشور نفسها محرمة وذلك هو ما أشار به عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

فقد كتب الى عدى بن ارطاة : أن ابعث الى بفضـــل الأموال التى قبلك من أين دخلت ؟ فكتب اليه بذلك وصنفه له : فكان مما كتب اليه « من عشر الخمر أربعة آلاف درهم » .

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز : انك كتبت الى تذكر من عشور الخمر أربعة آلاف درهم ، وان الخمر لا يعشرها مســلم ولا يشتريهـا ولا يبيعها ، فاذا أتاك كتابى هذا فاطلب الرجـل فأرددها عليه فهو أولى بما كان فيها (١٧) .

فطلب عدى الرجل ورد عليه الأربعة آلاف درهم وقال أستغفر الله أنى لم أعلم ، وعمر بن عبد العزيز يقتدى فى ذلك بعمر بن الخطـاب رضى الله عنه .

فقد بعث عمر بن فرقد الى عمر بن الخطـاب بأربعـة ألف درهم صدقة الخمر ، فكتب اليه عمر : « بعثت الى بصدقة الخمر ، وأنت أحق بها من المهاجرين وأخبر بذلك الناس (وفى هذا تقريع من عمر بن الخطاب لعامله لأنه أولى بهذا المال الخبيث من المهاجرين الذين يتعففون عن أكل المال الخبيث) (١٨) .

ويثير ذلك نقاشا فى تطبيق ذلك فى العصر الحديث حيث تجبى الدولة ضرائب على انتاج الخمور وتجارتها تغذى بها مواردها العامة ، فهل تعفيها من الضرائب مع أن هذا الاعفاء يؤدى الى زيادة أرباح صنع الخمور وتجارتها ؟ وللرد على ذلك نقول انه فى الدول الاســلامية التى تطبق أحكام الشريعة الاسلامية ينبغى أن يمنع انتاج الخمور فلا ترخص بانشاء مصانعها وتصادر ما يقام بها من مصانع الخمر لأنها أقيمت بغير ترخيص من الدولة وتمنع كذلك تجارتها لأن انتاج الخمر وبيعها وشربها يخالف حكم الاسلام الذى اتخذته الدولة الاسلامية دستورا لها .

(١٧ ، ١٨) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٦٤ .

الباب الخامس

اصلاح الانفاق العام ونماذج منه

الفصل الأول

اصلاح الانفاق العام

الأسس العامة لاصلاح الانفاق العام :

الانفاق من الايرادات العامة للجزية والخراج وعشور التجارة انفاق عام غير مخصص لوجوه معينة كالانفـــاق من ايرادات الزكاة وخمس الغنائم ، وعلى ذلك فهو انفاق عام يوجه لجميع أوجه الانفاق التى يتطلبها نشاط الحكومة ومصالح الرعية ، كمخصصات رئيس الدولة وأجور العاملين بها ومرتباتهم ونفقات ادارة الدواوين والمصـــالح الحكوميـــة ومستلزماتها وتكاليف الخدمات العامة للشعب من أمن داخلى وخارجى وتعليم وصحة واقامة العدل بين الناس كما يمتد هذا النوع من الانفاق العام ليشمل أية مشروعات عامة تقيمها الدولة كتمهيد الطرق وشـق القنوات واقامة دور العبادة أو مد خطوط النقل والمواصلات وغيرها •

وقد قام اصلاح عمر بن عبد العزيز للانفـاق العـام على الأسس التاليـــة :

- زهد رئيس الدولة وعائلته فى الأموال العامة •
- رفض رئيس الدولة الهدايا وتحريمها على عمال الدولة •
- اعلان أن الأموال العامة أموال الشعب •
- ترشيد الانفاق العام وترتيبه طبقـا لأولويات تحقق المصلحة العـامة •
- الاستمرار فى أنواع الانفاق المشروعة اللازمة للدولة •

والأسس السابقة للاصلاح نبعت من مشـكاة الدين الاسـلامى ، وبذلك يكون عمر بن عبد العزيز قد أقام أمر الدين فى دائرة الانفاق

العام . فزهده فى المال العام كان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الهدايا وهو رئيس دولة كان لأنها تعتبر فى حكم الاسلام غلول ومن غل أتى بما غل يوم القيامة وأسسه الأخرى لاصلاح الانفاق العام تحركت فى دائرة آيات القرآن المجيد التى طالبت المؤمنين بالانفاق من طيبات ما كسبوا وأن يكون انفاقهم مرشدا خاليا من الاسراف والاقتار وأنه كما يكون انفاقهم علنيا يكون سريا وكما يكون فى السراء يكون فى الضراء الى غير ذلك من الأحكام التى تناولت الانفاق بصفة عامة بحيث تسرى على الانفاق الخاص والعام (١) .

وفيما يلى تفاصيل اصلاح الانفاق العام فى عهد عمر بن عبد العزيز :

زهد رئيس الدولة وعائلته

شمول زهد عمر بن عبد العزيز :

كان زهد عمر بن عبد العزيز عن الأموال زهدا شاملا كاملا ، وفى ذلك قال مالك بن دينار : « يقولون مالك زاهد ، أى زهد عندى . انما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة » .

وتناظر أبو سليمان الوردانى وأبو صفوان فى عمر بن عبد العزيز وأويس القرنى .

فقال أبو سليمان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس .

فقال أبو صفوان : ولم ؟

قال أبو سليمان : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها .

فقال أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر .

فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لا يجرب ، ان من جرت الدنيا على يديه ليس لها فى قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وان لم يكن لها فى قلبه موضع (٢) .

---

(١) للمزيد انظر كتابنا « النظم المالية فى الاسلام » طبعة ثالثة ص ١٣٥ ـ ١٤٢ اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير القرشى ـ تعليق أحمد الشرباصى مرجع سابق ص ٩٠ .

نماذج من زهده :

ـ رد عمر بن عبد العزيز فدك الى بيت المال ، فجمع رؤوس الناس وخطبهم فقال :

« ان فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك » ـ قال الأصمعى : وما أدرى ماذا قال فى عثمان ـ قال : ثم ان مروان أقطعها ، فحصل لى منها نصيب ، ووهب لى الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالى شئ أرده أغلى منها وقد رددتها فى بيت المال ، على ما كانت عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكانت فدك قرية بخيبر ، وكانت فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لابن السبيل فسألته ابنته اياها فأبى الرسول ، فولى أبو بكر فسلك مسلك النبى ثم عمر ثم عثمان كذلك ، فلما ولى معاوية طلبها منه مروان فأعطاه اياها ، فكان يبيع ثمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم ، ثم نزعها من يده فكانت بيد وكيله بالمدينة ثم ولى مروان الحكم فآلت اليه فأعطى ابنه عبد الملك نصفها فوهب عبد العزيز حقه لولده عمر ولما توفى عبد الملك طلب عمر الى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب الى سليمان حقه فوهبه له ثم وهب له الباقون حقوقهم ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وأعلن التنازل عنها لبيت المال ، كتب الى ابن حزم يقول :

« انى نظرت فى أمر فدك فاذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فاقبضها ولها رجلا يقوم فيها بالحق والسلام عليك » (٣) .

ـ وتخلى عمر بن عبد العزيز أيضا عن كل ما كان بيده من قطائع غير فدك وهى المكيدس وجبل الورس باليمن وقطائع أخرى باليمامة (٤) .

ـ ويذكر المؤرخون أنه كان يعيش على قطعة أرض صغيرة بالسويداء كان اشتراها بكده ، فكانت تأتيه غلتها كل سنة بمائتى دينار وقيل بمائة وخمسين أو أكثر قليلا (٥) وتخلى عن مخصصاته من بيت المال .

---

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ابن الجوزى ص ١٠٩ ، عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .

(٤) سيرة عمر ـ لابن الجوزى ص ١١٠ وعمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٦ .

(٥) المرجع السابق ص ١١١ .

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ من بيت المال بالحق وأنه حدد نصيبه من بيت المال بعد أن استشار الصحابة ، أجاب بأن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى عن بيت المال ، وراح يردد قول الله جل وعلا :

« تلك الدار الآخرة نجعلهـــا للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (القصص / ٨٣) ٠

– كان دخله كل سنة – قبل أن يلى الخلافة ٠٠ أربعين ألف دينار فترك ذلك كله لبيت المال (٦) ٠

– رد فص خاتم فى يده الى بيت المال وقال :

« أعطانيه الوليد من غير حقه » (٧) ٠

– كان قبل الخلافة يؤتى له بالقميص الرفيع اللين جدا ٠

فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولى الخلافة كان يلبس القميص الغليظ المرقوع ويقول : ما أحسنه لولا لينه (٨) ٠

– وقد زهد عمر بعد الخلافة وكان قبلها مفرطا فى النعيم فقد قيل : « كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفهـا وتملــكا ٠ غذى بالملك ونشأ فيه ، لا يعرف الا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى العمرية ، فكان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبخترہ فيها ، وانه ترك كل شىء كان فيه لما استخلف غير مشيته ، فانه لم يستطع تركها فربما قال لمزاحم : ذكرنى اذا رأيتنى أمشى فيذكره فيخلط ثم لا يستطيع الا أياها فيرجع اليها » (٩) ٠

– وقد بلغ من رغبة عمر فى الزهد أنه كان يعتبر أن النعيم الذى كان فيه قبل الخلافة نبت من فىء المسلمين وأن زهده بعد الخلافة عن المال العام بمثابة رد لما أخذه من فىء ، فلم يؤثر نفسه بزيادة فى الفىء ولم يرزق منه شيئا الا عطاءه مع المسلمين فقد حدث أن جرت بينه وبين ابن أبى زكريا المناقشة التالية :

(٦ ، ٧) عمر بن عبد العزيز – لابن كثير – تعليق أحمد الشرباصى ، مرجع سابق ص ٩٣ ٠

(٨) المرجع السابق ص ٩٤ ٠

(٩) سيرة عمر بن عبد العزيز – لابن عبد الحكم – تعليق أحمد عبيد – طبعة ثانية ص ٢٢ ٠

قال ابن أبى زكريا : يا امير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بشىء ٠

قال عمر : قل ٠

قال : قد بلغنى أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار ٠

قال عمر : نعم ٠

قال : ولم ذلك ؟

قال عمر : أردت أن أغنيهم عن الخيانة ٠

قال : فأنت أمير المؤمنين أولى بذلك ٠

فأخرج عمر ذراعه وقال : يا ابن أبى زكريا ان هذا نبت من الفىء ولست معيدا اليه منه شيئا أبدا (١٠) ٠

ـ وكان زهده بعد الخلافة بالرغم من توفر الأموال العامة وبالرغم من أن الأموال العامة التى زهد فيها كانت ستوجه لأداء الحج ٠

فقد قال عمر لمولاه مزاحم : انى قد اشتهيت الحج فهل عندك شىء ؟

قال مزاحم : بضعة عشر دينارا ٠

قال عمر : وما تقع منى ٠

فمكث مزاحم قليلا ثم قال : يا أمير المؤمنين تجهز فقد جاءنا مال سبقه عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان ٠

قال عمر : اجعلها فى بيت المال ، فان تكن حلالا فقد أخذنا منها ما يكيفنا وان تكن حراما فكفانا ما أصبنا منها (١١) ٠

وقبل عمر بن عبد العزيز حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسب نفسه على نفقات الحج ٠

فقد قال يسار بن نمير : سألنى عمر كم أنفقنا فى حجتنا هذه ؟

قلت : خمسة عشر دينارا (ويروى أنه أنفق ثمانين ومائة درهم) ٠

فقال عمر : قد أسرفنا فى هذا المال ٠

قال هذا مع أن الرحلة كانت رحلة متقشفة لدرجة أنه كان يستظل من شدة القيظ بالقاء ثوب على شجرة ويستظل تحتها ٠

---

(١٠) المرجع السابق ـ ص ٣٩ ٠

(١١) المرجع السابق ـ ص ٥٣ ٠

فقد قال عبد الله بن عامر بن ربيعه « صحبت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فى الحج ثم رجعنا ، فما ضرب له فسطاطة ولا جفاء ولا كان له بناء يستظل به ، انما يلقى نطفا أو كساء على شجرة فيستظل تحته » (١٢) ٠

– ولم يبن لعمر بن عبد العزيز بناء فى أيام خلافته وكان يخدم بنفسه ٠

ويقول : ما تركنا شيئا من الدنيا الا عوضنى الله ما هو خير منها (١٣) ٠

الزام عائلته بالزهد :

– أمر عمر بن عبد العزيز ببيع حلله وحلل زوجته وأولاده ٠ ومراكبه وعطوره ومتاعه – ودفع ثمنها الى بيت المال (١٤) ٠

– بعثت ابنة عمر بن عبد العزيز اليه بلؤلؤتين جميلتين كانت صديقة لها تزين أذنيها بهما ٠

وقالت له : ان رأيت أن تبعث الى بأخت لها حتى أجعلها قرطا فى أذنى ٠

فأرسل لها بجمرتين ملتهبتين ٠

وقال لها : ان استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك جئتك بلؤلؤتين كهذه (١٥) ٠

وعمر بن عبد العزيز فى ذلك يستشعر نفس المشاعر التى شعر بها على بن أبى طالب رضى الله عنه وجعلته يشبه المال العام الذى يأخذه الأمراء بغير حق بقطعة من النار ٠

فقد حدث سعيد بن محمد عن هارون بن عنترة عن أبيه ٠

قال : آتيت عليا بالرحبة يوم نيروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا ٠

---

(١٢) سيرة عمر بن الخطاب تاليف على طنطاوى وناجى طنطاوى ص ٢٦٠ ، ٢٥٩ ورد فى كتابنا السياسه المالية لعمر بن الخطاب ص ١٥٣ ٠

(١٣) المرجع السابق – ص ٩٤ ٠

(١٤) سيرة عمر – ابن عبد الحكم ص ٣٣ ، ٣٤ ، عمر بن عبد العزيز – سعد عبد السلام حبيب ص ١٠٧ ٠

(١٥) عبقرية الاسلام – عمر بن عبد العزيز – مرجع سابق ص ٣٢ ٠

قال : فجاء قنبر فأخـذ بيده فقال : يا أمير المؤمنين ، انك رجل لا تليق شيئا (١٦) وان لأهل بيتك فى هذا المال نصيبا . وقد خبأت لك خبيئته ·

قال على : وما هى ؟

قال : انطلق فانظر ما هى ·

قال : فادخله بيتا فيه باسنة (اى غرارة) مملوءة آنية ذهب وفضة مموهة بالذهب ·

فلما رآها على قال : ثكلتك أمك ، لقد أردت أن تدخل بيتى نارا عظيمة ·

ثم جعل يزنها ويعطى كل عريف بحصته ثم قال :

هذا جنـاى وخيـارى فيـه وكل جـان يده الى فيـه

لا تغرينى وغرى غيرى (١٧) ·

ـ طلب ابن لعمر بن عبد العزيز كان متزوجا أن يزوجه أخرى ويصدق عنه من بيت المال فغضب عمر ورفض أن يصدقه من بيت مال المسلمين وأمره أن يبيع بعض الأمتعة الخاصـة ويستعين بثمنهـا على ما بدا له (١٨) ·

وفى ذلك ينهج عمر بن عبد العزيز نهج عمر بن الخطاب حينما وجد القائم على بيت المال فى عهده درهما فأعطاه لا بن لعمر بن الخطاب ، فلما علم عمر رده وقال للقائم على بيت المال « أردت أن تخاصمنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة » (١٩) ·

ويروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما كيف أن أباه حرمه من ربح تجارة له مشروعة فى الابل وأمره أن يكتفى برأسماله ويودع الأرباح بيت مال المسلمين لمجرد استنتاج غـير متيقن بأن ابله حظيت بمزيد من الرعاية فى أرض الحمى ·

فيقول عبد الله بن عمر : اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحمى (أرض عامة ينبت بها الزرع) ·

فلما سمنت قدمت بها ، فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا ·

---

(١٦) لا تليق يده شيئا : أى لا تضمه ولا يستقر بها ·

(١٧) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٤٥ ·

(١٨) سيرة عمر لابن عبد الحكم ـ تعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ١٠٦ ·

(١٩) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح ص ١٨٨ وكتابنا السياسة الماليـة لعمر بن الخطاب ص ١٥٥ ·

فقال : لمن هذه الابل ·

قلت : لعبد الله بن عمر ·

فجعل يقول : يا عبد الله · بخ بخ ··· ابن أمير المؤمنين ·

فجئته أسعى فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ·

قال : ما هذه الابل ؟

قلت : ابل أنضاء (أى مهزولة) اشتريتها وبعثت بها الى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون ·

فقال : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين (أى ان ابله خطيت برعاية زائدة لأنها ابل ابن أمير المؤمنين) يا عبد الله ابن عمر ! أغد على رأسمالك ، واجعل باقية فى بيت مال المسلمين (٢٠) ·

زهد عمر بن عبد العزيز اقتداء بزهد الرسول :

كان عمر فى زهده متأسيا برسـول الله صـلى الله عليه وسلم وصحابته ·

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا للزاهدين العاملين ، فمن زهده ما يرويه ابن مسعود فيقول :

« دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نام على رمال حصير وقد أثر فى جنبه ·

فقلت : يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ·

فقال : مالى وللدنيا ما أنا والدنيا الا كراكب أستظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ·

ويفصح حديث بين أم المؤمنين حفصة ـ زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما فتحت عليه الفتوح عما كان عليه الرسول من زهد ·

فقالت لأبيها : ألبس ألين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ·

فقال عمر : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال أهل الرجل أهل بيته ؟

---

(٢٠) ورد بكتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح ص ١٨٩ وكتابنا السياسة المالية لعمر ابن الخطاب ص ١٥٧ ·

فقالت : بلى ٠

قال : قد ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة ٠

وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية له ليله أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتمونى قيام الليل بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنوها ٠ فمازال يقول حتى أبكاها وبكى عمر وانتحب (٢١) ٠

واقتدى المسلمون الأولون برسول الله صلى الله عليه وسلم فزهدوا وعملوا وجاهدوا حتى رفعوا راية الاسلام عالية خفاقة ٠

فيقول عبادة بن الصامت للمقوقس أمير مصر وهو يفاوضه باسم المسلمين عند أسوار بابليون ٠

« وما يبالى أحدنا أكان له قنـاطير من ذهب أم كان لا يملـك الا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره وشملة يلتحفها ، فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه ٠٠٠ وان كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذى بيده » ٠

فيقول المقوقس لمن حوله : « ان هذا وأصحابه ٠٠ ما أظن ملكهم الا سيتغلب على الأرض كلها » (٢٢) ٠

---

(٢١) من أخلاق النبى ـ تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٢٤٣ نقلا عن الاحياء ١٩٢/٤ ٠

(٢٢) فتوح مصر وأخبارها ـ تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابن المى القرشى المصرى ـ تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٢٤ ٠

ثقل المسئولية مع الزهد :

كان عمر بن عبد العزيز مع شدة زهده كثير البكاء خشية محاسبة الله له عن حقوق الناس قبله ومنها حقوقهم من بيت المال :

فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : تلومونى أن أبكى — ولو أن شناة هلكت على شاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة (٢٣) ٠

وسألته زوجته مرة — وقد اشتد عليه البكاء — ما يبكيك يا عمر ؟

قال : ويحك يا فاطمة انى نظرت — فوجدتنى قدوليت أمر هـذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ففكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المهدد واليتيم المكسور والمظلوم المقهور والغريب والأسير والشيخ الكبير والأرملة الوحيـدة وذى العيـال الكثير والرزق القليـل وأشباههم فى أقاصى البلاد وأطراف الأرض ٠

فعلمت أن الله سائلى يوم القيامة عنهم وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجى فيهم وخصمى دونهم يومئذ ٠٠ فخشيت أن لا يتبت لى عند الله عذر ولا يقوم لى مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة ٠٠ فخفت على نفسى خوفا ودمعت له عينى ووجل له قلبى » (٢٤) ٠

وسبق أن بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من هول المسئولية حينما كثرت فى عهده الأموال العامة وقد خشى أن يكون الله يختبره بهذه الأموال وينظر هل يعطى الناس حقوقهم منها ويعدل فى العطـاء من عدمه ٠

فيقول ابن عباس : دعانى عمر فاذا حصير بين يديه عليه الذهب منثورا نثرا الحثا (التبن) ٠

فقال : هلم فاقسم بين قومك فالله أعلم حيث حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر واعطانيه ، الخير أراد بذلك أو الشر ؟

وقال ابن عباس : فأكببت أقسم فسمعت البكاء فاذا عمر يبكى ٠

ويقول فى بكائه : كلا والذى بعثه بالحق ، ما حبس هذا عن نبيه وعن أبى بكر ارادة الشر بهما وأعطاه عمر ارادة الخير به (٢٥) ٠

---

(٢٣) سيرة عمر — ابن الجوزى — مرجع سابق ص ١٩٢ ٠
(٢٤) ابن الجوزى — سيرة عمر ص ١٨٨ ، ١٨٩ ٠
(٢٥) الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق ص ٣١٩ ٠

ويبكى أيضا أبو عبيدة بن الجراح خشية أن لا يقوم له حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم · بسبب السعة من الأموال العامة ·

فقد دخل داخل على أبى عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش الشام فوجده يبكى فلما سئل ·

قال : يبكينى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما يفتح على المسلمين حتى ذكر الشام ·

فقال : ان نسأ الله فى أجلك فحسبك من الخدم ثلاثة ، خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم يخدم أهلك · وحسبك من الدواب ثلاثة ، دابة لرحلك ودابة لثقلك ودابة لغلامك ·

ثم قال أبو عبيدة : ثم هأنذا أنظر الى بيتى قد امتلأ رقيقا والى مربطى قد امتلأ خيلا فكيف ألقى رسول الله صلى اللهعليه وسلم بعدها ، وقد أوصانا « ان أحبكم الى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى فارقتكم عليها » (٢٦) ·

رفض رئيس الدولة الهدايا

رفض عمر بن عبد العزيز الهدايا :

كان عمر بن عبد العزيز يرد الهدايا التى ترد له ولو كانت من أهل بيته ·

فيروى أن رجلا من أهل بيته أهداه تفاحا فاشتمه ثم رده مع الرسول الذى حضر بالهدية ·

وقال له : قل له « للمهدى » قد بلغت محلها ·

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدايا ، وهذا رجل من أهل بيتك ·

فقال : أن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، فأما نحن فهى لنا رشوة (٢٧) ·

---

(٢٦) احمد بن حنبل امام اهل السنة ــ للأستاذ عبد الحليم الجندى ــ طبعة « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » ص ١٤٤ ·

(٢٧) عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزى ص ١٦٠ وردت بكتاب عمر بن عبد العزيز ــ سعد عبد السلام حبيب ص ٩٦ ·

رفض عمر أموال هدية لأولاده بعد وفاته :

لما مرض عمر مرض الموت دخل عليه مسلمة بن عبد الملك ٠

فقال له : أوص يا أمير المؤمنين ٠

قال عمر : مالى من مال فأوصي به ٠

قال مسلمة : هذه مائة ألف دينار فأوص فيها بما أحببت ٠

قال عمر : أو خير من ذلك يا مسلمة أن تردها من حيث أخذتها

قال مسلمة : جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين ، والله لقد ألنت لنا قلوبا قاسية وجعلت لنا ذكرا فى الصالحين (٢٨) ٠

ويبين من زهد عمر ورفضه قبول الهدايا أن زهده كان شاملا وتعففه عن الأموال كان كاملا وكان فى ذلك يصون الأمانة التى حملها وينفذ ما نبه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ الامارة بحقها وخشى الغلول الذى حذر منه كما يتبين من الأحاديث النبوية التالية :

ـ فالرسول صلى الله عليه وسلم يوضح طبيعة الامارة ومسئوليتها فى حديث جرى بينه وبين أبى ذر :

قال له : يا رسول الله أمرنى

فقال : انها أمانة ، وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى فيها (٢٩) ٠

ومن الأمانة أن يعف الأمير عن الأموال العامة ومنافعها بغير حق تعففا شاملا كاملا ٠

ـ ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان تجاوز الأجور المحددة من الدولة الى غيرها من الأموال والمنافع العامة غلول وحرام يأثم به آخذه ٠ فاذا حددت الدولة للأمراء مرتبات لقاء أعمالهم للدولة وتجاوزوها كان ما أخذوه زيادة عنها غلول ٠

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من استعملناه على عمل فرزقناه فما أخذ بعده فهو غلول » (٣٠) ٠

---

(٢٨) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ـ تعليق احمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ١٠٥ ٠

(٢٩) الأموال لأبى عبيد ص ١١ ٠

(٣٠) المنتخب من السيرة النبوية الشريفة عدد ٣٦ المجلد الثانى ص ١٠٠٠ و ص ١٠٠١ هدية مجلة منبر الاسلام ٠

ـ يقول جل وعــلا « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيــامة » (آل عمران/من ١٦١) ٠

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الغلول ويوضح أن الذين يغلون يوم القيامة تحيط بهم الأموال التى غلوها وتصدر أصواتا تفضحهم فيستغيثون برسول الله صلى الله عليه وســـلم فلا يغيثهم لأنه حذرهم فى الدنيا ٠

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال :

قام فينا النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول وعظم امره ، قال لا الفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء (صوت الشاه) على رقبته فرس لها حمحمة (صوت الفرس اذا طلب علفه) ٠

يقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت (الذهب أو الفضة) فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك أو على رقبته رقاع تخفق ٠

فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك »(٣١)٠

ولا شك أن الأموال العامة التى وردت فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فأية أموال عامة أخرى لم يشملها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأية أموال عامة حديثة لم تكن موجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم يسرى عليها نفس الحكم بالقياس ، ولو كانت الأموال التى غلت قليلة القيمة زهيدة المقدار ٠

ـ فقد حدث أن ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى لما انصرف الجيش من خيبر وكان معه غلام ، فأتى الغلام سهم لا يدرى راميه فأصابه فقتله ٠

فقال الصحابة : هنيئا له الجنة ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذى نفس محمـد بيده ان شملته الآن لتحرق عليه فى النار (وكان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر) ٠

فسمع رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ٠

فقال : يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لى ٠

---

(٣١) صحيح البخارى ـ جزء ٢ ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ١٣٤ ٠

فقال : يقدر لها مثلها فى النار (٣٢) ٠

ـ كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع الولاة من أخذ الهدايا ،

روى فى الصحيحين عن أبى سعيد الساعدى قال :

استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على الصدقة ٠

فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ٠

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا » (٣٣) ٠

اعلان أن الأموال العامة أموال الشعب

الأموال العامة من الشعب واليه :

مصدر الأموال العامة هو الشعب ، فهو يقوم بسداد الايرادات العامة للدولة ، وفى المالية العامة الاسلامية تكون حصيلة الزكاة وهى من المسلمين والجزية والخراج من أهل الكتاب وعشور التجارة من المارين من أهل الحرب بموانى الدولة الاسلامية وهذه وأية ضرائب أخرى تفرضها الدولة يتحملها الأفراد ويستقطعونها من أموالهم ويؤدونها لخزائن بيت المال ، والوظيفة الأولى للحكومة وأجهزتها أن تؤدى الخدمات العامة من دفاع وأمن وعدالة وتعليم وصحة وغيرها للشعب ٠ وتنفق عليها مما تجمع من أموال عامة ٠ فالأموال العامة اذن هى أموال الشعب وتعود اليه فى شكل تكاليف الخدمات العامة التى تؤدى اليه ، وحتى القروض العامة التى تقترضها الدول لتمويل العجز فى النفقات العامة تعتبر أيضا من أموال الشعب لأن الأفراد من الأجيال الحاضرة والمستقبلة يتحملون تكاليف هذه القروض ٠

والواجب دائما أن تعلن هذه الحقيقة على المواطنين حتى تستقر فى وجدانهم فيحافظوا على الأموال العامة ويصونوها من الاتلاف والضياع والاعتداء ، ويحاسبوا من بيدهم هذه الأموال العامة اذا أساءوا استخدامها ولم يرشدوا عملياتها وخالفوا مسارها السليم المستقيم ، وتكون المحاسبة بمعرفتهم مباشرة أو بمعرفة ممثليهم فى المجالس النيابية المركزية منها والمحلية ٠

---

(٣٢) من أخلاق النبى ـ د٠ أحمد محمد الحوفى ـ نقلا عن مسند أحمد ص ٣٤ ٠

(٣٣) المنتخب من السنة النبوية الشريفة عدد ٣٦ المجلد الثانى هدية مجلة منبر الاسلام ص ١٠٠٧ ٠٠

أعلن عمر بن عبد العزيز أن الأموال العامة أموال الشعب في احدى خطبه فأوضح أنه منع نفسه عن المال العامة لأنه ليس ماله وأنه لم يضنن به على الشعب لأن المال العام ماله فقال : « أيها الناس .. ألا وانى منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال ، فان ضننت به عنكم ، انى اذا لضنين » (٣٤)٠

المال مال الله والشعب مستخلف عليه :

وتؤكد المالية العامة الاسلامية هذا المعنى ، فيعتبر الاسلام أن المال عموما ومنه المال العام مال الله وأن الناس مستخلفون عليه ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (النور/من ٣٣) ٠

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم أجر كبير » (الحديد / ٧) ٠

فالشعب اذن مستخلف على الأموال ، فاذا أطاع الله وأولى الأمر وأدى ما عليه من فرائض لبيت المال ، كان على الحكومة وهي وكيلة من الشعب أن يستقر فى يقينها أن المال مال الله وأن الشعب استخلفها عليه وأن عليها أن توجهه لتحقيق المصلحة العـامة التى هى فى النهاية مصـلحة الشعب ، وعلى الشعب كذلك أن يعرف أن المال مال الله وأن الله استخلفه عليه وأنه مما يدخل فى نطاق الاستخلاف أن يراقب الأموال العـامة التى جنتها منه الحكومة ويتأكد من انها تدار ادارة رشيدة ٠

ترشيد الانفاق العام

المقصود بترشيد الانفاق العام :

يقصد بترشيد الانفاق العام أن يكون خاليا من الاسراف والتقتير ، فالاسراف انفاق بغير عائد فهو مضيعة للأموال ، والتقتير حبس للمال عن تحقيق منفعة مشروعة ، ويدعو الله جل وعلا الى خلوا انفاق الأموال من النقيصتين فيقول :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان /٦٧) ٠

---

(٣٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ابن عبد الحكم ص ٣٦ ٠

ومن عوامل ترشيد الانفاق العام أن توجهه الدولة طبقا لأولويات تقوم على ترتيب أوجه انفاقه على أساس ما تحققه للمصلحة العامة ، فكلما كان الانفاق العام على وجه معين من وجوه الانفاق العام أكثر تحقيقا للمصلحة العامة ، كلما كان له الأولوية فى الترتيب ، وتبدو أهمية ترتيب وجوه الانفاق العام اذا كانت الماليات العامة للدول تسفر عن عجز مالى تزيد فيه النفقات العامة عن الموارد العامة فيكون عليها أن تبدأ بالانفاق على الأهداف الأكثر أهمية ·

ونوضح فيما يلى نماذج من ترشيد الانفاق العام الذى أجراه عمر بن عبد العزيز ·

ترشيد اعتمادات انتقال رئيس الدولة :

لما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان بن عبد الملك أتواله بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع عن ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى ... لما صببت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى ... له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ثم قال : ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، قدموا الى بغلتى ·

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفية لمن يريد وكانت من الخيول الجياد المثمنة ، فباعها وجعل أثمانها فى بيت المال (٣٥) ·

ترشيد اعتمادات حراسة رئيس الدولة :

منع عمر بن عبد العزيز حراسه من القيام له وقال له :

« لا تبتدئونى بالسلام ، انما السلام علينا لكم ·· وان بى عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا ومع ذلك لا أخرجكم من مراتبكم ولا أقطع أرزاقكم ·· من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فايلحق بأهله وذويه (٣٦) ·

الغاء نفقات البلاط :

فى أول عهد عمر عرضت عليه الجوارى والوصيفات من نازلات البلاط كي يختار منهن وصيفات قصره وسلطانه ·

---

(٣٥) عمر بن عبد العزيز ـ ابن كثير ص ٦١ ·
(٣٦) سيرة عمر ـ ابن الجوزى ص ٩٨ ·

فجعل عمر يسألهن واحدة واحدة « من أنت وكيف أخذت ؟ » ٠
وينادى عمر « مزاحم » ويطلب منه أن يرسل كل واحدة منهن الى بلدها وذويها (٣٧) ٠

ترشيد وتعفف عن المال العام :

ـ دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امرأته فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشترى له بها عنبا فلم يجد عندها شيئا ٠

فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس فى خزائنك ما يشترى به عنبا ٠

فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا فى نار جهنم (٣٨) ٠

ـ بعث يوما غلامه ليشوى له لحما فجاء بها سريعا مشويا ٠

فقال له : أين شويتها ٠

قال : فى المطبخ

قال : فى مطبخ المسلمين ؟

قال : نعم ٠

قال : كلها فانى لم أرزقها فهى رزقك ٠

ـ وسخنو له الماء فى المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطبا لبيت المال (٣٩) ٠

ـ وكان له سراج يكتب عليه حوائجه وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفا (٤٠) ٠

ترشيد اعتمادات الاضاءة :

وجد عمر فيما وجد من مخلفات سليمان بن عبد الملك رسائل من عامله على المدينة محمد بن حزم يطلب حصة من الشمع كالتى كانت لأمراء من قبله ، وكان عمر لما ولى أمر المسلمين قد أبقاه لعلمه وفقهه وعدله وحكمته وكما طلب محمد بن حزم كذلك من سليمان قراطيس (أوراق لحوائج المسلمين) ٠

---

(٣٧) المرجع السابق ص ٥٠ ٠

(٣٨،٣٩،٤٠) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى ـ تقديم وتعليق أحمد الشرباصى ص ٧٦ ، ٧٧ ٠

فكتب عمر اليه :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به فى مخرجهم ، فابتليت بجوابك فيه ، ولعمرى لقد عهدتك يا ابن حزم وأنت تخرج من بيتك فى الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ، ولعمرى أنت يومئذ خير منك اليوم ، وقد كان فى قنديل أهلك ما يغنيك ، ثم قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يجرى على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس (الورق) لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت بجوابك فيه • فاذا جاءك كتابى هذا فأدق القلم ، وأجمع الخط ، وأجمع الحوائج الكثيرة فى الصحيفة الواحدة ، فانه لا حاجة للمسلمين فى فضل قول أضر ببيت مالهم – والسلام عليك (٤١) •

ترشيد الانفاق العام على الأدوات الكتابية للدولة :

مات ابن لعمر بن عبد العزيز فكتب له عامل يعزيه عن ابنه :

فقال عمر لكاتبه : أجبه عنى •

فأخذ الكاتب يبرى القلم •

فقال عمر للكاتب : أدق القلم فانه أبقى للقرطاس وأوجز للحروف (٤٢) •

ترشيد الانفاق العسكرى :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز سحب جيشا للدولة كان مرابطا حول أسوار القسطنطينية بعد ما تبين له سوء حالة الجيش وبذلك رشد الانفاق العسكرى ما دام لم يكن هناك أمل فى تحقيق أى نصر •

وحديثا يتوقف مدى الترشيد الممكن أن يتحقق فى الانفاق العسكرى على عوامل عدة منها درجة التوتر العالمى والعنف السائد فى الدول المحيطة ومدى الاستعداد العسكرى لتلك الدول والسوق التى تشترى منها الأسلحة وأسعارها مع مراعاة أن خفض الانفاق العسكرى قد يؤدى الى تأثر الأنشطة الاقتصادية الأخرى وحدوث حالة من البطالة فى حالة

---

(٤١) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز – سلسلة مقالات بجريدة الأهرام بتاريخ ٨٥/٨/٢١ لعبد الرحمن الشرقاوى •

(٤٢) الطبرى جزء ٦ – مرجع سابق ص ٥٧١ •

الاستغناء عن بعض القوات وقلة الطلب على السلع التى تستهلكها هذه القوات المسلحة ٠

ومع ذلك فيظل بعد مراعاة العوامل السابقة الباب مفتوحا لترشيد الانفاق العسكرى عن طريق ترشيد الكم والحجم العسكرى بترشيد عدد القوات المسلحة وأنواع أسلحتها وتكلفة العناصر الادارية بها ومحو الاسراف والفاقد والتكاليف الضائعة نتيجة عدم اكتمال التنظيم والادارة ٠

منع عطاء الشعراء من مال الدولة :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز وقف أحد الشعراء على بابه فقال عمر ليس لنا فى شعرهم مآرب » (٤٣) ٠

وكان الشعراء يقفون ببابه شهرا لا يأذن لهم ويقول « ليس لهم فى بيت المال حق » (٤٤) ٠

وكان يذكر لكل منهم ما قاله من شعر مخالفا الحق والفضيلة ومما ذكره عن الأخطل قوله :

فلست بصائم رمضان عمرى	ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بقائم كالعير أدعو	قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا	وأسجد عند منبلج الصباح (٤٥)

ولما تشفع الفقيه الورع « عوف بن عبد الله بن عتبه بن مسعود الهذلى » فى دخول الشاعر جرير على عمر بن عبد العزيز فدخل جرير وهو يقول :

ان الذى بعث النبى محمدا	جعل الخلافة فى امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه	حتى ارعووا وأقام ميل المائل
والله انزل فى القرآن فريضة	لابن السبيل وللفقير العائل
انى لأرجو منك خيرا عاجلا	والنفس مولعة بحب العاجل(٤٦)

فقال عمر : ويحك يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا ، فأنشد جرير يقول :

كم باليمامة من شعثاء أرملة	ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
هذه الأرامل قد قضيت حاجتها	فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر(٤٧)

(٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧) من كتاب عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ـ وردت فى الصفحات من ١٣٥ حتى ١٣٩ ـ طبعة دائرة الفكر العربى ٠

فقال عمر : يا جرير أمن أبناء المهاجرين انت فنعرف لهم حقهم ، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك ، فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟

فقال جرير : يا أمير المؤمنين ، ما انا بواحد من هؤلاء ، واني لمن أكثر قومي مالا ، وأحسنهم حالا ولكني اسألك ما تعودت عليه من الخلفاء : أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان ٠

فقال له عمر : كل امرئ يلقى فعله ٠٠ أما انا فما أرى لك فى مال الله حقا (٤٨) ٠

ـ هذا وتظهر فى الموازنات العامة الحديثة لبعض الدول اعتمادات تخصص للانفاق على نهضة الثقافة العامة وتشجيع فروعها ومنها الشعر ، ولا تثريب على ذلك ما دام الشعر يرتبط بالحق والفضيلة ، فالشعر فن والفنون الصالحة غير الهابطة أو المسفة تهذب النفس وتسمو بالمشاعر وتجمل الحياة ٠

ولا يتعارض ذلك مع أصول الدين ولا يهدره قول الله تعالى مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (يس /٦٩) ٠

وتفسير ذلك ان الله لم يعلم رسوله الشعر ولا هو فى طبعه ولا يحسنه ، غير انه ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ولكن تبعا لقول أصحابه رضى الله عنهم فانهم كانو يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام ان لا قينا
ان أولاء قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فكان صلى الله عليه وسلم يرفع صوته ويقول « أبينا » ويمدها ٠

وقد ثبت كذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها نحو العدو :

انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب

---

(٤٨) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام ٠ ص ١٣٨ ـ ١٤٠ ٠

ولكن ذلك وقع انفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد اليه فقد كانت سجيتة صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا (٤٩) ·

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » (٥٠) ·

ولا يسرى ذلك على الشعر المشروع ، كهجاء المشركين وشعر الحكمة وشعر المواعظ ·

ترشيد الانفاق العام بترتيب أولوياته :

أوضحنا أنه لا يتم الانفاق العام على الشعب وخدماته بطريقة عشوائية بل ينبغى أن يكون طبقا لأولويات واضحة يتم فيها المفاضلة بين أنواع الانفاق المختلفة وتفضيل أكثرها أهمية والأخذ باعلاها عائد على الوطن والمواطنين ·

وقد أخذ عمر بن عبد العزيز بمبدأ المفاضلة بين وجوه الانفاق المختلفة · فقد استأذنه يوما واليه على الحجاز فى صرف مبلغ كبير لكسوة الكعبة ، فكان جواب عمر له :

انى أرى أن أجعل هذا المال فى أكباد جائعة فانها أولى بها من الكعبة·

فالانفاق العام على اطعام الفقراء وغذاء المساكين له أولوية تفضله على الانفاق على كسوة الكعبة (٥١) ·

---

(٤٩) أخرجه الامام أحمد عن أبى هريرة مرفوعا ·

(٥٠) مختصر تفسير ابن كثير ـ اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ـ المجلد الثالث ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ·

(٥١) عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ص ١٣٩ ·

الفصل الثانى

نماذج من الانفاق العام فى عهد عمر بن عبد العزيز

طبيعة الانفاق العام فى عهد عمر بن عبد العزيز :

قامت المالية العامة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز بتمويل جميع النفقات العامة التى تطلبتها ادارة الدولة وأداء الخدمات العامة التى كانت تقوم بها الحكومات فى ذلك الوقت ، فلم تكن الحكومات تؤدى جميع الخدمات العامة التى تقوم بها حاليا فى ظل السياسات التدخلية ، بل اقتصر الأمر على الخدمات العامة الرئيسية التى تختص بها الحكومات ، كخدمات الدفاع والأمن الداخلى واقامة العدالة بين المواطنين بجانب الانفاق على المشروعات العامة التى كانت تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، مع مراعاة أنه فى المالية العامة الاسلامية كما سبق أن أوضحنا تقوم موازنات الزكاة وخمس الغنائم بوجوه انفاق مخصصة تحقق خدمات عامة اجتماعية للطبقات الضعيفة فى المجتمع ٠

وفيما يلى نماذج من الانفاق العام على ادارة الدولة والخدمات والمشروعات العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز :

الانفاق على أجور العاملين بالدولة :

تتضمن الاعتمادات العامة التى تنفقها الدولة جزءا هاما كأجور العاملين تدرجها بموازنتها العامة السنوية ، وقد اتجه عمر بن عبد العزيز فى تحديد الاعتمادات اللازمة لأجور العاملين بالدولة الاسلامية فى عهده على أساسين :

الأساس الأول : تحديد اجور عالية للعاملين :

يذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز كان يوسع على عماله فى النفقة ، يعطى الرجل منهم فى الشهر مائة دينار ومائتى دينار وأكثر وكان يبرر ذلك بأنهم اذا كانوا فى كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين (١) .

وعلاوة على اتقان الأعمال التى نوه عنها عمر بن عبد العزيز ، فان جزالة اثابة العاملين تعصمهم من التطلع لأى اغراءات تعرض عليهم كقبول الهدايا من أصحاب الحاجات والرشاوى ، ممن لهم أعمال متصلة بالدولة .

ولذلك فان الدول حديثا تزيد مرتباتهم فى فترات التضخم الاقتصادى عندما ترتفع الأسعار حتى لا تتناقص القوة الشرائية لما يحصلون عليه من مرتبات ، كما أن موازنات الدول تتضمن ملحقات أخرى للمرتب الأساسى كالأجور نظير أى عمل اضافى يقومون به والمكافأت لاثابة المميزين منهم فى أداء الأعمال وتكاليف نظم للمعاشات تمنح لهم عند تقاعدهم ومبالغ لتمتعهم بنظام للعلاج حين مرضهم ، كما تدرج الدول فى موازانتها كذلك اعتمادات لرد أية نفقات أنفقوها من أموالهم فى سبيل العمل .

وقد أشار أبو عبيدة الجراح على عمر بن الخطاب برفع أجور الولاة عندما اختار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتولى الولايات ، فجرى بينهما الحديث التالى :

قال أبو عبيدة : دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له عمر : يا أبا عبيدة اذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن أستعن ؟

فقال له عبيدة : أما اذا فعلت فاغنهم بالعمالة عن الخيانة . (أى اذا استعملتهم على شىء فاجزل لهم فى العطاء والأجر حتى لا يحتاجون) (٢) .

الأساس الثانى : عدم ازدواج الانفاق العام على العاملين :

أمر عمر بن عبد العزيز بعدم اعطاء العاملين الرزق من جهتين فليس لأحد أن يجمع بين عطاءين أو يحصل على أجرين وراتبين (٣) .

---

(١) عمر بن عبد العزيز - لابن كثير - مرجع سابق - ص ٩٠ - وقد سبق ان أشرنا لذلك عند التنويه عن زهد عمر بن عبد العزيز .

(٢) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق ص ١١٣ .

(٣) عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٨٠ نقلا عن ابن عبد الحكم وابن الجوزى .

ومن مزايا هذه السياسة أن تتيح الفرص لفتح باب العمالة لعدد أكثر من العاملين وترشد الانفاق العام ، فلا تتحمل الموازنة العامة بأجور لا مبرر لها نظير أعمال لا ضرورة لها قد يوهم من بيدهم الأمر لزومها لنشاط الدولة بغية الحصول على أجور زائدة فوق مرتباتهم الأساسية بغير حق ٠

انفاق على مشتريات للدولة :

يوضح ما يلى انفـــاق الدولة على مشتريات لها فى عهـد عمر بن عبد العزيز ٠

كتب الوليد بن عبد الملك الى أسامة بن زيد التنوحى وكان واليا على خراج مصر أن يشترى له فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فاشتراه من أحد تجار مصر وهو موسى بن وردان ولم يدفع الثمن ، فذهب الى عمر بن عبد العزيز ليطلب ما باعه فأمر له بها ٠

ويحدثنا موسى بن وردان عن ذلك فيقول :

« دخلت على عمر بن عبد العزيز فحدثته بأحاديث عمن أدركته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عنده بمنزله أدخل اذا شئت وأخرج اذا شئت فكنت أحدثه عمن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته الكتابة الى حيان بن سريح فى عشرين ألف دينار أستوفيها من ثمن فلفل ليكتب اليه بدفعها الى :

فقال لى : ولمن العشرون ألف دينار ٠

قلت : هى لى ٠

قال : ومن أين هى لك ٠

قلت له : كنت تاجرا ٠

فضرب بمخصرته ثم قال : التاجر فاجر والفاجر فى النار ٠

ثم قال : اكتبوا الى حيان بن سريح ٠

فلم أدخل عليه بعدها وأمر حاجبه أن لا يدخلنى عليه (٤) ٠

وكان البيت الذى خزن فيه الفلفل ملكا للدولة بناه قيس بن سعد ابن عبادة ، حينما ولاه على بن أبى طالب على مصر ثم عزله فكان الناس يقولون أن البيت بيته فلما ذكر له ذلك ٠

قال : أى دار لى بمصر ؟

فذكروها له ٠

فقال : انما تلك من مال المسلمين لا حق لى فيها ٠

ولما حضرته الوفاة أوصى فقال : انى كنت بنيت دارا بمصر وأنا واليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم (٤) ٠

وبذلك تنزه عن أخذ بيت بنى بمال الدولة ولم يميله عن الحق اعتقاد الناس أن البيت بيته ٠

انفاق على تعويضات من الدولة :

وفيما يلى انفاق على تعويض لمواطن لحقه ضرر من الدولة :

تدرج الدولة بموازناتهــا العــامة الســنوية اعتمادات لمقابلة أية تعويضات تلزم بها بسبب أضرار تقع من العاملين بها على الناس وتكون عادة بناء على حكم محكمة ، أو تنفيذا لبنود عقود بين الحكومة والغير بنص فيها على تعويضات للغير على الدولة فى حالة وقوع أضرار ، وقد تدفع هذه التعويضات بالتراضى بين الحكومة والغير ، فتدفع الدولة تعويضات متى اقتنعت بوقوع الضرر وهذا ما فعله عمر بن عبد العزيز ٠

فقد شكا اليه رجل ٠

فقال : زرعت زرعا فمر به جيش من جند الشام فأفسده ٠

فعوضه عمر من بيت المال (٥) ٠

انفاق على التعليم :

كان عمر بن عبد العزيز يهتم بالعلم والعلماء والتعليم ومن أقواله فى هذا الشأن :

« ان استطعت فكن عالما ، فان لم تستطع فكن متعلمــا ، فان لم تستطع فأحبهم ــ يعنى العلماء ــ فان لم تستطع فلا تبغضهم » ٠

---

(٤) فتوح مصر واخبارها ــ تاليف ابى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن اعين القرشى ــ تقديم وتحقيق محمد صبيح ص ٧٣ ، ٨٤ ٠

(٥) الخراج لأبى يوسف ــ مرجع سابق ص ١١٩ ٠

« تعلموا العلم فانه زين للغنى وعون للفقير ، لا أقول انه يطلب به ولكنه يدعو الى القناعة » (٦) ٠

« ان للاسلام حدودا وفرائض وشرائع وسننا ٠٠ فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ـ فان أعش بينكم ابينها لكم وأعلمكموها وأحملكم على العمل بها ٠٠٠ وان مت فما أنا على صحبتكم بحريص » (٧) ٠

ولذلك كان ينفق من بيت المال على تعليم الشعب ومنهم أهل البدو ٠

فقد بعث يزيد بن أبى مالك الدمشقى والحارث بن يمجد الأشعرى يفقهان الناس فى البدو وأجرى عليهم رزقا من بيت المال ، فأما يزيد فقبلها وأما الحارث فأبى أن يقبل ٠

فقال عمر : « انا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد » (٨) ٠

وبذلك أقر عمر قبول يزيد للأجر لأنه عن عمل يقوم به للدولة ، وتمنى أن يكثر الله من أمثال الحارث بن يمجد لأنه قام بالتعليم متطوعا يبتغى الأجر من الله عز وجل ٠

وكان بعض العلماء يقومون بتعليم الناس مجانا دون أجر ومنهم أحمد ابن حنبل الذى لم يقبل عطاء من الحاكم ، ومنهم من كان يأخذ ما يتقرر له من بيت المال ولكن يفرقها فى الناس ومنهم ابراهيم بن طهمان فقد كان له جراية من بيت المال ولكن كان يفرقها تورعا فى العلم (٩) ٠

ومن الانفاق على التعليم فى عهد عمر بن عبد العزيز أنه كان يعطى من انقطع الى المسجد الجامع فى بلده وغيرها ونشر العلم وتلاوة القرآن فى كل عام من بيت المال مائة دينار ٠

ومما يتصل بالتعليم الانفاق من بيت المال على النشاط الخاص بالترجمة ويعتبر عمر بن عبد العزيز من الأوائل فى نقل العلوم من اللغات

---

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق احمد عبيد ـ مرجع سابق ص ١٤٦ ٠

(٧) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٨٧ ٠ وابن كثير ـ تعليق احمد عبيد ـ مرجع سابق ص ٥٤ ٠

(٨) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٣٤ ٠

(٩) احمد بن حنبل ـ امام أهل السنة ـ أستاذ عبد الحليم الجندى ٠ ص ١٥١ ، ١٥٢ ٠

الأخرى الى العربية ، فقد أمر بعض الروم فنقلوا كتابا فى الطب الى العربية واخرجه للناس (١٠) ٠

واهتم عمر بن عبد العزيز كذلك باصلاح اللسان العربى لما وجد اللحن يشيع فى الأمة وكان يشجع الموالى (أهل البلاد المفتوحة) على تعلم اللغة العربية واتقانها ويفرق من بيت المال على من يتفوق فيها حتى أن بعض الموالى أصبحوا بلسان عربى مبين أنصح بيانا من بعض العرب (١١)٠

انفاق عام عسكرى :

لم يكن عهد عمر بن عبد العزيز عهد فتوحات كما ذكرنا الا أنه حدثت بعض المناوشات اضطرته الى أن يسير لها الجيش ومنها ما يلى :

ـ فى سنة تسع وتسعين هجرية وبعد خلافة عمر بن عبد العزيز أغارت الترك على اذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم ، فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلى فقتل أولئك الترك ، فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بخمسين أسيرا (١٢) ٠

ـ فى سنة مائة هجرية خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميـــد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق بأمره بأن يدعوهم الى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلما يستجيبوا بعث اليهم بجيش فهزمته الحرورية ، فبلغ عمر ابن عبد العزيز فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشام فلقيهم فنصره الله عليهم (١٣) ٠

ويمثل الانفاق على اعداد هذه الجيوش انفاقا عاما تم تمويله من بيت مال المسلمين ٠

انفاق عسكرى لم يتم :

قد يتم الانفاق العام ومنه الانفاق العسكرى ـ لحفظ كرامة المواطنين والمحافظة على معتقداتهم خصوصا اذا ما كانت ستهدر من دولة أخرى ،

---

(١٠) الامام الشافعى ـ أستاذ عبد الحليم الجندى ـ ص ١٧٠ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

(١١) مقال عن خامس الراشدين ـ لعبد الرحمن الشرقاوى ـ بجريدة الأهرام ص ١٢ فى ٨٥/٨/٢٨ ٠

(١٢) الطبرى جزء ٦ ـ المرجع السابق ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ ٠

(١٣) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٥٥ ٠

فان لم ترعو هذه الدولة يتعين ارغامها على ذلك بجميع القوى الممكنة ومنها قوة الجيش مع ما يتكلفه ذلك من نفقات عامة تنفقهـا الدولة على اعداد الجيش وانتقاله وتموينه وغير ذلك من النفقات ، وهذا ما كاد يفعله عمر بن عبد العزيز ٠

فقد حدث أن أحد جنود الجيش الذى كان يحـاصر القسطنطينيـة وقع أسيرا فى أيدى الرومان وكان هذا الجندى معروفا بشجاعته وصلابته وقوة ايمانه ٠

وحاول امبراطور الروم أن يكرهه على ترك دين الاسـلام واعتناق النصرانية ، فلما أبى أخذ يعذبه ويهدده بفقـأ عينيه فتمسـك الجندى بدينه ٠

فلما بلغ عمر كتب الى امبراطور الروم مهددا :

« قد بلغنى ما صنعت بأسيرك فلان ٠٠ وانى أقسم بالله لئن لم ترسله الى بمجرد وصول رسالتى هذه اليك لأبعثن اليك بجيش أوله عندك وآخره عندى » ٠

فرضخ طاغية الروم وأعاد الأسير دون تردد أو ابطاء (١٤) ٠

انفاق عام على الحج :

كان من عادة الدولة الاسلامية أن تؤدى سنويا بعثة رسمية الحج ويصحبها المسلمون باعتباره أحد أركان الاسلام الخمس ، ففى عهد عمر بن عبد العزيز فى سنة تسع وتسعين وسنة مائة هجرية حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة (١٥) وتحمل بيت المال النفقات العامة اللازمة فى هذا الشأن ٠

انفاق عام على تدوين احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

من أهم الأعمال التى قام بها عمر بن عبد العزيز تدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فكر فى تدوين الحديث واستشار الصحابة فأشار به عامتهم فلبث شهرا يستخير الله فى ذلك ثم رأى العدول عن ذلك وترك كتابة السنن ٠

---

(١٤) سيرة عمر بن عبد الحكم ص ١٤٤ ٠

(١٥) الطبرى جزء ٦ ــ مرجع سابق ص ٥٥٤ ، ٥٦٣ ٠

وقال : « انى كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء » .

وكانت سنة أربعين للهجرة سنة الفرقة ، فالأمة كانت مع على الا معاوية وأهل الشام وكانت الخوارج ضد على ومعاوية ومن والاهما ، وبدا التشيع لعلى وبنيه أو لبنى أمية يحدث أثره فى تأويل كل فرقة الأحاديث لمصلحتها وقد اتخذت عدم دقة بعض الأحاديث أوضاعا مختلفة .

فكان ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يقله أصلا استخفافا وافسادا كالزنادقة وأشباههم أو تقلب الأسانيد ويزاد فيها أو ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم بعض كلام الصحابة وغيرهم وحكمة الحكماء .

وكان الكذب قليلا فى عهد كبار التابعين ثم زاد فى عهد صغارهم وتفاقم من بعدهم وفى أواخر المائة الأولى من الهجرة كان الكذب أكثر .

فقرر عمر بن عبد العزيز تجميع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقيتها مما اندس فيها ، فاستشار العلماء فأيده معظمهم ، فكتب الى محمد بن حزم أمير المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو نحو هذا فاكتبه فانى خفت دروس (ضياع) العلم وذهاب العلماء » .

وكتب الى عماله كتابا عاما « انظروا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » . كما شجع آل البيت على تدوين ما لديهم من أحاديث وكان يرى أن من أوثق الأحاديث هى ما رواه زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب عن أبيه عن جده النبى عليه الصلاة السلام ، ولما تم تدوين الأحاديث والسنن بعث عمر بن عبد العزيز الى كل بلد له عليها سلطان دفترا يحوى هذه الأحاديث ، وبذلك ساهم فى وقاية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاندثار والتحريف (١٦) وكان ما قام به عمر خطوة أولية فى التدوين ساهمت فى استكمال التدوين بعد ذلك .

ولا شك أن أية نفقات عامة تكون قد أنفقت على هذا العمل الجليل تم تمويلها من بيت مال المسلمين وان كان يرجح أن المساهمة فى هذا العمل العظيم كانت معظمها تطوعا ابتغاء مرضاة الله جلا وعلا .

---

(١٦) أحمد بن حنبل امام أهل السنة — للأستاذ عبد الحليم الجندى — ص ٢٠١ — ٢١٠ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

انفاق على اصلاح السجون :

ومن نماذج اصلاح المرافق العامة فى عهد عمر بن عبد العزيز اصلاح نظام السجون وايواء المسجونين وكانت أى نفقات لذلك من بيت المال وفيما يلى اجراءات الاصلاح التى تمت فى عهده :

— لا يجمع بين قوم حبسوا فى دين وبين أهل الدعارة والفساد فى سجن واحد وفى ذلك استجابة لقول الله جلا وعلا :

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (الأنعام/من ١٥١) .

— جعل للنساء حبسا على حده مستقلا عن الرجال ، وذلك تلبية لقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء /٣٢) .

— عهد بحراسة المساجين الى من يوقن بأمانتهم ومن لا يرتشى فان من ارتشى صنع ما أمر به » (١٧) .

وبذلك منع أن تحيق لعنة الله بكل من الراشى والمرتشى والرائش .

فعن ثوبان أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » الرائش أى الذى يسعى بينهما .

اقرار انفاق عام على المسجد الأموى :

تعرض فى المالية العامة حالات تتطلب التوسع فى الانفاق العام لتحقيق مصلحة عليا للدولة ، ويتعذر ضغط الانفاق فيها ، فتقرها الدول خصوصا اذا كان هذا الانفاق قد تم وأصبح أمرا واقعا ، وقد صادف عمر ابن عبد العزيز حالة من هذه الحالات فأقرها لارتباطها بالمصلحة العليا للدولة .

فقد بنى فى عهد الوليد بن عبد الملك المسجد الأموى وبدأ فى بنائه سنة ٨٨ هجرية واستمر بنيانه تسع سنوات وقيل أن الوليد أنفق على عمارة المسجد خراج المملكة سبع سنين وأن حساب ما أنفق عليه حمل على ثمانية عشر بعير (١٨) وقيل كذلك أن الوليد أنفق أربعمائة ألف دينار وأنه اجتمع فى تركيب رخامة اثنى عشر ألف مرخم .

---

(١٧) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ١٤١ .

(١٨) معجم البلدان — شهاب الدين أبو عبد الله الحموى — مطبعة السعادة بالقاهرة ٧٦/٤ نقلا عن عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام ص ٧٥ .

ويذكر الرواة أن المسجد قد بلغ من فن العمارة وعظمة البناء ما يجعل زائره يرى فيه كل يوم شيئا جديدا ·· فالجامع بنى بالحجر والكلس ·· وفصصت حوائطه بالفسيفساء ·· وفرش بالمرمر ، وأقيمت أعمدته من أفخم أنواع الرخام ورصـــع محرابه بالجـواهر الثمينـــة وســـقف بالرصاص ·· وكان يضاء بقناديل من الذهب والفضة وزخرف بأنواع الزخرفة من الفصوص المذهبة والمرمر المصقول ·· وتحت نسره عمودان مجزعان بالحمرة لم يشاهد مثلهـا ـ يقال أن الوليد اشتراهـا بألف وخمسمائة دينار · وفى المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا فى عرش بلقيس وقيل أيضا أنه كان عند منارته الشرقية حجر يقال أنه قطعة من الحجر الذى ضربه موسى عليــه الســـلام ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (١٩) ·

ولما غالى الوليد فى تكاليف بناء المسجد وزخرفته ·

قال الناس : محق بيـوت الأمـوال فى نقش الخشب وتزويـق الحيطان (٢٠) ·

فلما تولى عمر بن عبد العزيز امارة المسلمين استقر عزمه على قلع الفسيفساء والرخام ، ونزع السلاسل الذهبية وكانت ستمائة سلسلة كما قيل ليبيعها ويرد ثمنها الى بيت مال المسلمين ·

ولكن حدث أن زار أحد الروم المسجد فى عهد عمر ، وكان المسجد يعجب كل من رآه من مشرق ومغرب ، فخر الرومى مغشيا عليه ، فلما أفاق سألوه عما عرض له ·

فقال : « كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلغوها ، فلذلك أصابنى ما أصابنى » ·

فلما علم عمر بذلك ، ترك ما كان عازما عليه (٢١) ·

---

(١٩) صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٦ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ ·

(٢٠ ، ٢١) مسالك الأبصار : العمرى ج ١ ص ١٩١ نقلا عن المرجع السابق ص ٧٥ ·

الباب السادس

اصلاح ادارة المالية العامة
فى عهد عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

اصلاح سياسة عمالة الدولة
فى عهد عمر بن عبد العزيز

عموميات عن النظام الادارى للدولة فى عهد عمر بن عبد العزيز :

ـ طبقا للمبادىء الاسلامية فان خليفة المسلمين هو رئيس الدولة وهو مسئول أمام الله والأمة عن مصالح المسلمين وحقوقهم وهو مستودع السلطة الاسلامية ويتلقاها عنه الولاة بتفويض منه وهو يراقب الوالى ويحاسبه بعد أن يحسن اختياره فنظام الحكم فى الاسلام أقرب الى الحكم الرئاسى المعروف فى الأنظمة المعاصرة ٠

ـ كانت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز مقسمة الى ولايات كبيرة تسمى كور مفردها كورة ٠

ـ كان الأساس العام للحكم فى بدء الدولة الاسلامية يقوم على المركزية ، الا انه باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، دعا الأمر بمضى الوقت الى التخفيف تدريجيا من المركزية وتوزيع اختصاصات أوسع على العمال وتخويلهم سلطات أكبر للبت فى الأمور دون الرجوع للخليفة مما جعل الحكم يتسم ببعض سمات اللامركزية (١) ٠

ـ وفى عهد الأمويين وفى عهد عمر بن عبد العزيز خاصة سار الحكم على أساس منح الحرية للعامل فيما فوض فيه من اختصاصات ، لا يشاور الخليفة الا فيما يشكل عليه من مهام فكان الوالى يتحمل مسئوليات عمله ويتصرف فيما يعرض عليه من مشاكل حتى يستطيع تحقيق مصالح الرعية ٠

(١) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ــ دراسة مقارنة ــ المستشار عمر الشريف ص ٢٠٦ ، ٢١٣ ٠

– وكانت أنشطة الدولة تزاول بمعرفة دواوين وهو ما يقابل فى الاصطلاح الحديث الوزارة أو المصلحة أو ما جرى مجراها من الأجهزة الادارية فى الدولة ٠ وأول من أنشأ الدواوين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أنشأ ديوانين احدهما ديوان العطاء لتنظيم عطاء المسلمين بما فيهم الجند الاسلامى ، والثانى ديوان للخراج ، واستمر الديوانان فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وبجانبهما ديوان البريد وكان معاوية بن أبى سفيان أول من أنشأ نظاما للبريد فى الدولة الاسلامية ، وديوان الخاتم لختم كتب الدولة وأنشأه كذلك معاوية بعد وقوع تزوير فى أحد كتبه لواليه على العراق (٢) ٠

– وكان بالولايات دواوين مالية فرعية يثبت بسجلاتها الايرادات العامة المحصلة من الولاية والنفقات العامة التى أنفقت فى شئونها على العاملين بها والخدمات العامة التى تؤدى لأهل الولاية والمرافق التى تقام بها فاذا فاض فائض أرسل الى الديوان المركزى فى العاصمة ، وفى عهد عمر بن عبد العزيز رأى أن يترك موارد بيت المال فى كل ولاية لأهلها وألا تنقل معه أموال الى العاصمة مكتفيا بموارد الديوان (٣) ، على انه اذا قصرت موارد الولاية عن نفقاتها العامة كان الفرق يمول من الديوان المركزى ٠

الأسس العامة لاصلاح نظام عمالة الدولة :

كى يضمن عمر بن عبد العزيز تنفيذ سياساته بدرجة عالية من الأداء والكفاية راعى الأسس التالية فى اصلاح نظام ولاة الدولة وعمالها ٠

– اجراء تحريات عن الولاة والعاملين قبل تعيينهم ضمانا لاختيار الشخص المناسب للولاية والعمل ٠

– اختيار الأصلح من بين المرشحين للولاية والعمل ٠
– تفضيل أهل القرآن فى التعيين ٠
– فرض أجور عالية للعاملين بالدولة ٠
– امداد العاملين بالتعليمات العامة والرد على استفسارتهم ٠
– التيقن وعدم الأخذ بالشبهات عند مساءلة العاملين ٠
– عقاب أو عزل من ثبت تقصيره ٠

---

(٢) الطبرى – جزء ٦ – مرجع سابق ٠

(٣) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية – مرجع سابق ص ٢٢٨ – ٢٢٩ ٠

وبذلك أقام عمر بن عبد العزيز أمر الدين فى نظام عمالة الدولة ، لأن أسس اصلاحاته لهذا النظام تنبع من فلسفة العمالة فى الاسلام التى تقوم على الاحسان فى أداء الأعمال فيقول جل وعلا « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف/من ٣٠) . ومن الاحسان اختيار الأصلح وتفضيل أهل القرآن للوظائف التى تتطلب مؤهلاتهم فى الدولة الاسلامية ، واذا تم اختيار الأصلح للعمل منحته الدولة الأجر الملائم جزاء وفاقا والله جل وعلا يقول « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمـــالهم وهو لا يظـلمون » (الأحقاف /١٩) .

ونناقش فيما يلى أسس الاصلاح السابقة :

التحرى لاختيار الشخص المناسب للعمل :

ــ رأى عمر بن عبد العزيز أن يولى بلال بن أبى برده بن أبى موسى الأشعرى على العراق وكان يلزم المسجد ويقرأ ليله ونهاره ، وكان رأى عمر أن كان سر بلال كعلانيته فهو أصلح رجل لتولى العراق ولكنه أراد أن يستوثق ، فأرسل له العلاء بن المغيرة ليختبره ويتعرف على حقيقة سلوكه .

فذهب العلاء الى بلال فقال : انك تعرف يا بلال مدى صلتى بأمير المؤمنين ، فان أشرت عليه بأن يؤمرك على ولاية العراق فما تجعل لى ؟

قال بلال : لك عمالتى سنة . وكان مقدارها عشرين ألف ألف درهم.

فقال العلاء : فاكتب لى بذلك .

فأسرع بلال الى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك .

فذهب العلاء الى عمر بما كتب بلال .

فقال عمر : ان بلالا غرنا بعبادته فكدنا نغتر .. لقد وجدناه خبثا كله (٤) .

ــ وفد جماعة من أهل مصر على سليمان بن عبد الملك وفيهم ــ ابن خذامر الصافانى مولى ســـبأ فسألهم سليمان عن شىء من أهل المغرب فأخبروه ، وأبى بن خذامر أن يتـــكلم ، فلما خرجوا قال له عمر بن عبد العزيز وكان حاضرا الاجتماع : ما منعك من الكلام يا أبا مسعود ؟

---

(٤) سيرة عمر ــ ابن الجوزى ص ٩٣ .

قال : خفت الله ان أكذب ٠

فعرفها عمر ولما تولى الخلافة كتب الى أيوب بن شرحبيل بولاية ابن خذامر القضاء فبقى فى القضاء من سنة ١٠٠ هجرية الى ١٠٥ هجرية (٥) .

ـ كان والى عمر على خراج العراق « أبو الزناد ـ عبد الله بن ذكوان» ومما يدل على حسن اختياره ما قاله فيه الامام أحمد بن حنبل فاعتبره « أمير المؤمنين فى الفقة بالحديث » ٠ ويقول فيه البخارى « أصح الأسانيد أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة » ، وراه الامام الليثى وخلفه ثلثمائة طالب ٠

ـ كان والى عمر على خراج الجزيرة « ميمون بن مهران التابعى » ٠ يقول فيه أبو المليح « ما رأيت أفضل منه أخذ عن الصحابة وأخذ عنه جمع من كبار المحدثين » (٦) ٠

ـ لما أراد عمر بن عبد العزيز عاملا للخراج على خراسان ٠

قال : ابغونى رجلا صدوقا أسأله عن خراسان ٠

فقيل له : أبو مجلز لاحق بن حميد ٠

فلما قدم عليه قال له : أخبرنى عن عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى ٠

قال أبو مجلز : يكافىء الأكفاء ويعادى الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم ان وجد من يساعده ٠

فولاه عمر الخراج وكتب الى أهل خراسان بذلك ، فان كان على ما يحبون فيحمدوا الله وان كان على غير ذلك فيستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله (٧) ٠

اختيار الأصلح للعمل :

وكان عمر يختار الأصلح للعمل لا يفضل عربى على أعجمى وبذلك خالف ما درج عليه امراء بنى أمية السابقين الذين كانوا يتعصبون فى التعيين فى الوظائف العامة لقريش ويفضلونهم على غيرهم وعلى الموالى من المسلمين ولو كانوا أكفاء منهم ، فقد عين عمر على المدينة أبو بكر محمد

---

(٥) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام ص ٦٧ ٠

(٦) المرجع السابق ٠ ص ٦٨ ٠

(٧) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ٠ ص ٥٦١ ٠

ابن حزم وهو من الأنصار وليس من قريش ، وكان فقهاء المدينة يقولون عنه « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر محمد بن حزم » ٠

وجعل عمر الفتيا فى مصر لثلاثة فقهاء منهم عربى واحد واثنان من الموالى فلما خاطبه رؤوس بنى أمية فى ذلك قال : « وما ذنبى اذا كانت الموالى تسمو صعدا وأنتم لا تسمون » (٨) ٠

والموالى هم القوم المنتسبون الى بيوت العرب بعقد ولاء ومنهم الأرقاء ومنهم غير الأرقاء وكانوا فى الأغلب الأعم من أهل البلاد المفتوحة كمصر وفارس الروم ٠ وكان العرب يستطيعون أن يتملكوهم بحق الفتح لكنهم تركوهم أحرارا وجرت كلمة الموالى فى اطلاقها على أن تشمل من ليسوا غرباء من أهل هذه البلدان لأنهم كانوا يسلمون على أيدى المسلمين ، فمن أسلم على أيدى مسلم كان مولاه ، وكثيرون منهم أسروا أطفالا رباهم المسلمون وعلموهم وغدوا مواليهم ، ولم يك بدعا أن يظهر الفقه والعلم على يد أهل هذه البلدان المفتوحة فيقال أن الفقه بعد موت العبادلة الأربعة — أبناء عباس وعمر وعمرو والزبير — قد انتقل الى الموالى اذ كان الموالى أهل حضارة رفيعة لم يمسخها الغزو لأنه لم يكن غزوا بربريا وانما كان غزوا فكريا ، فتح الله به على المسلمين وعلى أهل البلاد المفتوحة ٠ فمنح العرب الشعوب المغزوة دينهم قيما ولغتهم فصحى وقدم الموالى من جانبهم أسباب حضارات فاخرة وأصول تفكير عميقة (٩) ٠

واذا كان عمر بن عبد العزيز يأخذ بمبدأ الكفاءة فى التعيين تحقيقا للمصلحة العامة وتطبيقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا مفاضلة بين المسلمين الا بالتقوى :

وكان يقول :

« لا يجيئن الناس بالأعمال وتجيئونى بالأنساب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ٠

وكان يؤثر الموالى اذ كانوا هم الأصلح ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنهم تبوءوا صدارة الفقه ، ويدل على ذلك حديث جرى بين هشام ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية فى فاتحة القرن الثانى الهجرى وبين جايسه :

---

(٨) خامس خلفاء الراشدين — عبد الرحمن الشرقاوى — جريدة الاهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٨ ٠

(٩) أبو حنيفة — تاليف عبد الحليم الجندى — طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم ص ٢٥ ، ٢٦ ٠

فقد سأل هشام جليسه : هل لك علم بعلماء الأمصار -
قال : بلى يا أمير المؤمنين ٠
قال : فمن فقيه أهل المدينة ٠
قال : نافع مولى ابن عمر ٠
قال : فمن فقيه أهل مكة ٠
قال : عطاء بن أبى رباح ٠
قال : مولى أم عربى ٠
قال : مولى ٠
قال : فمن فقيه أهل اليمامة ٠
قال : مكحول ٠
قال : مولى أم عربى ٠
قال : مولى ٠
قال : فمن فقيه أهل الجزيرة ٠
قال : ميمون بن مهران ٠
قال : مولى أم عربى ٠
قال : مولى ٠
قال : فمن فقيه أهل خراسان ٠
قال : الضحاك بن مزاحم ٠
قال : مولى أم عربى ٠
قال : مولى ٠
قال : فمن فقيه أهل البصرة ٠
قال : الحسن وابن سيرين ٠
قال : موليان أم عربيان ٠
قال : موليان ٠
قال : فمن فقيه أهل الكوفة ٠
قال : ابراهيم النخعى ٠
قال : مولى أم عربى ٠
قال : لا بل عربى ٠

قال : كادت نفسى تخرج ولا تقل واحد عربى (١٠) .

قال ذلك هشام وقد طبع التعصب لأعراقه (جذوره وأصوله) بالرغم مما سبق من عدل عمر بن عبد العزيز .

تفضيل أهل القرآن فى التعيين بالوظائف العامة :

كتب عمر بن عبد العزيز أن لا تستعمل على الأعمال الا أهل القرآن ، فان لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عندهم خير (١١) .

وقد تضمن القرآن التعاليم الكاملة ليؤدى الذين يعملون عملهم بكفاية واقتدار ، فالقرآن وضع نموذجا للادارة الحسنة وهى ادارة أموال اليتيم فقال تعالى :

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا » (النساء/٢) .

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (النساء/٦) .

ونهى عن سوء الادارة فقال تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » . (النساء/من ٥) .

ونوه عن الاتقان بصفة عامة ومنها اتقان الأعمال ، فأشار جل وعلا الى أنه أتقن كل شىء فى آية :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » (النمل /٨٨) .

ونهى عن الاسراف فى الأموال بقوله جل وعلا « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الأنعام/من ١٤١) .

وينوه القرآن الكريم عن كفاية العاملين طبقا لدرجة اتقان أعمالهم فيقول جل وعلا :

---

(١٠) أبو حنيفة – تأليف عبد الحليم الجندى – طبعة ١٩٧٠ وزارة التربية والتعليم ص ٢٦ . ٢٧ . ٢٨ .

(١١) عمر بن عبد العزيز – لابن كثير . ص ٩١ .

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون » (الأنعام /١٣٢) ٠

وهكذا يجد أهل القرآن حينما يتولون أعمال الدولة أن به ما يحفزهم على حسن ادارة الأعمال واتقان أدائها لخير الرعية وازدهارها وانتظارا لثواب الله بجانب الاثابة المادية من الدولة ٠

وعن مكانة قارىء القرآن ما رواه عمرو بن سلمة « لما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم باسلامهم وبادر أبى قومه باسلامه » ٠

فلما قدم قال : جئتكم من عند النبى صلى الله عليه وسلم حقا فقال ٠٠

« صلوا صلاة كذا فى حين كذا وصلاة كذا فى حين كذا فاذا حضرت الصلاة فليؤمكم أكثركم قرآنا » ٠

فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقن من الركبان فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين (١٢) ٠

ويقول عليه الصلاة والسلام : ان لله أهلين من الناس ٠

قالوا : من هم يا رسول الله ؟

قال : أهل القرآن أهل الله وخاصته (١٣) ٠

ولعل ذلك ما جعل عمر بن عبد العزيز يرسل تعليماته لولاته بتفضيل أهل القرآن فى وظائف الدولة ٠

عدم تعيين المشركين وعزلهم :

كان عمر بن عبد العزيز يرى عدم تعيين المشركين فى وظائف الدولة وعزل من كان يعمل بها لأن الله اعتبرهم نجس وأن شركهم يمحق أعمالهم، فكتب الى ولاته يقول :

« أما بعد فان المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم (بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (الكهف/من ١٠٣ ، ١٠٤) ٠

---

(١٢) الامام الشافعى ـ ناصر السنة وواضع الأصول ـ تاليف الاستاذ عبد الحليم الجندى ـ ص ٤٢ ٠

(١٣) المرجع السابق ص ١٣٧ ٠

فأولئك لعمرى ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ، ان المسلمين كانوا فيما مضى اذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة ، فكانت لهم فى ذلك مدة ، فقد قضاها الله بأمير المؤمنين ، فلا أعلم كاتبا ولا عاملا فى شىء من عملك على غير دين الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلا مسلما ، فان محق أعمالهم محق أديانهم ، فان أولى بهم انزالهم منزلتهم التى أنزلهم الله بها من الذل والصغار ، فافعل ذلك واكتب الى كيف فعلت » (١٤) .

فرض اجور عالية للعاملين بالدولة :

سبق أن أوضحنا أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت تقوم على أساس منح العاملين بالدولة مرتبات عالية لما لذلك من مزايا تعود على العمل والعاملين .

تعليمات للعاملين بالدولة :

مما تتضمنه قوانين العاملين بالدولة حديثا موادا توضح ما ينبغى ان يتحلوا به من مواصفات تؤدى الى اتقان الأعمال وتيسيرها ومحظورات ينبغى أن يتجنبوها لما لها من انعكاسات تعرقل انطلاق الأعمال وتهبط بدرجة ادائها .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - بسلوكيات عمال الدولة وتناولها فى خطبة وكتبه وتعليماته المتتابعة الى ولاته وعماله ومنها ما يلى :

خير سلوكيات العاملين التقوى :

قال عمر بن عبد العزيز لولاته وعماله :

« عليكم بتقوى الله فانها هى التى لا يقبل الله غيرها ولا يرحم الا أهلها ولا يثاب الا عليها وان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل » (١٥) .

---

(١٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم - طبعة ثانية - تعليق أحمد عبيد ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٥) سيرة عمر - لابن كثير - ص ٧٤ .

والواقع أن خير ما يتحلى به العاملون التقوى لأنها تجعلهم يطيعون الله ورسوله فى أعمالهم التى يؤدونها للدولة ، فهم يعلمون أن الله سيرى عملهم ورسوله استنادا لقوله جل وعلا :

« وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . (التوبة من /٩٤) .

ويعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يتقنوا الأعمال فقال :

« ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه » .

ويعلمون أن العمل العام المتقن يكون صالحا فيرفع الى الله جل وعلا ، فقد قال جل وعلا :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » . (فاطر / ١٠) .

اصلاح العاملين لأساليب الأعمال وتطويرها :

تنعكس أعمال العاملين بالدولة على الشعب ، فاذا اتسمت بالاتقان وسهولة الأداء ارتاح الشعب واطمأن الى حكومته والعاملين بها ، أما اذا تعقدت الأعمال العامة واتسمت بالجور والظلم والمحاباه والتعقيد أدى ذلك الى ارهاق الشعب وسخطه . وقد حذر عمر بن عبد العزيز عماله وولاته من ذلك فقال :

« كونوا فى العدل والاصلاح والاحسان بقدر من كانوا قبلكم فى الظلم والفجور والعدوان ولا حول ولا قوة الا بالله .. ان الناس قد أصابهم بلاء شديد وجور فى أحكام الله ، وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان » (١٦) .

لزوم العلم للعمل :

حاليا تعاون الجامعات والمعاهد الدولة فى امدادها بالعاملين فى جميع التخصصات وتنشىء الحكومات ادارات ومصالح مختصة بالبحوث

---

(١٦) سيرة عمر ـ لابن عبد الحكم ص ١٠٢ .

المتعلقة بالعاملين وأنشطتهم العامة وتقيم الدورات التدريبية لرفع كفايتهم الانتاجية وترسل منهم البعوث للخارج ليزدادوا علما وكفاءة وقد جاوز الأمر المجال الاقليمي الى المجال الدولي ، فكان الاهتمام بالكفاية الانتاجية للعاملين وتدريبهم المهني من المسائل التي نالت قسطا من عناية الأمم المتحدة ٠

يعبر عن هذا عمر بن عبد العزيز منذ مئات السنين ، فيوصي العاملين بالدولة الاسلامية في عهده بالمبادىء العامة التالية :

« العلم والعمل قريبان ، فكونوا عالمين بالله عاملين له ٠٠ فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا » (١٧) ٠

ويقول :

« من عبد الله بغير علم ٠٠ كان ما يفسده أكثر مما يصلحه » ٠

لا طاعة لرئيس في مخالفة الحق :

يقوم نظام العاملين بالدولة على نظام للدرجات يعلوا بعضها بعضا حتى تصل الى الوزراء ورؤساء الدول ، ولانجاز الأعمال تصدر تعليمات بكيفية انجازها متدرجة من أعلى الى أسفل ، والمفروض أن تكون هذه التعليمات سليمة مدروسة خالية من الأخطاء والمخالفات والتجاوزات ولكن قد يحدث أن يصدر الرؤساء تعليمات غامضة غير واضحة بغير قصد نتيجة عدم الدقة في البحث أو عن قصد لاشباع هوى أو للحصول على نفع غير مشروع ، ويعالج عمر بن عبد العزيز ذلك بتعليمات عامة يذيعها على العاملين بالدولة فيقول :

« الزموا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لايقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون » (١٨) ٠ ويقول « اذا أرسلت اليكم أمرا يخالف الحق ، فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده » ٠

اتباع الولاة والعاملين هواهم يضلهم :

نبه عمر بن عبد العزيز الولاة والعمال الى ابعاد هواهم وشهواتهم عن أداء الأعمال فقال : « قاتلوا أهواءكم والانقياد لشهواتكم كما تقاتلون أعداءكم » ٠

---

(١٧) عمر بن عبد العزيز ــ سعد عبد السلام حبيب ــ ص ٦٢ ونقلا عن الموسوعة ــ عمر أبو النصر ص ٩٤ ٠

(١٨) سيرة عمر ــ ابن الجوزى ص ٩٤ ٠

وقال « اذا دعتكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم » .

رفق الولاة والعمال بالرعية ضرورى لصلاح الحكم :

رفق الولاة والعاملين بالدولة يؤدى الى صلاح الحكم ومصلحة الرعية وقد نصح عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك فقال :

« أحب الأمور الى الله القصد فى الجد والعفو فى المقدرة والرفق فى الولاية . وما رفق عبد بعبد فى الدنيا الا رفق الله به يوم القيامة » (١٩) .

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو الى الرفق وترغب فى السماحة فقال صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .

« ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم » .

« ان الله يحب الرفق فى الأمر كله » (٢٠) .

تسهيل سبل الاتصال لأصحاب الحاجات :

للشعوب حاجات لدى الدولة وعلى الدولة وعمالها أن يقضوا هذه الحاجات ما دامت مشروعة ، لأن الأمير راع وهو مسئول عن رعيته ، ومن الرعاية توفير حاجات الرعية من خدمات عامة كالدفاع عن البلاد وحفظ أمنها الداخلى واقامة العدالة ونشر التعليم وأداء الرعاية الصحية وغيرها . وقد يحدث قصور فى حصول بعض الأفراد على الخدمات العامة ، أو يحرمون بغير حق منها فيتقدمون للعاملين بالدولة لازالة هذا القصور أو الحرمان ، فينبغى أن تكون طرق اتصالهم بالدولة ميسرة لعرض حاجياتهم وبحث شكواهم ، فلا يقيم الولاة والعاملون بالدولة حواجز تصعب طرق وصول الناس اليهم أو حجبا تحول بينهم وبين ذوى الحاجات ، وهو ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ولاته وعماله فقال ناصحا لهم :

---

(١٩) عمر بن عبد العزيز — ابن كثير ص ٧٥ .

(٢٠) وردت فى كتاب من أخلاق النبى للدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٣٢٤ .

« لا تتخذوا على أبوابكم حجابا يحولون بينكم وبين ذوى الحاجات والمظلومين » (٢١) • وهو بذلك يطبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولاه الله من أمر المؤمنين شيئا ، فاحتجب عن حاجاتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة » •

اتجار الولاة والعاملين محظور :

تحرم كثير من الدول على الحكام والعاملين بالدولة الاتجار ، ذلك ان الحاكم اذا اتجر يعقد صفقات لحسابه والحكومة كذلك تشترى لنفسها موادا ومهمات مختلفة لمزاولة نشاطها العام وتبيع أحيانا مواد بمخازنها العامة أو تتجر اذا كانت تزاول بعض نواحى الانتاج ، وتنص عادة قوانين الدول ولوائحها على أن يكون الشراء بأقل الأسعار عن طرق المناقصات ويكون البيع بأعلى الأسعار ، فاذا اتجر الحكام والولاة والعاملين بالدولة معها بطريق مباشر أو غير مباشر آثروا مصلحتهم على مصلحة الدولة ، واذا اتجروا مع غير الدولة حباهم المتعاملون معهم انتظارا لمنفعة بغير حق تعود عليهم من الدولة أو كسب غير مشروع ينالونه ويحصلون عليه بظلم يقع على الغير ، لذلك كان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحرم على الولاة والعاملين بالدولة التجارة وصادر أموال الحارث بن وهبه من تجارته مدة ولايته ثم صعد المنبر وقال :

« يا معشر الأمراء ان هذا المال لو رأيناه أنه يحل لنا لأحللناه لكم ، فأما اذا لم يحل لنا وظلفنا (كففنا) أنفسنا عنه وأنفسكم ، فانى ما وجدت لكم الا عطشان ورد اللجة ولم ينظر الماء فلما روى غرق » (٢٢) •

وسار عمر بن عبد العزيز على نفس النهج فأذاع على ولاته تعليمات يحظر فيها قيامهم بالاتجار فقال :

« لا تتجروا وأنتم ولاة ، فان الأمير اذا اشتغل بالتجارة استأثر وأصاب ظلما وان هو حرص ألا يفعل » •

لكل عمل أجره :

وضع عمر بن عبد العزيز لولاته مبدءا عاما يربط الأجر بالعمل فقال :

---

(٢١) سيره عمر — ابن عبد الحكم ص ٨٣ ، عمر بن عبد العزيز — سعد عبد السلام حبيب ص ٦٣ •

(٢٢) انظر التفاصيل فى كتابنا السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ١٦٥ •

« ليكن لكل عامل أجره فضعوا السخرة عن الناس » .

وهو فى هذا يطبق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه ومنها قوله :

« أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » (٢٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى به ثم غدر ورجل باع جزافا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » (٢٤) .

متابعة أعمال الولاة والعاملين :

قال أبو يوسف : حدثنى داوود بن هند عن رياح بن عبيد قال :

كنت مع عمر بن عبد العزيز فقلت له : ان لى بالعراق ضيعة وولدا فاذن لى يا أمير المؤمنين أتعاهدهم .

قال : ليس على ولدك بأس ولا على ضيعتك ضيعة .

فلم أزل به حتى أذن لى ،

فلما كان يوم ودعته قلت : يا أمير المؤمنين حاجتك أوصى بها .

قال : حاجتى أن تسأل عن أهل العراق وكيف سيرة الولاة فيهم ورضاهم عنهم .

فلما قدمت العراق سألت الرعية عنهم فأخبرت بكل خير عنهم .

فلما قدمت عليه سلمت عليه وأخبرته بحسن سيرتهم فى العراق وثناء الناس عليهم .

فقال : الحمد لله على ذلك لو أخبرتنى عنهم بغير هذا عزلتهم ولم أستعن بهم بعدها أبدا ان الراعى مسئول عن رعيته . فلابد له من أن يتعهد رعيته بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه ، فان من أبتلى بالرعية فقد ابتلى بأمر عظيم (٢٥) .

---

(٢٣) من مقال عن « حقوق الانسان فى صلة الفرد بالجماعة » للدكتور محمد البهى مجلد مجمع البحوث الاسلامية المؤتمر السادس ص ٣٩ .

(٢٤) من قضايا العمل والمال ـ الشيخ أبو الوفا الراغى ـ سلسلة مجمع البحوث الاسلامية ص ٣٨ .

(٢٥) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ص ١١٩ .

فمما سبق يتضح أن متابعة عمر لعمال الدولة تتحرك فى دائرة المبادىء التالية :

ـ ان الأمير مسئول عن رعيته وذلك طبقا لحديث الرعاية عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ـ كى يوفى بهذه المسئولية على الحاكم ان يتعهد رعيته بكل ما ينفعهم الله به ويقربه اليه .

ـ تعهد الرعية يتم عن طريق ولاة الدولة وعمالها مما يتعين معه متابعة أعمالهم وسيرتهم .

ـ اذا أسفرت المتابعة عن قيامهم بما ينفع الرعية وحسن سيرتهم حمد الله والا عزلهم ولا يستعين بهم بعدها .

وكان عمر بن عبد العزيز يطلب من الولاة متابعة عمالهم لأن ذلك من واجبات الرؤساء والمشرفين على الأعمال العامة حتى يراقبوا أعمال معاونيهم ويتأكدوا من حسن قيامهم بالأعمال المنوطة بهم ، وفى الأزمنة الحديثة يتم تقييم أعمال العاملين على مدار السنة وتقدم عنهم تقارير سنوية تكون أساسا للحكم على مدى كفاءتهم واستحقاقهم للترقى الى وظائف أعلى ، وانعدام متابعة العاملين تجعل المسىء والظالم منهم يتمادى فى اساءته وظلمه مما يحمل أفراد الرعية عنتا ورهقا فيسخطون على الحكم والحكام ، وقد حذر عمر بن عبد العزيز ولاته من ذلك فقال ناصحا ولاته :

« راقبوا حجابكم ورؤساء حرسكم وشرطكم والعاملين معكم ... وأكثروا من الاشراف عليهم حتى تتيقنوا من أنهم لا يرتكبون غشما ولا ظلما » (٢٦) .

ومما كتبه الى امراء الأجناد :

تعاهد صاحب بابك وصاحب حرسك وعاملك المقيم عندك والذين تبعث ، فلا يعملون فى شىء مما تحت يدك بغشم ولا بظلم فمن كان منهم محسنا نفعه ذلك ومن كان منهم مسيئا استبدلت به من هو خير منه (٢٧) .

---

(٢٦) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ٦ .

(٢٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم تعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ٦٩ .

وبجانب متابعة العمال كان عمر يتابع أعمال الدولة مما كان يأتيه من شكاوى الناس ٠

من ذلك ما أرسلته اليه امرأة من الجيزة من أهل مصر اسمها فرتونه السوداء تشكو أن لها حائطا قصيرا جدا وأن جيرانها يتسلقونه في يسر ليسرقوا دجاجها ٠

فكتب اليها : بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك فيه فيسرق دجاجك فقد كتبت لك كتابا الى أيوب بن شرحبيل ـ أمير مصر ـ آمره أن يبنى لك ما يحصنك مما تخافين ان شاء الله والسلام عليك ٠

وكتب الى عامله على مصر أيوب بن شرحبيل :

« أما بعد فان فرتونة السوداء كتبت الى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينه لها ، فاذا جاءك كتابى هذا فاركب أنت بنفسك اليه حتى تحصنه لها » ٠

فلما جاء الكتاب الى ابن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها فاذا هى عجوز مسكينة ، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصن لها الحائط من بيت المال (٢٨) ٠

وكان عمر لا يكتفى بما يأتيه من شكاوى الناس بل يتابع أعمال الولاة بنفسه وهل أدى حكمه وعملهم الى تحسين أحوال الرعية من عدمه ، فكان يخرج من عاصمة الدولة ومعه غلامه مزاحم ، فيلقى الركبان قادمين من الأمصار الى العاصمة ، فيتحسس أخبار الناس ويتحدث اليه الركبان وهم لا يعرفون أنه أمير المؤمنين وثيابه الخشنة لاتدل عليه ٠

وقف هو ومزاحم على طريق المدينة فسألا ركبا قادمين منها عن أحوال الناس فيها وفى الحجاز ٠ قال الركب الحجازى : تركنا المدينة والظالم مقهور والمظلوم بها منصور والغنى موفور والعائل مجبور ٠

فسر عمر بذلك وقال لمزاحم بعد أن مضى الركب ، والله لأن تكون البلاد على هذه الصفة أحب الى مما طلعت عليه الشمس (٢٩) ٠

وبعد متابعة عمر بن عبد العزيز لعماله كان ينذرهم بأن يستقيموا والا عزلهم ، فمن ذلك أنه قال مرة أمام جلسائه لعامل له :

---

(٢٨) سيرة عمر ـ لابن كثير ص ٥٦ ٠

(٢٩) عمر بن عبد العزيز ـ ابن الجوزى ص ٧٧ ٠

« استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار فلما استعملناهم اذا هم يعملون عمل الفجار قاتلهم الله ، أما كانوا يتذكرون الموت ، أما كانوا يمشون بين القبور » (٣٠) ٠

وكتب لآخر :

« أما بعد ، فانه غرني بك مجالستك القراء وعمامتك السوداء وارسالك اياها من وراء ظهرك ، وأنك أحسنت العلانية وأحسنا بك الظن ، وقد اطلعنا الله على كثير مما تعملون » (٣١) ٠

وكتب لعامل آخر :

« لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » ٠

التيقن من المخالفة قبل الجزاء :

وكان عمر بعد ذلك لا يوقع جزاء على العاملين الا بعد أن تقوم عليهم البينة ، فحدث أن ظهرت خيانة بعض صغار الحكام والمستخدمين في العراق ، فأرسل اليه عامله عليها يسأله الاذن في تعذيبهم على خيانتهم ٠

فكتب اليه عمر « أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أن قبلك (أي عندك) عمالا قد ظهرت خيانتهم وتسألني أن آذن لك في عذابهم ، وكأنك ترى أن لك جنة ، فان جاءك كتابي هذا فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، والا فأحلفهم دبر (أي بعد) صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئا ، فان حلفوا بذلك فخل سبيلهم ، فانما هو مال المسلمين ولعمري لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الي من ألقى الله بدمائهم والسلام (٣٢) ٠

عزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين :

كان عمر يعزل من تثبت عدم صلاحيته من العاملين حتى ولو كانوا من ذوي قرباه ٠

---

(٣٠) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ٠ ص ٦٧ ٠
(٣١) عمر بن عبد العزيز ابن كثير ٠ ص ١١٥ ٠
(٣٢) سيرة عمر ـ ابن الجوزي ٠ ص ٨٥ ٠

فكتب الى « الجراح بن عبد الله » عامله فى خراسان :

« بلغنى أنه استعملت (عبد الله بن الأهتم) وأن الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم فى العمل فاعزله ولا تهتم بقرابته لنا » (٣٣) ٠

« وبلغنى أنك استعملت (عمارة الطويل) ولا حاجة لى بعمارة ولا بأذى عمارة للناس وضربهم ولا بشخص قد صبغ يده فى دماء المسلمين فاعزله » (٣٤) ٠

ـ وعزل أحد الولاة بسبب سوء ادارة المال العام :

فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله واليه على خراسان ٠

أنظر من صلى قبلك الى القبلة ، فضع عنه الجزية ، فسارع الناس الى الاسلام ٠

فقيل للجراح : ان الناس قد سارعوا الى الاسلام ، وانما ذلك نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك الى عمر ٠

فكتب اليه عمر : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه خاتنا ٠

ثم كتب اليه : أن أقبل وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن ابن نعيم الغامدى وعلى الجزية عبيد الله بن حبيب ٠

ولما أراد الجراح الخروج من خراسان الى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفا من بيت المال ٠ وقال « هى على سلفا حتى أؤديها للخليفة » ٠

فلما ذهب للخليفة عزله وسدد عنه قومه من أعطياتهم الدين الذى أخذه من بيت المال ٠

وكان من أسباب عزل الجراح شكوى وفد قدم لعمر بن عبد العزيز من أنه يمنع عن الموالى عطاءهم واستئداء الخراج من أهل الذمة بالرغم من اسلامهم وقد عمل بالظلم والعدوان كما كان يعمل الحجاج (٣٥) ٠

---

(٣٣) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ٠ ص ٦٨ ٠
(٣٤) سيرة عمر ـ ابن الجوزى ٠ ص ٩٦ ٠
(٣٥) تاريخ الطبرى ـ جزء ٦ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ ٠

الفصل الثانى

المبادىء أساس اصلاح ادارة المالية العامة
فى عهد عمر بن عبد العزيز

ادارة المالية العامة بالمبادىء : ـ

انعكست تقوى عمر بن عبد العزيز فى ظلال من علمه وعدله وأخذه بالمشورة على ادارة المالية العامة فأدارها بالمبادىء وبذلك وقى المالية العامة في عهده من انحرافات وتجاوزات ومخالفات لحقت بها فى عهود من كان قبله من الخلفاء الأمويين ، فبالمشورة منع الزلل عن قراراتها وبالحق أبعد الباطل عن عملياتها وبجباية الطيب من الأموال العامة عصم حصيلتها من الحرام وبالايضاح أبعد عن تطبيقاتها اللبس والزلل وبالعدل أزال ما وقع على الممولين من ظلم ، وباشاعة الاصلاح العام قاد المالية العامة نحو الاستقامة ، وبالتيسير المالى خفف أعباء الفرائض المالية عن الشعب ، وبالدعوة لزيادة الانتاج عوض احتمالات النقص فى الحصيلة ، وبوحدة المال العام لتحقيق المصالح العامة للشعب فى جميع الولايات طبق اللامركزية المالية وبتحمل المسئولية العامة تم تخصيص الأموال العامة للخدمات العامة ، وباستقامة العمالة العامة حسن الأداء المالى ، والاسلام قد اهتم بالعمل بهذه المبادىء ولذا فان العمل بها أقام أمر الدين فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ونوضح تفاصيل ماسبق فيما يلى :

ادارة المالية العامة بمبدأ المشورة :

قال عمر بن عبد العزيز عن أحد الفقهاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مؤدبه ومربيه وهو ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

« انى والله لأشترى ليلة من ليـالى عبيد الله بألف دينـار من بيت المال » ·

فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع شدة تحريك وتحفظك ·

فقال : أين يذهب بكم والله انى لأعود برأيه وبنصيحته على بيت المال بالوف وألوف » (١) ·

ادارة المالية العامة بمبدأ الحق :

اطار المبادىء المالية العامة الاسـلامية ، أن تؤخذ بالحق وتعطى بالحق وتمنع من الباطل ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ووجد أن الجباية لا تتم فى اطار الحق الذى أمر به الاسلام ، كتب الى عماله :

« لا تأخذوا من أموال الناس الا بالحق الذى شرعه الله وما عدا ذلك فضعوه كله ·· لا أفرق بين مسلم وأهل كتاب » (٢) ·

فالمالية العامة الاسلامية لا تقر زيادات غير مشروعة فى الأعباء العامة ، فالمسلمون يؤدون الزكاة وأهل الكتـاب يؤدون الجزية والخراج اذا كانوا على أرض الفتوح · ولا يجوز فرض أعبـاء اضافيـة على أهل الكتاب بوصفهم غير مسلمين لأن ذلك يخالف مبدأ الحق الذى هو دعامة أساسية من دعامات الاسلام وركيزة هامة من ركائزه ، كما لا يجوز التعسف معهم فى استئداء الجزية أو تحصـيل الخراج فى أوقات غير ملائمـة أو تطبيق أساليب التعذيب ووسائل الاكراه فى التحصيل ·

ادارة المالية العامة بمبدأ جباية الحلال الطيب :

تختلط الأموال العامة أحيانا بأموال حرام غير حلال فتأخذ بعض الدول الاسلامية ضرائب على مزاولة أنشطة يحرمها الدين الاسـلامى كصناعة الخمور والاتجار فيهـا ، أو تتقاضى رسـوما وأتاوات على المراهنات ولعب الميسر وما شابهها من أنواع ألعاب القمار أو تقرض المواطنين قروضا طويلة الأجل أو قصيرة الأجل وتحصـل على فوائد أو زيادات فوق مبالغ القروض فتدخل فى دائرة المعاملات الربوية التى حرمها الله ، أو تستعمر دولة دولة أخرى ضعيفة فتسلبها خيراتها وثرواتها

---

(١) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٧٠ ·

(٢) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ٧٩ ونقلها عنه سعد عبد السلام حبيب ـ مرجع سابق ص ٩١ ·

وتمول بها خزائنها العامة ، والاسلام يحرم مثـل هذه الأموال ، فالله تعالى لا يقبـل الا الطيب من الأموال وهذا هو ما نبـه عليه عمـر بن عبد العزيز أحد ولاته اليه وهو ميمون بن مهران وكان قد استعمله على الجزيرة العربية وعلى قضاتها وعلى خراجها وكان شيخا كبيرا ، فكتب الى عمر يطلب اعفاءه ، فأرسل اليه يقول :

« أنا لم أكلفك بغيـا فى حكمك ولا فى جبايتك فاجب ما جبيت من الحلال ولا تجمع للمسلمين الا الحلال الطيب » (٣) ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ وضوح الجباية :

تفرض الدولة أعباء الأموال العامة على مواطنيهـا بقوانين ، وقد تتضمن القوانين نصا غامضا أو حكما ملتبسـا فيكشف تطبيق هذه القوانين عن حالات عملية يستشكل فيها التفسير ، فواجب ممثل بيت المال المناط به التطبيق أن لا يستقل فيها برأيه ، بل يسأل أهل الذكر من ذوى الخبرة حتى يطمئن الى الرأى السليم الذى يؤدى الى عدم ظلم الممول أو بيت المال ٠ وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز واليه الذى نوهنا عنه فى الفقرة السابقة ، فكتب اليه يقول :

« أجب الخراج الطيب واقضى ما استبان لك ، واذا التبس عليك أمر فارفعه الينا ، فان الناس لو كانوا اذ أكثر عليهم شىء تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا » (٤) ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ العدل :

من العدل المالى أن نراعى حالات الممولين عند تحصيل الضرائب المستحقة عليهم ، فهى تتأثر بالظروف الاقتصادية التى تمر بها البلاد من ازدهار أو كساد كما أن للظروف الجوية أثرها على المحاصيل الزراعية فتخصب الأرض اذا كانت الظروف الجوية مواتية ويقل انتاجها اذا كانت العوامل الجوية وغيرها غير مستقرة ٠

وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز ، فقد كتب اليه واليه على اليمن عروة بن محمد بن محمد يذكر انه قدم اليمن فوجد على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة فى أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال فكتب اليه ٠

(٣ ، ٤) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ٩٥ ، ٩٩ ٠

« كتبت لى تقول أنك قدمت اليمن ، فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة فى أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أخصبوا أو جدبوا ·· ان حيوا أو ماتوا ·· فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ، اذا أتاك كتابى هذا ، فدع ما تنكره من الباطل الى ما تعرفه من الحق واعلم أنك ان لم ترفع الى من جميع اليمن الا جفنة من كتم (نبات يستعمل فى تخضيب الشعر ومداد الكتابة) فقد علم الله أنى ساكون به مسرورا مادام فى ذلك ابقاء على الحق والعدل) (٥) ·

ومن العدل كذلك ان لا يؤخذ الخراج والضرائب على كل ايرادات المول ، بل يجب أن يعفى جزء من الايراد لمقابلة ضرورات المول وأعبائه العائلية ، وهذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز عامله على خراج العراق ، فكتب اليه يقول :

« دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يختمون به من الذهب والفضة ويلبسون الطيالسة ويركبون البرازيل ، وخذ ما يزيد عنهم»(٦).

ادارة المالية العامة بمبدأ الترشيد :

من نصائح سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز حين تولى الخلافة والتى تؤدى الى ترشيد انفاق المال العام ما يلى :

« أما بعد يا عمر ، فانه قد ولى الخلافة والملك قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحشم ، وعالجوا الموت الذى كانوا منه يفرون ····· بعد انفاق الأموال على حاجاتهم وأغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ! كانوا ينفقون الأموال اسرافا فى أغراضهم وأهوائهم ويقترون فى حق الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشىء فافعل واستعن بالله ولا قوة الا بالله سبحانه » (٧) ·

ادارة المالية العامة بمبدأ الاصلاح :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

---

(٥) سيرة عمر : ابن عبد الحكم ص ٥٦ ، ١٠٤ ·

(٦) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب عن موسوعة عمر أبو النصر ص ١٠٩ ·

(٧) عمر بن عبد العزيز ـ ابن كثير ١١٣و١١٤ وسيرة عمر ـ ابن الجوزى ص ٢٧ ·

« روضوا المخالفين وبصروهم وأرفقوا بهم وعلموهم ، فان اهتدوا كانت نعمة من الله وفضلا ٠٠ وان أبوا فتحروا الحق فيما تنزلون بهم من عقاب » (٨) ٠

ومن أنواع المخالفات المالية التى تقع على المال العام وهى كثيرة منها ما يتعلق بالاسراف والتبذير فى الأموال العامة أو اساءة استخدامها ووضعها غير موضعها وقد تصل المخالفة المالية الى الاعتداء على المال العام بسرقته أو اختلاسه أو تضييعه كالتهاون فى استئدائه وتحصيله من الملتزمين بأدائه ، ولذلك تضع الدول حديثا نظما لرقابة الدولة على أموالها العامة فتقيم أجهزة رقابية ذات اختصاصات تكشف المخالفات المالية وتعاقب مرتكبيها وتسترد ما تعرض للضياع أو السرقة أو للاختلاس ، وتوقع ما يستحق على المخالفين من عقاب ٠

على أن عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول الهجرى نبه الى أنه لا يكفى فى رقابة الأموال العامة انزال العقاب ، بل ان الأهم هو اصلاح الخطأ أو تحرى أسباب المخالفة وتدريب وتعليم مرتكبيها ، وهدايتهم الى عدم تكرارها مستقبلا مع مراعاة العدل والحق فى الجزاء والعقاب ٠ وبذلك تبنى عمر الرقابة العلاجية التى تضع العلاج لما يكتشف من مخالفات وعدم الاكتفاء بالرقابة السلبية التى تقتصر على كشف الأخطاء والمخالفات المالية ٠

فيقرر المبدأ التالى :

« اذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك دون الكى ، فلا تكوينه أبدا » (٩) ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ التيسير على الشعب :

من أنواع الايرادات التى تحصلها الدولة من الشعب الرسوم ، وهى مبالغ نقدية تجبى من الأفراد جبرا لقاء خدمات عامة تقدمها لهم الدولة ، ومن الخدمات العامة التى تؤديها الدولة انشاء القناطر والطرق كى يعبرون عليها ودوابهم وسياراتهم ، ولما كانت هذه القناطر والطرق تحتاج الى صيانة مستمرة بسبب ما يعتريها من استهلاك نتيجة

---

(٨) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ـ مرجع سابق ص ١٧٦ ٠

(٩) المرجع السابق ٠ ص ١٧١ ٠

الاستعمال ، فان الدول تفرض عادة رسوما على من يعبرون هذه الكبارى والطرق لتغطى نفقات الصيانة ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز امارة دولة الاسلام أمر عماله بالغاء ما يفرض على الناس مقابل اصلاح القناطر والطرق (١٠) ، وبذلك جعل خدمات الدولة فى هذا الشأن بدون مقابل ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ تعويض نقص الحصيلة بزيادة الانتاج :

لايمكن تعويض النقص فى حصيلة الموارد العامة بزيادتها ظلما أو باغفال تطبيق القوانين بالعدل أو بالتعسف فى الجباية ، وانما يكون بزيادة الانتاج العام فتزيد دخول الأفراد وتزيد حصيلة ما يدفعونه للدولة وهذا ما نبه اليه عمر بن عبد العزيز أحد ولاته وهو عهدى بن أرطاة الفزارى واليه على العراق ، فقد بعث كتابا الى عمر يقول فيه :

« ان الناس قد كثروا فى الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج » أى بسبب رفع الجزية عن أهل الكتاب بعد اسلامهم ٠

فكتب عمر اليه يقول :

« والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » (١١) ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ وحدة المال العام :

تأخذ بعض الدول حديثا بنظام الحكم المحلى ، فتعد للحكومة المركزية موازنة عامة خاصة بها ، وتعد لكل وحدة محلية موازنة عامة خاصة بها ، وتغطى الموازنة المركزية الموازنة المحلية اذا زادت نفقاتها العامة عن مواردها العامة ، وهذا ما قرره عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وكان قد ولاه خراج خراسان فقال له :

« استوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فان يك كافيا لأعطياتهم فحسنا والا فاكتب الى حتى أحمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم » (١٢)

---

(١٠) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ٠ ص ٩٣ ٠

(١١) سيرة عمر ـ ابن الجوزى ص ٩٩ ٠

(١٢) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٩٥ نقلا عن الطبرى تاريخ الأمم والملوك ٠

ادارة المالية العامة بمبدأ تحمل المسئولية العامة :

كان عمر بن عبد العزيز يطلب النصح من الأئمة ، فكانوا يوضحون له مسئوليته العامة وانها تتطلب القيام بخدمات معينة للشعب. ومن الطبيعى أن أداء هذه الخدمات يتطلب توجيه شطر من الأموال العامة للانفاق عليها ، وفيما يلى نموذج من نصائح العالم الجليل حسن البصرى لعمر بن عبد العزيز :

فعن خدمات اقامة العدل قال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف .

وعن الخدمات التموينية وخدمات الأمن والدفاع عن الأوطان يشبه حسن البصرى الأمير بالراعى الشفيق الذى يقوم بهذه الخدمات فيقول :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على ابله ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويردها عن مواقع التهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر » .

وعن خدمات التعليم واقامة المدارس والمعاهد والجامعات وتعيين القائمين على التعليم يقول حسن البصرى :

« والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا » (١٣) .

ادارة المالية العامة بمبدأ الرفق :

لما قدم الجراح الى خراسان بعد أن عينه عمر بن عبد العزيز عليها وجد الناس يميلون الى منع حق الله عليهم ومنها الحقوق المالية فكتب الى الخليفة قائلا :

« انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا ، أحب الأمور اليهم أن تعود الفتنة ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم الا السيف والسوط ، وكرهت الاقدام على ذلك الا باذنك » .

---

(١٣) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ سيرة عمر — ابن الجوزى ص ١٢١ — ١٢٦ .

فكتب اليه عمر :

« يابن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ، لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا فى حق ، واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » (١٤) .

ادارة المالية العامة بمبدأ استقامة العمالة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته :

« اتركوا أعمالكم عند حضور الصلاة . فان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع » (١٥) .

وتبدو أهمية هذا المبدأ فى المالية الاسلامية حيث ترتبط الايرادات العامة بتعاليم الاسلام فاذا ضيع العاملون بالمالية العامة الصلاة وهى ركن من أركان الاسلام ، تهاونوا فى استئداء حق الفقراء والمساكين من الزكاة وهى ركن أيضا من أركان الاسلام ، كما قد يمتد الضياع الى تعاليم أخرى مرتبطة بالمالية العامة الاسلامية كأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ صدقات الناس من أواسط أموالهم وعلى مياههم وعدم الغلول فى الغنائم وحسن معاملة وعدم تعذيب أهل الكتاب عند استئداء الجزية منهم ، فضلا عن أن الله جل وعلا يصف الذين مكنهم فى الأرض ومنهم المملثين على الأموال العامة فيقول :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (الحج /٤١) .

---

(١٤) الطبرى — جزء ٦ — مرجع سابق ص ٥٦٠ .
(١٥) سيرة عمر — ابن الجوزى ص ١٠٢ .

الباب السابع

اصلاح نظام العطاء وتطبيق سياسته لرد المظالم

فى عهد عمر بن عبد العزيز

الفصل الأول

اصلاح نظام العطاء

تحقيق فائض كبير فى عهد عمر بن عبد العزيز :

أدت اصلاحات عمر بن عبد العزيز الى توازن المالية العامة للدولة وتحقيق فائض كبير وبلوغ الدولة الاسلامية من الغنى ماتوضحه الكتب التالية المتبادلة بين الخليفة وأحد ولاته وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن وكان واليا على العراق .

فقد كتب اليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « ان أخرج للناس أعطياتهم » فكتب اليه عبد الحميد « أنى قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى فى بيت المال مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « أن انظر كل من أدان (استدان) فى غير سفه ولا سرف فاقض عنه » ، فكتب اليه عبد الحميد « انى قد قضيت عنهم وبقى فى بيت مال المسلمين مال » فكتب عمر بن عبد العزيز اليه « انظر كل بكر (الفتى الذى لم يتزوج) ليس له مال فزوجه أو أصدق عنه (ادفع له الصداق) » فكتب اليه عبد الحميد « انى قد زوجت كل من وجدت وقد بقى فى بيت المسلمين مال » فكتب اليه عمر بن عبد العزيز « أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فاسلفه (أى أعطه سلفة) ما يقوى به على عمل أرضه فانا لا نريدهم لعام أو لعامين » (١) .

فيتضح من الكتب السابقة أن الرخاء عم الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز وعظمت ثروتها وفاضت الأموال حتى بعد حصول

---

(١) الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

كل فرد على نصيبه من الأموال العامة طبقا لنظام العطاء السارى ، فاستخدمت الدولة المال العام فى سداد ديون المدينين وفى صداق من لم يتزوج من الشباب ، وفى اقراض أهل الذمة لرفع خصوبة الأرض وزيادة انتاجها ٠

اصلاح نظام العطاء :

امتدت سياسة الاصلاح المالى التى انتهجها عمر بن عبد العزيز الى نظام العطاء الذى بدأ كما قلنا فى عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه واستمر فى عهد الخلفاء بعده ولكنه حاد عن عدالة التوزيع فى عهد الأمويين السابقين على عمر بن عبد العزيز وأراد عمر بن عبد العزيز حين ولايته على المدينة وقبل تولية الخلافة أن يعمل العدل فى العطاء فكتب الى يزيد بن عبد الملك لاعطاء بنى هاشم نصيبهم منه ولكنه رفض فكان من الطبيعى حين ولى خلافة الدولة الاسلامية أن يرد عليهم عطاءهم ، وأن يصلح ما طرأ على النظام من مخالفات فقام بالاصلاحات التالية التى تبعت من دائرة العدل العام وهو سمة من سمات الرؤساء الذين يقيمون أمر الدين الاسلامى على وجهه الصحيح ٠

اعلان بطلان عطاء الأمراء السابقين :

أعلن عمر بن عبد العزيز بطلان عطاء الأمراء السابقين من بنى أمية وأنه سيبدأ برد ما نالوه من هذا العطاء الى بيت المال ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فان هؤلاء القوم (يقصد بنى أمية) قد أعطونا عطايا ماكان ينبغى لنا أن نأخذها ، وما كان ينبغى لهم أن يعطوها ٠٠ وأن ذلك قد صار الى ما ليس عليه فيه دون الله محاسب ، ألا وانى الآن قد رددتها وبدأت بنفسى وأهل بيتى » (٢) ٠

المساواة بين الأمراء وسائر الشعب فى العطاء :

ساوى عمر بن عبد العزيز بين أمراء بنى أمية وغيرهم من الناس فى العطاء ، فاشتكوا من ذلك وأبلغ عتبه بن سعيد شكواهم لعمر بن عبد العزيز وكان قد أرسل لكل واحد منهم عشرة دنانير اضافية فقال له عمر : قل لهم ان عمرا يقرأ عليكم السلام ويقول لكل « أقسم بالله الذى

---

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى ص ١٠٦ ٠

لا اله الا هو مازلت هذه الليلة الماضية ساهرا أناجى الله واستغفره مما أعطيته لكم دون المسلمين فلا والله العظيم لا أعطيكم بعد ذلك درهما الا أن يأخذ جميع المسلمين » • فقال عتبه لامراء بنى أمية أنتم فعلتم بأنفسكم •••• تزوجتم الى عمر بن الخطاب ـ بنت عاصم ، فجئتم بمثل عمر (٣) •

عدم تميز أولاد عمر بن عبد العزيز فى العطاء :

قيل لعمر بن عبد العزيز قبيل وفاته : « هؤلاء بنوك ـ وكانوا اثنى عشر ـ الا توصى لهم بشىء ، فانهم فقراء » فقال : ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين رجلين : اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فما كنت أعينه على فسقه • ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا الكلام •

وقال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم

ويقول ابن كثير :

« وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك • مع كثرة ما ترك لهم من الأموال يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز لأن عمر وكل ولده الى الله عز وجل ، وسليمان وغيره انما يكلون أولادهم الى ما يدعون لهم ، فيضيعون وتذهب أموالهم فى شهوات أولادهم (٤) •

عطاء يكشف بيت الأمير الزاهد :

أتت الى عمر بن عبد العزيز فى دمشق امرأة من العراق يبدو عليها العناء بسبب جهد السفر ووعثائه ، ودخلت دار عمر ، وأجالت فيه بصرها وذهلت لقلة وخشونة ما بداخله فقالت : أهذه هى دار أمير المؤمنين ؟ أجئت أعمر بيتى من هذا البيت الخراب !

فقالت لها فاطمة زوجة عمر : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك •

ثم أقبل عمر فكتب الى والى العراق كى يقرض للمرأة وبناتها (٥)

---

(٣) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ١٤٠ ، ١٤١ وردت فى كتاب عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام حبيب ص ١٢٧ •

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصى ص ٩٩ •

(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ١٤٥ وردت فى كتاب عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام ص ١٠٨ •

استرداد عطاء سابق لبيت المال من زوجة الخليفة :

كانت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بنت الخليفة عبد الملك بن مروان وحفيدة الخليفة مروان وأخت الخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك فهى كما قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف والخليفة زوجها

وقد أدى ذلك الى أن يؤول اليها فى مناسبات مختلفة أموالا من بيت مال المسلمين فى ظل سياسة الخلفاء السابقين لعمر من عدم الفصل بين أموال بيت المال وأموالهم الخاصة فمن ذلك ما أمر لها به أبوها فى يوم عرسها وزفافها فتجمع لديها الكثير النادر من الجواهر واللؤلؤ الذى لم ير مثله ٠

فقال لها عمر : اختارى اما أن تردى حليك الى بيت مال المسلمين واما ان تأذنى لى فى فراقك فانى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد٠

قالت : لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى ٠

فأمر بمالها فحمل الى بيت المال (٦) وراحت فاطمة تشارك عمر اخشوشان المعيشة وتقشفها وهى من نسل الخلفاء قبل عمر المنعمين المترفين ، وتأصل فيها زهد عمر وتقشفه فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك ٠

قال لأخته فاطمة : ان شئت رددت عليك جوهرك وحليك ٠

قالت : انى لا أشاؤه ، طبت عنه نفسا فى حياة عمر ، وأرجع فيه وأخذه بعد موته لا والله أبدا ٠ فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده (٧) واغتصب بعد عمر حقوقا لبيت المال المسلمين أخذت منه أيام عمر ، وفى ذلك اقتدت فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز بسمة من سمات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى سمة التقشف حينما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فى الخيار الذى عرضه عليهم الله ورسوله ونزل به القرآن الكريم فى آية ٠

« يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله

---

(٦) سيرة عمر — ابن الجوزى ص ١١٠ وابن عبد الحكم ص ٥٢ ٠

(٧) سيرة عمر — ابن عبد الحكم ص ٥٣ وابن الجوزى ص ١٠٧ ٠

والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » (الأحزاب ـ ٢٨ ، ٢٩) ٠ ٠

وفى العصور الحديثة نسمع عن أن بعض زوجات الحكام يغالين فى التزين والتنعم والترفه بما يأخذنه من الأموال العامة فى عهد أزواجهن ، يحدث هذا وقد يكون الشعب فى ضيق وعنت وعناء والمالية العامة فى عجز واستدانة واملاق ، ومن أمثلة ترف زوجات الحكام ما فعلته زبيدة زوجة هارون الرشيد أحد خلفاء العباسيين الذين أتوا بعد الأمويين فيذكر التاريخ أنه كان لها ثوب من الوشى الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار وبساط من الديباج من صنع يدها فيه صور من الذهب أعينها يواقيت ، أنفقت عليه مليون دينار ، وهذا ثوب وبساط من بين العديد من الأثواب والبسط (٨) ٠

وقد وصل زهد زوجة عمر الى الخلافة نفسها فكانت تقول :

« ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سرورا مذ دخلت علينا » (٩) ٠

اجتماع ودعوة لبنى أمية لرد ما أخذوه من عطاء سابق وأموال من بيت المال :

فى الدعاوى العامة الجديدة التى يتبناها الزعماء والأمراء ورؤساء الدول لتحريك مجتماعتهم من الضلالات الى الفضائل والهدايات يبدأون بأنفسهم فيحولوها الى المذهب الجديد ثم يتبعون ذلك بدعوة ذوى قرباهم الى الانضمام الى الدعوة الجديدة وبذلك يتبلور نموذج عملى يقتدى به المواطنون تباعا للنداء الجديد ، وهذا ما فعله عمر فبدأ بنفسه ثم بزوجته ثم عشيرته الأقربين من بنى أمية ، فاقتدى بذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره جل وعلا بأن ينذر عشيرته الأقربين أى الأدنين اليه وانه لا يخلص أحد منهم الا ايمانه بربه عز وجل ٠

فعن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين » (الشعراء / ٢١٤) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا

---

(٨) أحمد بن حنبل ـ امام أهل السنة ـ للاستاذ عبد الحليم الجندى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ٨٥ ٠

(٩) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ مرجع سابق ص ١١١ ٠

فصعد عليه ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء اليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى لؤى أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟

قالوا : نعـــم .

قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا .

وانزل الله « تبت يدا ابى لهب وتب » (١٠)

وكذلك جمع عمر بن عبد العزيز بنى أمية وقال لهم : يا بنى أمية انكم قد أعطيتم حظا وشرفا وأموالا وانى لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها فى أيديكم ، فأدوا ما فى أيديكم من حقوق الناس ، ولا تلجئونى الى ما أكره وأحملكم على ما لا تكرهون .

فلم يجبه أحد منهم .

فقال : اجيبونى .

فقال عمر بن عبد العزيز : والله لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاخضعتكم عاجلا .. ولكنى أخاف الفتنة .. ولئن ابقانى الله لاردن الى كل ذى حق حقه ان شاء الله » (١١) .

وبعد ذلك أصدر عمر قراراته بالغاء كافة مخصصـــات بنى أمية ومخصصات حرسهم وخدامهم ونزع ما فى أيديهم من اقطاعيـــات وأرض زراعية وردها الى بيت المال .

عمر يرفض الوساطة فى استرداده للعطاء :

أصر عمر على سياسة استرداد عطاء وأموال بيت المال من بنى أمية التى أخذوها من بيت المال بغير حق بالرغم من كثرة الشفاعات والوساطات التى أتت عليه ليحيد عن سياسته بكلمات مانعة وحاسمة .

---

(١٠) أخرجه الامام أحمد ورواه البخارى والترمذى والنسائى .
(١١) سيرة عمر – ابن الجوزى ص ١١٥ .

فقد اجتمع امراء بنى أمية الى عمر فقالوا : انك قد أفقرت بنى أبيك فيما ترد من هذه الأموال ، وهذا أمر قد وليه غيرك من قبلك ، فدع من وليه وما كان منه يحاسبه الله على فعلته ·· واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت ·

قال عمر : أهذا رأيكم ؟

قالوا : نعـــم ·

قال : والله لوددت أن لا تبقى مظلمة فى الأرض الا رددتها ··· والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتقطيع أوصالى وأعضائى لأمضيت ذلك وأنا سعيد ووالله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقمت الا ما أريد من العدل (١٢) ·

فلما يأسوا منه أتوا عمتهم فاطمة بنت مروان وكانت لها مكانة عند عمر فهى أخت أبيه فشكوا اليها فأتت اليه وناقشته ·

فقالت : « ان عمك عبد الملك كان يجرى على ما تعلم ··· ثم كان الوليد فزادنى ثم توليت أنت فمنعتنى ومنعت قرابتك ما كان يجرى علينا من أرزاق ·· لقد قطعت عنا خيرا كان يجرى به غيرك علينا ·· أنهان فى زمانك يا عمر » ·

فقال لها عمر : « يا عمه ·· ان عبد الملك والوليد وسليمان كانوا يعطوا من أموال المسلمين ، وهى ليست لى حتى أعطى قومى وأصل بها رحمى · لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عن أمانة الحـــكم باهتمام عظيم ويلقى تعليماته الرشيدة وتوجيهاته الهادية الى الحكام والولاة والقضاة والى كل من يحمل مسئولية فى الأمة ·· فالحكم بكل ألوانه أمانة عظمى ومسئولية كبرى · ترتعد من هول حساب الله عليها أفئدة الابرار ، يقول محمد صلى الله عليه وسلم عن الولاية :

انها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها ، لقد سمع « عبادة بن الصامت » الصحابى الجليل وأحد زعماء الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مسئولية الولاة وعن مصير من يفرط منهم فى حق أو تعبث ذمته بمال ·· فأقسم بالله ألا يكون أميرا على اثنين أبدا ، والصحابى الكبير « سـلمان الفـارسى » تعرض عليه الامارة فيرفضها ويهرب منها ·

---

(١٢) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ١٢٥ ·

قائلا : « ان استطعت ان تأكل التراب ولا تكون أميرا على اثنين فافعل » .

فقالت له عمته : يا عمر ان قرابتك يشكونك . ويزعمون أنهم يسبون عندك فلا تنكر . وانك أخذت منهم خير غيرك وأعطيته للناس .

قال عمر : يا عمة ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم .

قالت عمته : انى رأيتهم يتكلمون ، وانى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا » .

فاذا بعمر ينتفض غضبا ويقول « انى لا أخاف سوى حساب الله يوم القيامة .. وكل يوم أخافه دون هذا اليوم ، فلا وقانى الله شره » .

ثم دعا لقطعة من الحديد ومجمره .. ووضع قطعة الحديد على النار حتى احمرت وتوهجت .

فقال لعمته : « ألا تخافين على ابن أخيك من مثل هذا » .

فتركته عمته وانصرفت لتجد أفراد بنى أمية فى انتظارها ، فأخبرتهم بما حدث وبما أيأسهم من الطمع عنده .

وقالت لهم : ذوقوا مغبه أمركم . ولا تلومون الا أنفسكم يا معشر بنى أمية .. من قال لكم زوجوا حفيدة عمر بن الخطاب لعبد العزيز بن مروان ؟ انها جاءتكم بعمر ثان (١٣) .

ومن الحديث السابق نستنتج المبادىء التالية التى قررها عمر بن عبد العزيز بشأن عطاء أقاربه الأمراء من بيت مال المسلمين .

★ الحكم والولاية أمانة .

★ المال العام مال المسلمين وهو مستقل عن مال الحكام والولاة .

★ من الأمانة أن لا يأخذ الحكام والولاة وأقاربهم من المـــال العام الا بالحق .

★ ومن الأمانة كذلك أن يسترد ما أخذوه بالباطل ولو كان بموافقة الحكام والولاة السابقين .

★ تكون أمانة الحكام والولاة مستمرة طيلة مدة حكمهم وولايتهم .

---

(١٣) سيرة عمر — ابن الجوزى ص ١١٧ .

★ لا يخشى الولاة والحكام معارضة من استردت منهم الأموال التى حصلوا عليها من بيت المال ظلما وبدون وجه حق ٠

★ اذا قصر الحكام والولاة فى استرداد الأموال العامة من مغتصبيها فالله محاسبهم على ذلك يوم القيامة ، كما أن للشعب الحق فى محاسبتهم فى الدنيا ٠

رفض عمر لمعارضة مغرضة لاسترداد عطاء وأموال بيت المال :

حاول امراء بنى أمية بكافة الوسائل استرجاع الأموال العامة التى استردت منهم تارة بالمناقشة مع عمر بن عبد العزيز مباشرة وتارة بارسال الوسطاء والشفعاء ليتوسطوا لديه وليتشفعوا عنده ، فلما يئسوا اعلنوا معارضتهم ونقدهم لسياسته بكتاب أرسلوه الى عمر على لسان كبيرهم وشيخهم الذى شاركهم تملك الأموال العامة ظلما وهو عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب اليه بكتاب جاء فيه :

« انك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشنآنا لمن بعدهم من أولادهم ٠٠ وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا ٠٠ يا ابن عبد العزيز اتق الله وراقبه ، فانك لم تكد تطمئن على منبرك حتى خصصت قرابتك بالظلم والجور (١٤) ٠٠ » ٠

ورد عليه عمر بكتاب أوضح فيه ان المال مال المسلمين وفيه حقوق الفقراء والمرضى واليتامى والأسرى وأن عمال الأمراء السابقين جبوا الأموال العامة ظلما من الشعب وأنفقوها فى الترف والمحرمات ، وفيما يلى بعض فقرات من كتاب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد ٠

« تزعم أنى من الظالمين ، لأنى حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين الذى هو حق الفقير الجائع ٠٠ والمريض الضائع ٠٠ والمظلوم المقهور ٠٠ واليتيم والأرملة والأسير وان شئت اخبرتك بمن هو أظلم منى وأترك لعهد الله ٠

انه أبوك الوليد ، الذى استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم برأيك ٠ فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصمائكما يوم القيامة ٠٠ وكيف تنجو وينجو أبيك من خصمائه ؟

---

(١٤) سيرة عمر — ابن عبد الحكم — ص ١٢٦ ٠

وان أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل « الحجاج بن يوسف على خمس العرب ·· يسفك الدم الحرام . ويأخذ المال الحرام · وان أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل « قرة بن شريك » الفاسق المتهتك على مصر وأذن له فى اللهو والشراب ·· وان أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل « يزيد بن أبى مسلم » على جميع المغرب يسفك الدم الحرام ، ويجبى المال الحرام ·· فرويدا يا ابن بنانة (١٥) فلو طالت بى الحياة لأتفرغن لك ولأهل بيتك حتى أقيمكم على المحجة البيضاء (١٦) ·

العطاء لجميع المسلمين :

لما ولى عمر بن عبد العزيز كان من ضمن ما كتبه آيات من القرآن اختارها ليعلن أن الفيء ومنه العطاء لجميع المسلمين فقال :

« ··· ثم أفاء الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أموال قرى لم يوجف عليها خيل ولا ركاب فقال فيها لتكون سنة فيما يفتح الله من القرى بعدها » ·

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (الحشر/٦) -

وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (الحشر / ٧) ·

ثم سمى فى هؤلاء الآيات الذى للمسلمين ، فليس لأحد منهم قسم الا وهو فى هذه الآيات فقال « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (الحشر /٨) ·

وأهل هذه الآية من خرج من بلده مهاجرا الى المدينة وليس فيهم الأنصار ·

ثم قال : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم

---

(١٥) بنانة هى أم عمر بن الوليد بن عبد الملك ·

(١٦) سيرة عمر ـ ابن الجوزى ص ١١٢ ·

ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هـم المفلحـون » (الحشر / ٩) ٠

وأهل هذه الآية من كان بالمدينة من الأنصار ، فان هجرة رسـول الله صلى الله عليه وسلم كانت اليهم ٠

ثم قال فى الآية الثالثة وهى التى جمعت حظ من بقى من المسلمين بعد هذين الصنفين الأولين فى الاسلام وقسم المال « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » (الحشر / ١٠)

فهم جماعة من بقى من أهل الاسلام ومن هو داخل فيه بعد الهجرة الأولى حتى تنقضى الدنيا (١٧) ٠

ومما يلاحظ أن ما أورده عمر بن عبد العزيز من آيات هى نفسها التى أوردها قبله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتأييد وجهة نظـره فى عدم تقسيم أرض الغنائم وكانت حجته ان توالى الآيات والتنويه عن الغنيمة فى الآية السادسة من سورة الحشر وأنها للقرى كلها فى الآيـة السـابعة وللمهاجرين فى الآية الثامنة وللأنصار فى الآية التاسعة ولمن جاء من بعدهم فى الآية العاشرة – يؤيد وجهة نظره بعدم التقسيم ويؤيد جعل أرض الغنائم لصالح جماعة المسلمين حاضرا ومستقبلا (١٨) ٠

تنفيذ وعد سابق بشمول العطاء :

وشمول العطاء جميع المسلمين وعدم ايثار الخليفة نفسه بالأدوال كان أيضا تنفيذا لوعد كان عمر بن عبد العزيز وعد به فى عهد سليمان بن عبد الملك ٠

فقد حمل بعض وجهاء خراسان لسليمان هدايا ثمينـة من الذهب والجواهر واللآلىء والدر والزبرجد والياقوت والتحف النادرة وكان عنده وزيره عمر بن عبد العزيز ففرح سليمان بالهدايا فرحا شـديدا وأمر أصحابها أن يمروا بها على عمر ليراها ، فكان كلما مر بعمر صنف منها

سأله سليمان : كيف ترى هذا ؟ .

---

(١٧) سيرة عمر بن عبد العزيز – لابن عبد الحكم – تعليق احمد عبيد – طبعة ثامنة ص ٦٢ ، ٦٣ ٠

(١٨) السياسة المالية لعمر بن الخطاب تاليف قطب ابراهيم محمد طبعة أولى ص ٧٢ ٠

فيقول عمر : يا أمير المؤمنين ، انما هو متاع الحياة الدنيا .

قال سليمان : يا ابن عبد العزيز فو الله لو وليته ما أنت صانع فيه

قال عمر : أوزعه حتى لا يبقى منه شيء

قال سليمان : اللهم اشهد

ولكن سليمان قبل الهدية .

وقال : النبى عليه الصلاة والسلام قبل الهدية

قال عمر : كانت له هدية وهي لمن بعده رشوة وقد نهى عمر بن الخطاب عن قبول الهدية (١٩) .

تنظيم العطاء فى عهد عمر بن عبد العزيز :

ثم راح عمر بن عبد العزيز يضع التنظيمات اللازمة لنظام العطاء حتى يقوم على أساس من العدل فيقتدى بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ويستشير فى قواعد التطبيق ويجتهد استنادا لما ورد فى القرآن الكريم وينشىء حقوقا للورثة فى العطاء ويبسط اجراءاته بتطبيق اللامركزية ويعالج بعد ذلك ثغرات التطبيق ، وذلك على التفصيل التالى :

استلهام سنة الرسول فى عطاء القصر :

عن نافع عن ابن عمر قال : « عرضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال يوم أحد فاستصغرنى فردنى وكنت ابن أربع عشرة سنة وعرضنى يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة وأجازنى » .

فلما سمع عمر بن عبد العزيز من نافع بذلك كتب الى عماله :

« من بلغ خمس عشرة سنة فافرضوا له فى المقاتلة ومن كان دون ذلك فافرضوا له فى الذرية فالأصل أن الغلام يعتبر فى المقاتلة اذا بلغ الحلم فيأخذ عطاء المقاتلة فان شك فيه فلا يعطى عطاء المقاتلة حتى يبلغ خمس عشرة سنة اقتداء بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أجاز لابن عمر أن يجاهد يوم الخندق حينما بلغ خمس عشرة سنة ولم يجز له ذلك حينما كان سنه دون ذلك » (٢٠) ومما يدعم رأى عمر أن ذلك مطبق أيضا فى الحدود والشهادة .

فعن مكحول قال « اذا بلغ الغلام خمس عشرة سنة جازت شهادته ووجبت عليه الحدود » (٢١) .

---

(١٩) خامس الراشدين ـ سلسلة مقالات بقلم عبد الرحمن الشرقاوى ـ بجريدة الاهرام عدد ١٩٨٥/٧/٢٤ .

(٢٠ ، ٢١) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ص ١٧٥ .

استشاره في مبدأ العطاء :

حدث سليمان بن حبيب :

« أن عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات يرثها ممن ليس في العطاء والعشره ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فسألني عمر عن ذلك فأخبرته فأنكر الوراثة وقال (أي عمر) : أقطع الوراثة وأعمم الفريضة .

فقلت : مهلا يا أمير المؤمنين فانى أخاف أن يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة .

قال : صدقت أتركهم (٢٢) .

فعمر بن عبد العزيز استطلع الرأى فيما كان في عهد عمر بن الخطاب، وأراد أن يعدل ما كان يطبقه من باب الاجتهاد ، فلما أشير عليه بأن ذلك قد يؤدى الى خلل في نظام العطاء بعده ، عدل عن رأيه .

اجتهاد في العطاء استنادا للقرآن :

حدث مروان بن شجاع الجزرى قال : أثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنانير (٢٣) وحدث محمد بن كثير عن أمية بن يزيد قال : سألت عمر بن عبد العزيز لابن لى (يعنى لم يبلغ الفطام) فقال : لو كنت أفرض لابن لى مثله فرضت لهذا (أى لو كنت افرض لابنى الذى لم يتم رضاعة فرضت لابنك) (٢٤) .

وكان عمر بن الخطاب يفرض للطفل حين يفطم ثم عدل عنه وفرض للطفل حين ولادته فاجتهد عمر بن عبد العزيز ورأى أن يتقرر عطاء الأطفال حين يفطمون . وفي القرآن ما يؤيد اجتهاده ، فالقرآن يقرر أن رضاع الطفل نفقة على أبيه فان لم يكن له أب فعلى الوارث اذا لم يكن للصبى مال فان كان له مال فمن ماله (٢٥) .

وما دامت تكلفة رضاع الطفل على أبيه وأبوه يأخذ عطاء بيت المال ، فلا يكون الطفل قبل الفطام وفي فترة الرضاع في حاجة للعطاء .

---

(٢٢) الأموال لابن عبيد ص ٣٠٥ .
(٢٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(٢٤) المرجع السابق ص ٣٠٦ .
(٢٥) الأموال لأبى عبيد – مرجع سابق ص ٣٠٤ .

تنظيم ميراث العطاء :

كان عمر بن عبد العزيز اذا وجب للرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته . وقد كتب للقائمين على العطاء يأمرهم بذلك فقال :

أن انظر فى أهل الدواوين فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة ثم يقبض (أى يموت) بعد ما يؤمر للناس بأعطياتهم ، فأمر لأهله بعطائه حقا واجبا » (٢٦) .

لا مركزية العطـــاء :

قال أبو مجلز لعمر : انك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل الينـــا الأموال .

قال عمر : يا مجلز قلبت الأمر .

قال أبو مجلز : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك .

قال عمر : بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم .

قال أبو مجلز : فلا أنت تحمله الينا ولا نحمله اليك وقد وضعت بعضه على بعض .

قال عمر : أحمله اليكم ان شاء الله .

ومن المناقشة السابقة يمكن استنتاج المبادىء التالية بشأن الخراج والاعطيات : (٢٧)

الأصل أن يكون العطاء لأهل بلدة من مواردها وأنه اذا قصر خراج بلدة عن عطائها يتم تعويضها عن النقص من فائض بيت المال المركزى ، وبذلك يكون توزيع العطاء قام على سياسة اللامركزية ، ويؤيد ذلك نصح عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائى وقد ولاه على الخراج فى خراسان فقال « فاستوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم . فان يك كافيا لأعطياتهم فحسنا .. والا فاكتب الى حتى أكمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم » .

فلما قدم عقبه وجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم .

فأمر عمر بتقسيم الفضل فى أهل الحاجة (٢٨) .

---

(٢٦) الأموال لأبى عبيد – مرجع سابق ص ٣١٣ .
(٢٧) الطبرى جزء ٦ – مرجع سابق ص ٥٧٠ .
(٢٨) سيرة عمر – ابن عبد الحكيم ص ١٤٠ ، ١٤١ .

عطاء وولاء للرسول صلى الله عليه وسلم :

دخل على عمر بن عبد العزيز رجل غريب يلتمس عنده مالا ، وكان يعطى الغرباء مائتى درهم ٠

فسأله عمر : ممن أنت ؟

قال : من أهل الحجاز

قال : من أى أهل الحجاز ؟

قال : من أهل المدينة يا أمير المؤمنين

قال : من أيهم ؟

قال : من قريش

قال : من أى قريش ؟

قال : من بنى هاشم يا أمير المؤمنين

قال : من أى بنى هاشم

قال : مولى على

قال : من على ؟

قال : على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين ٠

فجلس عمر ووضع يده على صدره ٠

وقال : وأنا والله مولى علي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كنت مولاه فعلى مولاه » ٠

ثم سأل مزاحم : كم يعطى مثله من الغرباء

قال مزاحم : مائتى درهم

قال : أعطوه خمسين دينارا (خمسمائة درهم) لولائه من على ٠

ثم سأله : ان كان له عطاء

فقال الغريب : لا

ففرض له عطاء

وقال له : الحق ببلادك ، فانه سيأتيك ان شاء الله ما يأتى غيرك (٢٩)

---

(٢٩) خامس الخلفاء الراشدين وسلسلة مقالات ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ الأهرام عدد ١٩٨٥/٨/١٤ ٠

عطاء وكلمة طيبة :

وكثيرا ما كان عمر بن عبد العزيز يحيط عطاء بيت المال بكلمة طيبة ورفق فى المعاملة اذا ما أتوه أرباب الحاجات يسألونه العطاء أو يعفو عن اساءة من اساء فيمنح المستحقين العفو والعطاء معا وذلك كما يتبين مما يلى :

★ دخل اعرابى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بى اليك الحاجة وانتهت اليك الغاية والله سائلك عنى •

فبكى عمر

فقال : كم أنتم •

فقال : أنا وثلاث بنات •

ففرض له عمر بن عبد العزيز ثلثمائة وفرض لبناته مائة وأعطاه مائة درهم من ماله •

وقال له : اذهب واستنفقها حتى تخرج اعطيات المسلمين فتأخذ معهم (٣٠) •

★ خرج ابن لعمر بن عبد العزيز وهو صغير ، يلعب مع الغلمان فشجه صبى منهم ، فاحتملوا الصبى الذى شج ابنه وجاءوا به الى عمر فسمع الجلبه فخرج اليهم

فاذا امرأة تقول : انه ابنى ، وانه يتيم •

فقال لها عمر : هونى عليك ، أله عطاء فى الديوان

قالت : لا

قال : فاكتبوه فى الذرية

فقالت فاطمة زوجة عمر : أتفعل هذا به وقد شج ابنك ، فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية •

فقال عمر : انه يتيم وقد أفزعتموه (٣١) •

---

(٣٠) عمر بن عبد العزيز ــ لابن كثير ــ مرجع سابق ص ١١٨ •
(٣١) المرجع السابق ص ٧٥ •

نصيحة بدل العطاء :

وكان عمر ينصح أولئك الذين يأتونه يطلبون العطاء ولا حق لهم فيه فقد جاءه رجل من قريش كان بنو مروان يعطونه اذا سألهم ، فطلب من عمر فرفض ، فذكر أن عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ابنا عبد الملك كانوا يعطونه كل عام آلاف الدنانير ، فقال له عمر « هذا لا يجوز » ٠

فخرج الرجل غاضبا ، فناداه عمر ، فعاد الرجل مبتهجا ، فقد خيل اليه أن عمر سيعطيه حتى يرضى ٠ ولكن عمر أعطاه نصيحة جاء فيها :

« اذا رأيت شيئا من الدنيـــا فأعجبك فاذكر الموت فانه يقلله من نفسك ، واذا كنت فى شىء من أمر الدنيا قد غمك ونزل بك فاذكر الموت فانه يسهله عليك ، وهذا أفضل من الذى طلبت » (٣٢) ٠

---

(٣٢) خامس الراشدين ــ بقلم عبد الرحمن الشرقاوى ــ عدد الأهرام ١٩٨٥/٨/٧ ٠

الفصل الثانى

تطبيق سياسة رد المظالم
فى عهد عمر بن عبد العزيز

تعريف سياسة رد المظالم :

تقع أحيانا مظالم من ذوى النفوذ والسلطان فى الدولة من حكام وولاة وغيرهم ، ويعجز القضاء العادى عن ايصال الحق الى صاحبه لاقتصار وظيفته على القضاء وافتقاره لسلطة التنفيـــذ ، ولرد هذه المظـالم وجـدت فى الاسلام وظيفة « والى المظالم » أو « صاحب المظالم » كما كان يطلق عليها فى بعض العهود .

ويعرف أحد علماء المسلمين ولاية المظالم فيقول :

« ان ولاية المظالم كولاية القضاء وكولاية الحرب وكولاية الحسبة جزء مما يتولاه ولى الأمر الأعظم ويقيم فيه نائبا عنه ، من تكون فيه الكفاية والهمة لأدائه ، ويسمى المتولى لأمر المظالم ناظرا ولا يسمى قاضيا وان كان له مثل سلطان القضاء ومثل اجراءاته فى كثير من الأحوال ، ولكن عمله ليس قاضيا خالصا ، بل هو قضائى وتنفيذى ، فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الخيرى بأن يرد لصاحب الحق حقه فهو قضاء أحيانا وتنفيذى اداری أحيانا » .

ويوضح الماوردى الغرض من قضاء المظالم بأنه هو :

« قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة » .

كما يوضح مواصفات ناظر المظالم بانها :

« أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لأنه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماة وثبت

القضاة ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلال القدر نافذ الأمر فى الجهتين » •

ربط سياسة رد المظالم بالاصلاح المالى :

ولا يكفى لتحقيق الاصلاح المالى فى أى دولة أن تنقى المالية العامة ايرادا وانفاقا وادارة مما شاب مسارها من مخالفات وتجاوزات ، بل ينبغى أن يمتد الاصلاح المالى الى معاملات المال الخاص فتمنع أية مظالم وقعت عليه سواء من بدء تنفيذ سياسة الاصلاح أو قبلها ، لأن المال الخاص هو المنبع والمصدر للأموال العامة ، ويتم ذلك الاصلاح بوضع نظام بجانب القضاء يلجه المظلومون لطلب النصفة من الظالمين خصوصا اذا كانوا أولى قوة وبأس شديد وذوى قربى من الرؤساء والحكام ، وبغير ذلك يظل المغتصبون للأموال الخاصة معتزين بظلمهم والمظلومون مقهورين لاغتصاب أموالهم •

أدرك عمر بن عبد العزيز ذلك فربط سياسته للاصلاح المالى بسياسة عامة لرد المظالم وبذلك أقام نشاطا للدولة الاسلامية أساسه العدل فأحيا مبدءا من مبادىء الاسلام •

وفيما يلى المبادىء التى أقام عليها عمر بن عبد العزيز سياسته لرد المظالم :

أسس سياسة رد المظالم :

قامت سياسة عمر بن عبد العزيز لرد المظالم على الأسس التالية :

- عزل الولاة الذين ظلموا الرعية واستباحوا حقها •
- التعجيل برد المظالم والاعلان عنها •
- الاعلان عن مكافآت لمن يرشد عن مظلمة •
- رفض طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم •
- تطبيق اللامركزية فى رد المظالم وتبسيط وتسهيل اجراءاته •
- منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها •
- مراجعة الدواوين ورد المظالم للورثة •
- عدم التردد والحزم فى تنفيذ سياسة رد المظالم •
- مساندة سياسة رد المظالم بنظام عادل للقضاء •

ونناقش فيما يلي سياسة رد المظالم مع تعزيزها بحالات تمت فى عهد عمر بن عبد العزيز رد فيها المظالم •

عزل الولاة الظلمة :

ما أن ولى عمر بن عبد العزيز خلافة الدولة الاسـلامية حتى بادر بالعمل على ايقاف المظالم وكانت أولى خطواته فى ذلك عزل الولاة الظلمة الذين أذلوا الناس وأوقعوا بهم الجور ، فقد كان يعرفهم قبل توليه الخلافة ونوه عنهم فقال :

« الوليد بالشام والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن وعثمان ابن حيان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب ، امتلأت الأرض والله جورا »(١) •

وقد شمل العزل بعد ولايته مباشرة كلا من :

ـ أسامة بن زيد التنوخى صاحب خراج مصر وكان سليمان بن عبد الله قد ولاه على الخراج وكان أمير مصر اذ ذاك هو ابن رفاعة وكـان صالحا عفيفا حسن السيرة يقيم العدل فى الرعية ، فلما وجد أن صـاحب الخراج يشق على أهل مصر فى الخراج فكان يقطع الأيدى فى خلاف ما أمر الله به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها من لم يدفع الضريبة ومن يخالفه واللصوص وقطاع الطرق ثم يلقى بهم الى التماسيح لتلتهمهم التهاما ، شكاه الناس الى سليمان بن عبد الملك ولكن سليمان كان يحتضـنه بعد أن رسم له سياسته فى الخراج وقد أوضحنا أنه كان يقول له •

« احلب الدر حتى ينقطع « والدر هو اللبن » واحلب الدم حتى ينصرم » •

وقد حاول عمر اقناع سليمان بعزل هذا الجبار الظلوم •

ولكن سليمان قال له فى اعجاب بأسامة التنوخى « أسامة لا يرتشى دينارا ولا درهما » •

قال عمر : أنا أدلك على من هو أشر من أسامة ولا يرتشى دينارا ولا درهما •

قال سليمان : من هو ؟

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ابن عبد الحكم ـ تصحيح وتعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ١٤١ •

قال عمر : عدو الله ابليس ٠

من أجل ذلك كان أول ما آمر به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو عزل أسامة التنوخي وحبسه بما اقترف من جرائم وأمر به أن يقيد فى الأصفاد ، ولا ترفع عنه الا وقت الصلاة (٢) ٠

ـ وعزل عمر بن عبد العزيز كذلك أمير أفريقية يزيد بن مسلم وأمره بأن يقدم حسابه فقد كان يأمر مخالفيه ان يعذبوا بين يديه ويشهد عذابهم سعيدا متلذذا به وهو يسبح ويكبر ويقول :

« سبحان الله والحمد لله ، عذبوه في موضع كذا من جسمه ، لا اله الا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا ٠٠٠ » (٣) ٠

ـ كما عزل عمر بن عبد العزيز خالد بن الريان سياف الوليد وصاحبه ، فقد حدث فى عهد سليمان بن عبد الملك أن أرسل فى طلب عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فاذا هو عابس فاشار اليه أن اجلس فجلس ٠

فقال سليمان : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل ؟

فسكت عمر ثم عاد الوليد فسكت ثم عاد ٠

فقال عمر : أقتل يا أمير المؤمنين ؟

قال سليمان : لا ولكن سب ٠

فقال عمر : ينكل به ٠

فغضب سليمان وخرج ٠

وكان عند سليمان بن عبد الملك صاحب حرسه وسيافه خالد بن الريان ، فأمره بضرب عنق الرجل ٠

فلما خرج سليمان ٠

قال خالد بن الريان لعمر : تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه الا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله لقد كنت متوقعا أن يأمرنى بضرب عنقك ٠

قال عمر يسأله : لو أمرت لفعلت ؟

قال خالد بن الريان : انى والله لو أمرت لفعلت ٠

---

(٢) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ٣٢ ٠

(٣) المرجع السابق ص ١٠٢ ٠

فلما تولى عمر الخلافة استدعى بن الريان وعزله عن الحرس ·

وقال له : يا خالد ضع السيف عنك ، اللهم انى قد وضعت لك خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبدا ·

وولى عمر على الحرس عمر بن مهاجر الانصارى (٤) ·

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعزل الظالمين من ولاته وعماله بل أعلن فى احدى خطبه أن الامام الظالم عاص فقال :

« لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، الا وانكم تعدون الهارب من ظلم امامه عاصيا ، ألا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم » (٥) ·

التعجيل فى رد المظالم والاعلان عنها :

وكان عمر حينما عزل الظلمة من ولاته قد بدأ بازالة سبب هام من الأسباب التى تؤدى لوقوع المظالم وكان أحد أبنائه قد استعجله فى تطبيق سياسة رد المظالم فبعد أن بويع بالخلافة ذهب عمر يوما يتبوأ مقيلا فأتاه ابنه عبد الملك ·

قال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟

قال يا بنى : اقيــل ·

قال : تقيل ولا ترد المظالم الى أهلها ·

قال : انى سهرت البارحة فى أمر سليمان ، فان صليت الظهر رددت المظالم ·

فقال الابن : ومن لك أن تعيش الى الظهر ·

قال : ادن منى أى بنى ·

فدنا فقبله بين عينيه ·

وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى (٦) ·

ــ ولجأ عمر الى جميع وسائل الاعلام التى كانت فى عهده للاعلان وابلاغ الشعب بأن يتقدم كل صاحب مظلمة للدولة لرد مظلمته فأعلن

---

(٤) فى رواية أخرى أن الذى استدعى عمر هو الوليد ــ انظر عمر بن عبد العزيز لأبى كثير القرشى ص ٥٢ ·

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ــ لابن عبد الحكم ــ تصحيح وتعليق أحمد عبيد طبعة ثانية ــ ص ٣٧ ·

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير مرجع سابق ص ١٠٧ ·

ذلك على الناس سواء عن طريق مناد ينادى فى الناس بذلك أو بما ألقاه من خطب أو بما وزعه من منشورات مكتوبة على الشعب ، وفيما يلى نماذج لذلك :

★ ما ان نزل عمر من على المنبر يوم أتته الخلافة حتى أرسل قبل صلاة الظهر مناديا ينادى فى الناس « من كانت له مظلمة فليرفعها »(٧).

★ ووقف عمر فى الناس خطيبا فقال :

« وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا الا حرصنا أن نسد حاجته ما استطعنا وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا، الا تمنيت ان يبدأ بى وبخاصتى حتى يكون عيشنا وعيشه سواء » .

★ وأمر عمر ان يذاع منشور له عن رد المظالم فى جميع الاقطار وحيث تجمعات الناس فى المواسم والمساجد والأسواق وورد فيه :

« من ظلمه حاكمه مظلمة فلا اذن له على » (٨) .

اعلان عن مكافأة لمن يرشد عن مظلمة :

أمر عمر بن عبد العزيز أن يعلن فى موسم الحج على الناس الاعلان التالى :

« ايما فرد قدم علينا فى رد مظلمة فى أمر يصلح له به خاصا أو عاما من أمر الدين فله ما بين مائة دينار الى تلثمائة بقـــدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة وطول السفر وبقدر ما يحق الله به حقا أو يميت به باطلا أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولولا أن أطيل عليكم فيشغلكم ذلك عن مناسككم لسميت أمورا من الحق أظهرها الله وأمورا من الباطل أماتها الله » (٩) .

تعليمات عمر لعماله بتجنب المظالم :

بدأ عمر بن عبد العزيز بولاته فنصحهم وأوصاهم بعدم ارتكـــاب المظالم وحذرهم من السير على شاكلة من سبقهم فى ظلم الرعية وايقاع الجور والحيف بها فأرسل لهم الكتب بذلك وأشهد الناس عليهم وطلب منهم مراقبة هؤلاء الولاة وعدم الاستجابة لأى ظلم يحاولون ايقاعه بهم .

(٧) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ١٠٤ .
(٨) سيرة عمر : ابن الجوزى ص ٥٥ .
(٩) المرجع السابق ص ٧٣ .

ومن نصائح عمر لولاته عن تجنب الظلم :

« كونوا في العدل والاصلاح والاحسان بقدر ما كان قبلكم في الظلم والجور والعدوان ولا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ ان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء الذين قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان (١٠) ٠

ومنها ايضا :

« ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم في كل شبهة ٠ فان الوالي اذا أخطأ في العفو خير من أن يتعدى في العقوبة » (١١) ٠

ويدعو الناس لمراقبة عماله فيقول :

« اني قد استعملت عليكم عمالا ٠٠٠ لا أقول أنهم خيركم ٠٠٠ ولكن أقول انهم خير ممن هم شر منهم » (١٢) ٠

ويأمر عمر الناس بعدم طاعة الحاكم اذا هو انصرف عن الحق فيقول :

« أي عامل من عمالي رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم وقد صيرت امره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم » (١٣) ٠

رفض عمر طلبات لولاته تحمل شبهة الظلم :

يحاول بعض الولاة أن يتخذوا من الظلم وعدم تطبيق القوانين وانزال العقاب بالناس وسيلة للاصلاح وهؤلاء ان أصابوا مرة أخطأوا مرات ، وتكون اصلاحاتهم ان تحققت قد قامت على أسس منافية للعدل وهو عماد أي اصلاح دائم شامل وركيزة رضاء الشعب عن هذه الاصلاحات وتقبله لها ، لذلك رفض عمر بن عبد العزيز طلبات الاصلاح التي تقدم بها ولاته بوسائل تحيد عن الحق والعدل فمن ذلك :

---

(١٠) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ١٠١ ٠

(١١) سيرة عمر بن عبد العزيز - سعد عبد السلام ص ٦٤ ٠

(١٢) سيرة عمر - ابن الجوزي ص ٧٢ ٠

(١٣) المرجع السابق ص ٧٢ ٠

★ ولى عمر بن عبد العزيز « يحى الفسانى » على الموصل فلمـــا قدمها وجدها من أكثر البلاد فسادا ، تنتشر فيها السرقة والجريمـــة ، فكتب الى عمر يعلمه بحال البلد ويسأله هل يأخذ الناس بالظنة ويضرب على مجرد التهمة أو يأخذهم بالدليل والبينة ٠

فكتب اليه عمر :

« خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة ٠٠ فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله ٠٠ » (١٤) ٠

★ وحدث أن تلقى عمر كتابا من واليه على خراسان يطلب منه فيه أن يأذن له باستخدام القوة والعنف مع أهلها قائلا : انهم لا يصلحهم الا السيف والسوط ٠٠٠

فكتب اليه عمر :

« كذبت ٠ بل يصلحهم العدل والحق ٠ فابسط ذلك فيهم ، واعلم أن الله لا يصلح عمـــل المفســـدين ان قلوب الأمم لا تملك بالقسر والقسوة » (١٥) ٠

بل ذهب عمر الى أكثر من ذلك فسلب الولاة حق الحكم بقتل الناس بعد أن أسيىء استعمال هذا الحق فى العهود السابقة وقرر عدم قتل أحد الا بعد عرض قضيته عليه شخصيا وأخذ رأيه حتى يتحقق قول الله جل وعلا :

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » (الأنعام/من ١٥١) ٠

تطبيق اللامركزية فى رد المظالم :

ولسرعة رد المظالم وتبسيط اجراءتهـا أمر عمر بن عبد العزيز ولاته بذلك على النحو الذى أوضحنا كما أمر عماله بعدم مراجعته فيما يأمر به من رد للمظالم ، كما أجاز نقل الأموال لرد المظالم من بيت مال احدى الولايات الى بيت مال ولاية أخرى اذا كانت هذه الولاية ليس بها أموال ، فلما نفد بيت مال العراق فى رد المظالم حمل اليها من الشام(١٧) وكتب الى عامله على اليمن بعدم التردد فى رد المظالم فقال ٠

---

(١٤) المرجع السابق ص ٩٧ ٠

(١٥) المرجع السابق ص ٩٣ ٠

(١٦) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ٧٧ ٠

(١٧) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ١٠٧ ٠

« أما بعد فانى أكتب اليك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعنى ‥ ولا تقدر المسافة بينى وبينك ولا تعرف أحداث الموت ـ حتى لو كتبت اليك أن أردد على مسلم شـاة ‥ لأرسلت تسـألنى أن أرددها عفراء أو سوداء ‥ فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى ‥ وتبين وجه الحق فيه ثم امضه » ٠

وكتب الى عامله على الكوفة (١٨) :

« يخيل الى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجـلا شاه ، لكتبت الى اضأن أم ماعز ٠ فان كتبت بأحدهما كتبت الى أصغيرة أم كبيرة فان كتبت اليك كتبت الى أذكر أم أنثى فان أتاك كتابى فى مظـلمة فاعمـل بها ولا تراجعنى » (١٩) ٠

وكتب الى آخـر :

« انك تراجعنى ‥ فنفذ ما أكتب به اليك من الحق فانه ليس للموت ميقات نعرفه » (٢٠) ٠ وشبيهة بكثرة أسـئلة ولاة عمر فى رد المظالم وأمثالهم من عمال الدولة المترددين ما فعله بنو اسرائيل مع موسى حينما أمرهم بذبح بقرة وضرب القتيل ببعضهما فتعود اليه الحياة ويرشد عمن قتله ، فقد أكثروا من الأسئلة وما كادوا يفعلون ما أمرهم به موسى عليه السلام ويشير القرآن الكريم الى ذلك ، فيقول الله جل وعلاء :

« واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنـا ماهى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسـلمة لا شية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » (البقرة / ٦٧ ـ ٧١) ٠

(١٨ ، ١٩) سيرة عمر ـ ابن الجوزى ص ٩٧ ٠

(٢٠) الموسوعة ـ عمر أبو النصر ص ١١٢ ٠

تسهيل اجراءات رد المظالم :

وتبسيطا وتسهيلا لرد المظالم كان عمر بن عبد العزيز يكتفى لاثبات حق المظلوم باليسير من البينة ويفسر الشك لصالحه ٠

ــ فقد قال أبو الزناد : كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم الى أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفى باليسير اذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ، ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس (٢١) ٠

ــ وكتب عمر بن عبد العزيز كتابا الى عماله بتفسير الشك لصالح المظلوم هذا نصه :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال :

أما بعد فانى كنت قد كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت اليكم أن تحبسوها ، ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها ، ثم رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلى الأمر من غد على ما ينجلى عنه ، فاذا جاءك كتابى هذا فارددها على أهلها والسلام عليك » (٢٢) ٠

منع المظالم عن بيت المال قبل وقوعها :

لم تكتف سياسة عمر بن عبد العزيز برد مظالم وقعت بل كانت تمنع نشوء ظلامات جديدة ، فكان يرفض طلبات الطامعين فى الأموال العامة ولو كان من قرابته أو من أصدقائه وكان بذلك يضرب المثل لولاته وعماله ويقدم القدوة لهم ليحذوا حذوه وحتى يسيروا على منواله ٠

ــ فقد جاء عمر أحد أصدقائه من بنى عمه وساله مالا ٠

فقال له : ان كان مالك الذى أصبح عندك حلالا فهو كافيك وان كان حراما فلا تزيدن اليه حراما ٠

الا تخبرنى أمحتاج أنت ؟

قال : لا ٠

قال : فعليك دين ؟

قال : لا ٠

---

(٢١) سيرة عمر بن عبد العزيز ــ ابن عبد الحكم ــ تصحيح وتعليق أحمد عبيد ٠ ص ١٠٦ طبعة ثانية ٠

(٢٢) المرجع السابق ص ٧٧ ٠

قال : أفتأمرني أن أعمد الى مال الله فاعطيكه من غير حاجة بك اليه ، وأدع فقراء المسلمين ، لو كنت غارما (مدينا) أديت غرمك (دينك) أو محتاجا أمرت لك بما يصلحك ، فعليك بمالك الذى عندك فكله (أنفقه) واتق الله وانظر أولا من أين جمعته ، وانظر لنفسك قبل أن ينظر اليك من ليس عنده هوادة ولا مراجعة (٢٣) ٠

ـ أتى عمر بن عبد العزيز عنبسة بن سعيد أحد شيوخ بنى أمية وقد أوتى قدرا كبيرا من الحلم والحكمة وكان عنبسة صديقا حميما لعمر ٠

فقال له « يا أمير المؤمنين ان سليمان بن عبد الملك رحمه الله قد كان أمر لى بعشرين ألف دينار ، حتى انتهيت الى ديوان الختم ولم يبق الا قبضها فتوفى على ذلك ، وأمير المؤمنين أولى باستتمام الضيعة عندى ، وما بينى وبينه أعظم مما كان بينى وبين أمير المؤمنين سليمان » ٠

قال عمر : كم ذلك ؟ ٠

قال : عشرون ألف دينار يا أمير المؤمنين ٠

قال : عشرون ألف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها الى رجل واحد مالى الى ذلك من سبيل ، فرمى عنبسة بالكتاب الذى فيه أمر سليمان ٠

فقال له عمر : لا عليك أن يكون معك فاحتفظ به فلعله يأتى بعدى من هو أجرأ على هذا المال منى فيأمر لك به ٠

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان قومك يسألونك أن تجرى عليهم ما كان قبلك يجرى عليهم ٠

قال عمر : والله ما هذا المال مالى وما الى ذلك من سبيل (٢٤) ٠

مراجعة الدواوين ورد المظالم للورثة :

وكتب عمر الى عماله بجرد الدواوين والنظر فى كل جور فعله من قبله فى حق مسلم أو معاهد فيرده اليه ، فان كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا يدفعه الى ورثته (٢٥) ٠

---

(٢٣) خامس الخلفاء الراشدين ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ جريدة الاهرام ٠ عدد ١٩٨٥/٨/٢١ ص ١٢ ٠

(٢٤) مقتبسة من سيرة عمر ـ لابن عبد الحكم ص ٤٩ ٠

(٢٥) الموسوعة ـ عمر أبو النصر ص ١٩٩ ٠

حزم فى سياسة رد المظالم :

استجاب المظلومون لسياسة عمر فى رد المظالم وتقدموا اليه والى ولاته وعماله يطلبون رد ظلاماتهم التى وقع معظمها قبل عهده سواء كان ذلك من أقرباء الخليفة أو من أمراء بنى أمية أو من الولاة وعمال الدولة ولم يتردد عمر فى رد المظالم ٠

فحين جرد أمراء بنى أمية من ثرواتهم وممتلكاتهم وردها الى بيت المال والى أربابها قال له بعض أصفيائه : يا أمير المؤمنين ، ألا تخاف غوائل قومك ؟

فقال : أبيوم سوى يوم القيامة تخوفوننى ؟ فكل خوف أتقيه دون يوم القيامة لا وقيته (٢٦) ٠

وكان يقول « والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل الا بتقطيع أوصالى وأعضائى لأمضيت ذلك وأنا سعيد والله لو لبثت فيكم خمسين عاما ، ما أقمت فيكم الا ما أريد من العدل (٢٧) ٠

قضاء عدل يساند سياسة رد المظالم :

تتساند سياسة رد المظالم والقضاء العادل فى اشاعة العدل فى ارجاء المجتمع ونصفة المظلومين ، لذا عنى عمر بن عبد العزيز بمرفق القضاء ، فكان يشترط فى القاضى قبل تعيينه مواصفات معينة فقال « لا ينبغى للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعمل ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للطمع ، ومنصفا للخصم ، ومقتديا بالأئمة » ٠٠

وكانت وظيفة القضاء قبل عصر عمر وقفا على العرب لا يتسامى اليها الموالى ، ولكن عمر بن عبد العزيز لايفرق بين العربى والموالى ، بل جعل الأساس هو التقوى والصلاح وتوفر المواصفات التى حددها ، فشد أزر الولاة بقضاة عدول فمثلا جعل :

الحسن البصرى على قضاء البصرة ٠

وعامر الشعبى على قضاء الكوفة (٢٨) ٠

(٢٦ ، ٢٧) عبقرية الاسلام ــ عمر بن عبد العزيز ــ مرجع سابق ص ١١٦ ، ١١٧ ٠
(٢٨) عمر بن عبد العزيز ــ سيد عبد السلام حبيب ص ٦٦ ، ٦٨ ٠

نماذج من حالات رد المظالم :

وفيما يلى نماذج لبعض المظالم التى ردها عمر بن عبد العزيز :

عمر بن عبد العزيز يرد دارا آلت لأخيه بمصر :

بنى خارجة بن حذافة دارا غربى مسجد عمرو بن العاص فلما مات آلت الدار الى ابنه الربيع وكان يتيما فى حجر عبد العزيز بن مروان والد عمر ، فلما بلغ الربيع اشترى عبد العزيز بن مروان منه داره بعشرة آلاف دينار وملكها لابنه الأصبغ بن عبد العزيز ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز ذهب الربيع اليه طالبا رد الدار فردها عليه بعد أن يدفع اليه الثمن ، فسأله الربيع أن يعطيه كراءها (ايجارها) ٠

فقال عمر : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان ٠

وبذلك لم يأمر بالكراء (٢٩) ٠

ويبدو أن حيثيات عمر فى رد الدار أنه لا يجوز لولى اليتيم الشراء ممن يلى أمره استنادا لقول الله جل وعلا :

« وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ٠ (النساء ــ ٢) ٠

وقوله سبحانه وتعالى :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ٠ (النساء ــ ٦) ٠

أما حيثياته فى عدم دفع الكراء هو أن ساكن البيت يضمن سلامتها بما ينفقه عليها من صيانة وتجديد وهى نفقات تقابل قيمة الكراء ٠

استرداد الأهالى لحوانيتهم المغتصبة :

اوضحنا أن عمر بن عبد العزيز استرد لبيت المال حقوقه من الأمراء الأمويين فرد اليه ما نالوه من عطاء بالباطل وأموال عامة اغتصبوها بغير حق ولم تقف ما استرد منهم على ذلك فقط ، بل امتدت اجراءاته لاسترداد ما كانوا اغتصبوه ظلما من الناس ، فقد أتى عمر بن عبد العزيز

---

(٢٩) فتوح مصر واخبارها ــ مرجع سابق ص ٣٧ ٠

جماعة من أهل حمص ، فشكوا أن روح بن الوليد قد اغتصب منهم حوانيتهم ، فدعاه عمر والمظلومون حاضرون وأمره أن يرد الحوانيت عليهم ٠

قال روح : هى لى بسجل الوليد ٠

قال عمر فى حسم قاطع : وما يغنى عنك سجل الوليد يا ابن الوليد ، والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البينة عليها ؟ خل لهم حوانيتهم ٠

تظاهر روح بالموافقة وقام ، وقام معه القوم المتظلمون ، فلما خرجوا من عند الخليفة توعدهم روح ، فرجع شيخهم مسرعا وقال : يا أمير المؤمنين هو والله يتوعدنا ٠

فأمر عمر صاحب شرطته أن يخرج الى روح فينذره أن يسلم ما اغتصب والا أنزل به عقاب المفسدين فى الأرض ، فرد حوانيت حمص على أصحابها (٣٠) ٠

استرداد أرض لذمى من الأمراء الأمويين :

أثناء جلوس عمر بن عبد العزيز لرد المظالم قام اليه رجل من أهل حمص ٠

فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ٠

فقال عمر : ما ذاك ؟

قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى

وكان عدد من رؤوس الناس وفيهم العباس بمجلس عمر ٠

فسأله عمر : يا عباس ماذا تقول ؟

قال : نعم أقطعنيها أبى أمير المؤمنين الوليد وكتب لى بها سجلا ٠

فقال عمر : ما تقول يا ذمى ؟

قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى ٠

فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فاردد عليه ضيعته يا عباس (٣٠) ٠

---

(٣٠) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ابن عبد الحكم ـ علق عليها أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ص ٥٢ ٠

فردها عليه صاغرا (٣١) .

رد حقوق أهل دير من ذوى قربى الخليفة :

خاصم مسلمة بن عبد الملك أهل دير اسحاق فشكوه الى عمر .

فجاء مسلمة وجلس وهم وقوف ... فانتفض عمر غضبا .

فقال لمسلمة وهو ابن عمه وصهره : لا تجلس وخصماؤك بين يدى .

وقضى عمر لأهل دير اسحاق بحقهم (٣٢) .

وبذلك عدل عمر بن عبد العزيز ومنع الظلم الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه » (٣٣) .

رد مظالم الحجاج :

وكان مما سرت عليه سياسة رد المظالم ، رد المظالم المالية للحجاج الثقفى فقد أخرج عمر أهل بيت الحجاج من العراق ، ونزع منهم ما اغتصبوه من غيرهم فرد الأموال المغتصبة الى أصحابها ، أما ما أغدقه عليهم الحجاج من أموال فرده الى بيت مال العراق ، وقد سمع أن عامله على العراق لم يتخلص بعد من تقاليد وأوضاع سيئة ومنها الأوضاع المالية ، فكتب اليه :

« بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فانه كان يصلى الصلاة بغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع (٣٤) .

رد أموال اغتصبها والى :

خرج عمر من مكة بعد أن حج وخرج معه عامله على مكة وبعض أعيانها ليودعوه ، وفى الطريق أتاه رجل .

---

(٣١) خامس الراشدين ــ عبد الرحمن الشرقاوى ــ عدد الاهرام ١٩٨٥/٨/٢١ .
(٣٢) سيرة عمر ــ ابن الجوزى ــ ص ٧٤ .
(٣٣) الخراج لأبى يوسف ــ ص ١٢٥ .
(٣٤) خامس الخلفاء الراشدين ــ مقال للأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى ــ عدد الأهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٨ ص ١٢ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم ٠

فقال عمر للرجل : ان كنت صادقا فتكلم ولا تخشى غير الله ٠

قال الرجل : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، ان هذا ـ وأشار الى عامل عمر على مكة ـ سامنى بما أملك وأعطانى به ستة آلاف درهم فأبيت أن أبيعه ، فاستعداه على غريم لى فحبسنى فلم يخرجنى حتى بعته بنصف ما فرض على آنفا ، بثلاثة آلاف بدلا من ستة آلاف واستحلفنى بالطلاق أن خاصمته أبدا ٠

فنظر عمر الى عامله على مكة ثم مس بالخيزران علامة ظهرت من كثرة السجود ما بين عينيه ٠ وصاح مؤنبا : هذه غرتنى منك ٠

ثم قال للرجل : اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنث عليك(٣٥) ٠

رد اموال من بيت المال لرفع ظلم :

وكانت المظالم ترد من كل من ظلم حتى من بيت المال نفسه ٠

فقد جاء رجل من أهل ازربيجان وقام بين يدى عمر بن عبد العزيز ٠

وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامى هذا بين يديك مقامك غدا بين يدى الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ٠

فبكى عمر بكاءا شديدا ٠

ثم قال له : ما حاجتك ؟

فقال : ان عاملك بأذربيجان عدا على فأخذ منى اثنتى عشر ألف درهم فجعلها فى بيت المال ٠

فقال عمر : اكتبوا له الساعة الى عاملها فليردها عليه ، ثم أرسله مع البريد (٣٦) ٠

رد أرض اغتصبها عامل بالدولة :

وجاء عمر رجل يشكو عاملا له انتزع منه أرضا فأمر عمر بالتحقيق فى الأمر ، فلما تبين له أن عامله ظلم الرجل ، عزل عامله ورد

---

(٣٥) خامس الخلفاء الراشدين ـ مقال للأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى ـ عدد الأهرام فى ١٩٨٥/٨/٢٨ ٠ ص ١٢ ٠

(٣٦) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير ـ مرجع سابق ص ٧٠ ٠

الأرض الى صاحبها ، وقبل أن يرحل الرجل . ساله عمر : كم أنفقت في مجيئك الى ؟

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى وأنت قد رددت على أرضى وهى خير من مائة ألف ٠

قال عمر : انما رددت عليك حقك فأخبرنى كم أنفقت ؟

قال الرجل : ما أدرى يا أمير المؤمنين ٠

قال عمر : احرزه ٠

قال الرجل : ستون درهما ٠

فأمر عمر له بها من بيت المال فأخذها الرجل وانصرف شاكرا ٠

فناداه عمر فرجع ٠

فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى ترجع الى أهلك (٣٧) ٠

رد الكنائس لأهل الذمة :

ولم يقتصر رد عمر للمظالم على المسلمين وحدهم ، بل امتدت مظلة عدالته وسماحته لغيرهم من أهل الكتاب ذلك أن عمر يعرف أنه اذا أدى أهل الكتاب الجزية أصبحوا فى ذمة الدولة الاسلامية تمكنهم من اقامة شعائرهم ولا تعتدى على معابدهم وترعاهم برعاية عدالة الاسلام ٠ ومن نماذج عدالة عمر ما أوردناه عن عزمه على هدم جزء من المسجد الأموى أقيم على أرض كان لأهل الكتاب عليها كنيسة لولا قبولهم بالاتفاق مع علماء المسلمين التنـــازل عن ظلامتهم مقـــابل تسليمهم جميع كنائس الغوطة التى أخذت منهم وصارت فى أيدى المسلمين ٠

ومن ذلك أيضا ما قاله البلاذرى ٠

قال ضمرة عن « على بن أبى حملة » أنه قال :

خاصمنا عجم أهل دمشق فى كنيسة كان فلان قد قطعها لبنى نصر فأخرجنا عمر منها وردها الى النصارى (٣٨) ٠

---

(٣٧) سيرة عمر ـ ابن عبد الحكم ص ١٢٥ ٠

(٣٨) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ـ ص ٧٦ نقلا عن عمر أبو النصر عن البلاذرى ٠

رد ظلامة عامل من والى :

ولم يكتف عمر برد الظلامات المالية بل امتدت ازالتـه للمظـالم ورفع الظلم عمن وقع عليهم الى مظلمات عماله فقد عزل واليه مسلمة بن عبد الملك عامله العريان بن الهيثم وكان على شرطة الكوفة ٠

فتقدم العريان الى عمر رافعا ظلامته وشكواه ٠

فكتب عمر الى مسلمة :

« ان من حفظ أنعم الله رعاية كبـار السن ٠٠ ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنوب ٠٠ ومن تمام السـؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع ٠٠ وقد كنت أودعت (العريان) نعمـة من أنعمـك فسلبتها عجلة سخطك ٠٠ لقد غضبت عليه حتى وليته ٠٠ ثم عزلته أنت وخليته ٠٠ وانى شفيعه ، فأحب أن تجعل له من قلبك نصـيبا ولا تخرجه من حسن رأيك » (٣٩) ٠

رد المظالم عن الحيوان :

وكان من رحمة عمر بن عبد العزيز أن رد المظالم عن الحيوانات نفسها فأمر أن لا تحمل ما لا تطيق وان لا تنخس الدواب حتى تسرع فى المسير ٠

فقد كتب يوما كتابا الى « حيان بن شريح » عامله على مصر يقول فيه :

« بلغنى أن الحمالين يحملون الابل ما لا تطيق ٠٠ فاذا أتاك كتابى هذا فامنع الناس من أن يحملوا البعير أكثر من ستمائة رطل » (٤٠) ٠

ورأى فى بعض جولاته اناسا يحملون مقارع (عصيا) وركبت فى أسفلها مسامير (لنخس) الدواب حتى تسرع فى المسير فأصدر أوامره فورا بتحريم استخدام مثل هذه العصى ٠ (٤١)

وأرسل اليه واليه على الأردن بسـلتين كبيرتين من رطب الأردن كهدية فلم يقبلها ٠

وسأل : علام جىء بهما ؟

قيل : على دواب البريد ٠

---

(٣٩) المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ ٠

(٤٠ ، ٤١) سيرة عمر – ابن عبد الحكم – ص ١٣٦ ٠

قال : لقد حملتموها فوق ما تطيق .. اخرجوا السلتين فبيعوهما واجعلوها ثمنها فى علف دواب البريد . (٤٢)

وان كانت هذه نماذج تفصح عن رحمة عمر ، الا انها من ناحية أخرى تحافظ على الثروة الحيوانية للبلاد وتصونها من الاستهلاك السريع نتيجة سوء الاستعمال .

وعمر بن عبد العزيز فى ذلك كان مقتديا بالرسول صلى الله وسلم الذى أرسله الله رحمة للعالمين (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (الأنبياء – ١٠٧) ، فمن نماذج رحمته بالحيوان أنه نهى عن وسم الحيوان فى وجهه ، وأمر عائشة بالرفق بالحيوان وكانت معه فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا ، كما أمر أن تعطى الدواب حقها فى المنازل حين ركوبها ولعن من مثل بالحيوان ونهى عن التحريش بين البهائم ، وفى مسيرة من المدينة الى مكة عام الفتح رأى على ماء فى الطريق كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعن منها فأمر رجلا من أصحابه أن يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجرائها (٤٣) .

سياسة رد المظالم اشاعت الاستقرار :

يسجل التاريخ أن الخوارج كانوا قوما يلحون فى الخصومة وكان لبعضهم آراء وعقائد لا يزكيها قرآن ولا سنة واستخدموا السلاح فى فرض آرائهم ، ولم يغمدوا سيوفهم يوما واحدا منذ عهد معاوية فأغمدوها فى عهد عمر بن عبد العزيز وقرروا ألا يثيروا تمردا ولا شغبا ما دام عمر خليفة ، وكان ذلك من عوامل استقرار المجتمع ، فقد آثر عمر أسلوب المناقشة والاقناع فكان يجتمع بهم ويناقش آراءهم بمنطق سليم وحجج قوية ورزق من رضى منهم وكساهم من بيت المال ، وأمر لهم بعطاء . وقد كان من عوامل اغماد الخوارج للسلاح سيرة عمر ورده للمظالم .

فقد قيل :

« فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ما رد من المظالم .. اجتمعوا وقالوا : ما ينبغى أن نقاتل مثل هذا الرجل » (٤٤) .

---

(٤٢) سيرة عمر – ابن الجوزى – ص ١٦٠ .

(٤٣) من أخلاق النبى – تأليف د / احمد محمد الحوفى ص ١٩٧ – ٢٠٠ وبطل الابطال – بقلم عبد الرحمن عزام – ص ٧٠ ، ٧١ .

(٤٤) سيرة عمر – ابن الجوزى – ص ٥٤ ، سيرة عمر لابن عبد الحكم . ص ١٠٨ – ١١١ .

ومما ساهم فى الاستقرار أيضا ما أمر به عمر من الاقلاع عن المظالم التى كانت تقع على أتباع على بن أبى طالب رضى الله عنه ومنع سب على على المنابر واعطائهم العطاء المستحق لهم وكان مما أمر به عندما ولى الخلافة الاقلاع عن لعن وسب على وجعل مكانه :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . (٤٥)

وبذلك تفادى عمر بن عبد العزيز نقد أم سلمة رضى الله عنهما للعن الخلفاء الأمويين لعلى بن أبى طالب ، حينما كتبت الى معاوية ابن ابى سفيان تقول :

« انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون عليا ابن أبى طالب ومن أحبه . وأنى أشهد ان الله أحبه ورسوله » (٤٦) .

---

(٤٥) عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام ص ١٤٩ .

(٤٦) المرجع السابق ص ١٤٦ ـ نقلا عن عمر بن عبد العزيز ـ احمد زكى صفوت . ص ٦٥ .

الباب الثامن

انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز
بعد وفاته
وشهادات له ولسياساته

الفصل الأول

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس سياسته المالية

وفاة عمر بن عبد العزيز وانتكاس الاصلاح المالى بعده :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام، فقد توفى لخمس ليـــال بقين من رجب سنة احدى ومائة هجرية وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة اشهر (١) ، وقيل أن ســـبب وفاته السل ، وقيل أن السبب هو شدة خوفه من الله ، وقيل أنه مات مسموما بسم دسه مولى له نظير الف دينار من معارضى سياسته من أمراء بنى أمية ، ولما اكتشف عمر بن عبد العزيز ذلك أمر بوضع الألف دينار ببيت مال المسلمين وترك الجانى ، ومات الخليفة بدير سمعان ودفن بها (٢) .

وبموت عمر بن عبد العزيز ، انتكست سياسة الاصلاح المالى التى قادها ، وعادت تجاوزات ومخالفات المال العام تعترى عناصر السياسة المالية للدولة فى عهود بعض من تولى بعده .

اسباب انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للاصلاح المالى :

رأينا أن عمر بن عبد العزيز طلب سياسة عمر بن الخطاب ليقتدى بها وأنه طبق هذه السياسة فى النواحى الخاصة بالمال العام على النحو الذى أوضحناه بعد أن استقاها من مصـــدريها الأساسيين وهما القرآن والسنة وظلت هذه السياسة منفذة فى حياته ، ولكنه لما مات انتكست للأسباب التالية .

---

(١) الطبرى جزء ٦ مرجع سابق ص ٥٦٥ .

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق أحمد الشرباصى ص ٩٨ .

نبذ أمراء بنى أمية سياسة عمر بن عبد العزيز من بعده :

كانت صدارة الامة الاسلامية فى عهد بنى امية لأمراء بنى أمية ، وكان من مصلحتهم المادية نبذ سياسة عمر بن عبد العزيز التى جردتهم من مزاياهم المالية المتمثلة فى التميز فى العطاء والاغتراف من بيت المال. كما يشاءون والتى أعادت لأبناء على بن أبى طالب ومن شايعوهم حقوقهم المشروعة فى عطاء بيت المال وكانوا يخشونهم على سلطانهم ، كما أنهم كانوا رافضين لسياسة عمر بتولى الأكفاء من المـوالى الوظائف العـامة ويعتبرون ذلك نبلا من تعاليهم وسلبا لتميزهم على الموالى .

عودة الصراع بين الأحزاب والحزب الحاكم :

سلب أمراء بنى امية بعد عمر بن عبد العزيز المعارضين حقوقهم المالية التى كان قد أعادها اليهم وكانت المعارضة للحكم الأموى تتمثـــل فى الأحزاب والطوائف التالية :

حزب الشيعة : يرى أن على بن ابى طالب وأولاده من بعده احق الناس بالخلافة .

حزب الخوارج : واعضاؤه الذين خرجوا من جيش على وانصاره وأعلنوا عصيانهم له وكانوا يستحلون دماء الأمويين والعلويين ويرونهم خارجين على الدين ويرون أن الخلافة حق لكل مسلم لا فرق بين قرشى وغير قرشى .

حزب الزبيريين : وينادى أعضاؤه بالخلافة لعبد الله بن الزبير .

طائفة الموالى : لم تظهر كحزب ولكنهم كانوا ينضمون للأحـــزاب المعارضة (٣) .

طائفة القدرية : كانوا ينكرون قدر الله تعالى ويغالون فى اثبات قدرة الانسان . (٤)

وقد أدى سلب الحقوق المالية للمعارضة الى اتخاذ العلاقة بـين أمراء بنى أمية والاحزاب شكل الصراع الذى مولته الدولة الأموية وبذلك عادت للمال العام احدى نكساته التى كانت له قبل عمر بن عبد العزيز وهى انفاق جزء منه على قتال المسلمين بعضهم بعضا .

---

(٣) محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى ــ د. محمد الطيب النجار ص ٨٥ . ٨٦ .
(٤) عمر بن عبد العزيز ــ سعد عبد السلام ص ١٥٦ .

قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز :

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وهى مدة قصيرة لا تكفى لتأصيل السياسة المالية الاصلاحية واستقرار مبادئها واعتياد الممولين عليها ، والقرآن الكريم يوضح ذلك فى السياسة المالية التى اقترحها يوسف الصديق عليه السلام فقـد استغرق تنفيذها خمسة عشر عاما كما يبين من الآيات التالية :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصـدتم فذروه فى سـنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » (يوسف ٤٧ – ٤٩) ·

عدم حماس البعض لاستمرار سياسة عمر بن عبد العزيز المالية :

لم يكن الأمراء الامويين وحاشيتهم وحدهم الرافضين لسياسـة عمر بن عبد العزيز المالية ، بل كان بجانبهم بعض المنتفعين من بيت المال بغير حق فكانوا يتقدمون لعمر بن عبد العزيز يطالبون بمزايا قررها لهم الخليفة الأموى السابق فيرفضها بعد آن يوضح لهم عدم أحقيتهم لما يطلبون من اموال خصوصا وأنهم كانوا من الأغنياء ، وقد أوردنا نموذجا لبعضهم فيما سبق (٥) ومن هؤلاء ايضا الشعراء الذين اعتادوا الحصول من بيت المال على منح وعطايا كبيرة بناء على أوامر من حكام بنى أميـة السابقين لعمر بن عبد العزيز بعد آن يلقوا قصائد الشعر فى مدحهم بغير حق نفاقا لهم ابتغاء حصولهم على الأموال العامة سحتا وبهتانا · كما أن الظالمين الذين طبقت عليهم سياسة رد المظالم كانت صـدورهم موغرة ضد هذه السياسة وضد واضعها يتمنون أفولها ونهاية واضعها ، وانضم الى هؤلاء فى كراهيتهم لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية الولاة والعمال الظلمة الذين فصلهم عمر فى بدء ولايته لظلاماتهم ومنها تعسفهم فى الجباية وتعذيبهم للأهالى والسير بسيرة الحجاج الثقفى فى الولاية · وكذلك الولاة والعمـال الذين كان أمـير المؤمنين يثق فيهم ويوليهم الولايات والأعمال العامة ثم يكتشف من تتبعهم أنه أحسن الظن واغتر بهم وأنهم غير جديرين بالثقة ولا بحسن الظن لما يرتكبونه من الغشم فى الولاية

---

(٥) الطبرى جزء ٦ – مرجع سابق ص ٥٦٥ ·

والسوء فى الادارة والجور فى الجباية والظلم فى الحقوق · ومما ساهم فى انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته أن بقيه الرعية من الموالين للبيت الأموى من غير الاحزاب الأخرى والمؤيدين للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز صمتت عندما تبدلت سياسته بعد وفاته ، فلم يذكر التاريخ أن رأيا جماعيا طالب بالتمسك بها وعدم الانحراف عنها ·

فرض الخليفة الأموى بعد عمر :

جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك خليفة الدولة الاسلامية بعد عمر بن عبد العزيز ، ولذلك لم يكن لعمر بن عبد العزيز رأى فيمن يلى بعده ، ومن المعروف أن الحكم الأموى جعل الخلافة سلطة مطلقة مع تطبيق مبدأ الوراثة المباشرة فى الخلافة فى أول الأمر بمعنى أن يخلف الابن أباه ثم الوراثة المطلقة بمعنى أن يتولى الخلافة شخص آخر من أفراد الأسرة الحاكمة بشرط أن يكون من ابناء البيت الأموى ·

واغلب الظن لو ترك الخيار لعمر بن عبد العزيز فى أمر الخلافة بعده ، لطبق احدى طرق ثلاث :

لصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبض ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر الصديق رضى الله عنه ·

أو لصنع كما صنع أبو بكر فاختار عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى قال عنه عثمان بن عفان رضى الله عنه « لن يأتى الزمان بمثل عمر »[6] ·

أو لصنع كما صنع عمر بن الخطاب فجعل الأمر شورى فى ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ·

وتطبيق طريقة من الطرق الثلاث كان سيؤدى لاختيار خليفة يتسم بالصلاحية فيبقى على سياسة عمر بن عبد العزيز التى اتسمت هى الأخرى بالصلاحية وقامت على الاصلاح ·

وتوضح فيما يلى نماذج من مظاهر انتكاس السياسة المالية لعمر ابن عبد العزيز بعد وفاته فى عهود بعض من تولى بعده ·

خلفاء الدولة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز :

ولى امارة الدولة الاسلامية بعد عمر بن عبد العزيز فى عصر الدولة الأموية :

---

(٦) عمر بن عبد العزيز لابن كثير ـ تعليق احمد الشرباصى ص ٩٨ ·

يزيد الثانى ١٠١ ـ ١٠٥ هجرية

هشام بن عبد الملك ١٠٥ ـ ١٢٥ هجرية

الوليد الثانى ١٢٥ ـ ١٢٦ هجرية

يزيد الثالث ١٢٦ ـ هجرية

ابراهيم ١٢٦ ـ ١٢٧ هجرية

مروان بن محمد ١٢٧ ـ ١٣٢ هجرية

وبموت عمر بن عبد العزيز انتكست سياسة الاصلاح المالى التى قادها وعادت التجاوزات ومخالفات المال العام تعترى عناصر السياسة المالية للدولة الأموية كما يبين من النماذج التالية ٠

نماذج مخالفات الايرادات العامة :

غلول من فىء المسلمين : ـ

فى عهد يزيد بن عبد الملك استعمل سعيد خذينة على خراسان فرفع اليه ان ثمانية من العمال عندهم أمـــوال قد اختانوها من فىء المسلمين فحبسهم ٠ (٧)

استيلاء على الخراج : ـ

ـ لما تولى سـعيد خزينة خراســان رفع اليه أن عمال عبد الرحمن ابن عبد الله القشيرى عندهم أموال من الخراج فحبسهم ٠

فكلمة فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى ٠

فقال له سعيد : قد رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج ٠

قال : فأنا اضمنه ٠

فضمن عنهم سبعمائة الف ٠

ثم لم يأخذه بها ٠ (٨)

ـ ولى يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان سنة اثنتين ومائة ولكن ما لبث أن عزله لأنه لم يرفع اليــه من الخراج شيئا ٠ (٩)

(٧ ، ٨) المرجع السابق ص ٦٠٦ ٠

(٩) المرجع السابق ص ٥ ، ٦ ٠

اهدار أساس فى الجزية : ـ

ـ فى سنة اثنتين ومائة قتل يزيد بن أبى مسلم من أهل الذمة فوضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فتآمروا عليه وقتلوه . (١٠)

ـ فى سنة ١٢١ هجرية فى عهد هشام بن عبد الملك خطب والى خراسان نصر بن سيار فى بلاد ماوراء النهر فقال :

« انى قد استعملت عليكم منصور بن عمر وأمرته بالعدل فيكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه فى خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى منصور بن عمر يحوله عن المسلم الى المشترك » .

فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم جزيهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين .

فهذا النص يوضح لنا أن الموالى كانوا قبيل سنة ١٢١ هـ فى بلاد ما وراء النهر يدفعون الجزية وأن الوالى الجديد رفع عنهم ذلك وأن الخراج كان يوضع فى غير موضعه . (١١)

ـ فى سنة ١٢٣ هـ قامت ثورة من البربر فى الشمال الأفريقى لأن حاكم طنجة قد وضع الجزية على من أسلم منهم (١٢) .

ـ ويعلق أحد الكتاب على ذلك فيقول :

« نستطيع ان نستنتج أن الأمويين بعد عصر عمر بن عبد العزيز قد رجعوا فى سلوكهم مع الموالى فيما يتعلق بالجزية والخراج الى سياسة الحجاج ، أو على الأقل قد حاولوا الرجوع اليها ، وأنهم قد استطاعوا أن ينفذوها فى بعض الجهات بينما استعصت عليهم فى جهات أخرى وكانت سببا لأضرار كثيرة وثورات عنيفة » (١٣) .

---

(١٠) المرجع السابق ص ٦١٧ .

(١١ ، ١٢) محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى ـ بقلم الدكتور محمد الطيب النجار ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ـ طبعة ١٩٨٦ م ص ١٦٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٦٣ .

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الانفاق العام على ترف الأمراء :

– يروي المؤرخون أن يزيد بن عبد الملك كان مولعا بالطرب محبا للهو مشغوفا بالجواري والقيان ، وهناك أخبار كثيرة عن جاريتيه المفضلتين حبابة وسلامة ومدى حبه لهما وهو حب أفقده عقله حتى أنه لما ماتت سلامة امتنع عن دفنها ثلاثة أيام حتى انتنت ولامه الناس فامر بدفنها ولم يمكث بعدها الا أياما معدودة ثم قتله الحزن عليها . (١٤)

– سار هشام بن عبد الملك فى مستهل خلافته على نهج عمر ابن عبد العزيز فاستبشرت النفوس وازدهرت الآمال وتوقع الناس على يديه الخير الكثير ولكن بطانة السوء التى التفت حوله صرفته عن هذا السبيل القويم . (١٥)

انفاق على الحاشية والشعراء والأنصار :

– ولم يلبث الوليد (الثانى) أن أتى على ما فى خزائن هشام من أموال مدخرة فبددها ذات اليمين وذات الشمال وأسرف فى منح الشعراء واعطاء الطالبين ومع ذلك كان الأعم لأغلب من الشعب ينتقدون تصرفاته ويندون باسرافه فى اللهو والشراب وسماع القيان . (١٦)

زيادة الانفاق العام على الموالين وانتقاص العاملين :

– يزيد الثالث وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك دان لليمانيه فى توليه الخلافة ولذا قربهم وأغدق عليهم الأموال واضطر الى انقاص أعطيات الجند لنضوب موارد الخزانة فاستاءوا منه وسموه « الناقص » (١٧) .

انفاق عام على قتال المسلمين :

كان للسياسة العادلة التى انتهجها عمر بن عبد العزيز أثرها فى تسكين الحرب بين الخوارج . وجاء الخلفاء الذين من بعده فلم ينهجوا نهجه ، فقام الخوارج بالثورة فى عهد يزيد بن عبد الملك بقيادة زعيمهم شوذب

---

(١٤) المرجع السابق – نقلا عن ابن الاثير – ص ٨٠ .

(١٥) المرجع السابق ص ٨٠ .

(١٦) المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٧) المرجع السابق ص ٨٣ .

بعسه ثم قاموا بالثورة فى عهد هشام بن عبد الملك بقيادة زعيمهم البهلول بن عمر الشيباني وقاموا بالثورة كذلك فى عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٨) . ولقد كال الأمويون لهؤلاء الخوارج ضربات قوية كلفت بيت المال أموالا طائلة كان الأولى أن توجه لمصلحة الاسلام والمسلمين .

كما أن الشيعة بدأت فى ١٢١ هـ بقيادة زيد بن على ثم من بعده ابنه يحيى الكفاح الرهيب والنضال المرير مع خلفاء بنى أمية مما اضطر الدولة الأموية الى تجريد الجيوش لمحاربة الشيعة وهزيمتها وقتل قائدها زيد بن على وابنه وهذا نموذج آخر يوضح كيف أن شطرا من الأموال العامة كان يوجه لقتل المسلمين بعضهم بعضا .

مخالفات فى الادارة المالية

اعادة والى ظالم : ـ

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز عزل أسامة بن زيد التنوخى عن خراج مصر لظلمه ومع ذلك لما تولى يزيد بن عبد الملك رده الى عمله.(١٩)

ولاية للقرابة :

ـ أوضحنا أن يزيد بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك الكوفة والبصرة وخراسان وكان شقيقه فنهب أموال الخراج .

ـ واستعمل مسلمة سعيد حذينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته فقد كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة . (٢٠)

تعيين مرشح قتلة الوالى :

أوضحنا سبب قتل يزيد بن مسلم بأفريقية وهو فرضه الجزية على من أسلم ، وقد ولى من قتلوه محمد بن يزيد مولى الأنصار بدله وأرسلوا بذلك للخليفة فاقر من عينوه (٢١) .

---

(١٨) المرجع السابق ص ١٠٠ .
(١٩) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ـ تعليق أحمد عبيد ص ٣٢ .
(٢٠) الطبرى جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٦٠٥ .
(٢١) المرجع السابق ص ٦١٧ .

انتكاس السياسة المالية ساهم فى نهاية الدولة الأموية :

ساهمت مخالفات وتجاوزات المال العام بعد عمر بن عبد العزيز مع غيرها من الأسباب فى نهاية عهد الأمويين وزوال حكمهم ·

فقد غلت بعض الأموال العامة ، والله جل وعلا نهى عن الغلول فقال:

« وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » (آل عمران / من ١٦١) ·

وقد فرضت الجزية فى بعض البلاد على من أسلم ، والله جل وعلا أنزل نظاما للجزية فجعلها على من لم يسلم من أهل الكتاب وبذلك حكم بعض الولاة بغير ما أنزل الله · والله سبحانه وتعالى قال :

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (المائدة/من٤٧) ·

وقد أترف بعض الأمراء وأقاربهم وحاشيتهم والموالين لهم من الأموال العامة والله جل وعلا حذر من الترف والفسوق وأوضح أن العاقبة هى التدمير ، فقال سبحانه وتعالى :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء /١٦) ·

ووجهت الأموال العامة لقتال المسلمين ، وكان من الممكن تدارك ذلك بوقف القتال كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وتطبيق ما أمر به الله جل وعلا فى قوله :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » (الحجرات /٩) ·

وحظى الأقارب بمناصب الدولة فانتهب بعضهم الأموال العامة وأساءوا ادارتها والشأن أن يتولى الأموال العامة الأمناء لا الأقرباء فالرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا لم يعين ذوى قرباه فى المناصب ما عدا على بن أبى طالب لتقواه وعلمه وحكمته ، والله أمر بابعاد من لا يحسنون ادارة الأموال عن العمل بها ، فقال جل وعلا ·

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » (النساء/ من ٥) ·

والسفهاء هم الجهال بموضع النفقة وقيمة الأموال وسيئو التصرف عموما ·

ومن يدرى فلو سار خلفاء بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز عـلى نهجه ، لثبت الله حكمهم ولأطال عهدهم ، ولكن بعضهم نكث ومن ينكث فانما ينكث على نفسه ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ·

على أنه بالرغم من انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته بسبب عدم تطبيق بعض أمراء بنى أمية للأسس التى قامت عليها الا أن هذه الأسس تعتبر نهجا تنهجه الماليات العـــامة الحالية للاصلاح وسنبين ذلك فيما يلى ·

الفصل الثانى

شهادات بتقييم عمر بن عبد العزيز وسياسته

توافق اصلاحات الماليات العامة الحالية مع اصلاح عمر بن عبد العزيز :

يعترى الماليات العـــامة للدول حاليـا وجوه خلل تمثلت فى زيادة النفقات العامة لها عن الموارد العامة وتفاقم العجز المالى وتزايده سنة بعد أخرى ومحاولة تغطية العجز المالى بقروض ولدت فوائدها وأقساطها أعباء ثقيلة على الموازنات العامة للدول ، ومنها من غطى العجز باصدار المزيد من أوراق نقد بدون غطاء ، ومنها من جمع فى تغطية العجز بين الاقتراض واصدار النقد المكشوف والكثير من الدول خصوصا النامية منها استخدم حصيلة القروض والنقد المصدر فى تمويل نفقات عامة اســتهلاكية غير انتاجية ، فتولدت موجات تضخمية رفعت الأسعار وهبطت بالقوة الشرائية للنقد فعانى من ذلك أصحاب الدخول المحدودة بسبب عجز دخولهم عن اشباع حاجياتهم من السلع التى توالى ارتفاع أسعارها ، وأدى ارتفاع الأسعار الى ارتفاع تكاليف الخدمات العــامة للشعب فأدتها الحكومات ناقصة غير كاملة وهابط مستوى أدائها ، ومما ساهم فى ذلك قلة الموارد وعدم كفاءة جهاز الدولة (١) ٠

ومما اقترحه المتخصصون لاصلاح الماليات العـامة الحالية للدول بصفة عامة ما يلى :

ـ ربط الاصلاح المالى باصلاح اقتصادى ٠

ـ اصلاح الموارد العامة بمراجعة نظمها وتحقيق عدالتها وتنشيط حصيلتها ورفع كفاءة ادارتها ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة ـ طبعة ثالثة ـ اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ منع الاسراف فى النفقات العـامة وترشيدهـا وترتيبهـا طبقـا لأولويات تحقق أكبر نفع منها ٠

ـ اصلاح نظم الادارة المالية برفع كفاءة العاملين ومتابعـة أعمالهم واصدار التعليمات المفسرة للقوانين المالية وتطبيق نظم للحوافز ٠

ـ معالجة أية مظالم مالية وقعت قبل الاصلاح ٠

ـ الحزم فى تطبيق الاصلاح وايجاد القدوة العامة التى تساهم فى نجاحه ٠

ـ التوسع فى كفالة الطبقات ذات الدخل المحدود ٠

وهذه الأسس هى نفس الأسس التى قام عليها اصلاح السياسة المالية فى عهد عمر بن عبد العزيز فى القرن الأول الهجرى وبذلك يمكن الاقتباس من اصلاحاته وتطويرها بما يلائم أوضاع المالية العامة لكل دولة

تنويه جماعى لسياسة عمر بن عبد العزيز :

نوه الخلفاء والملوك والأئمة والكتاب والشعراء عن مبادئه ومنجزاته العظيمة التى تمت فى مدة خلافته القصيرة فكانت شهادات صدق باقية على مر العصور ، فقالوا :

عمر بن عبد العزيز أحد الخلفاء الراشدين :

قال عباد السماك ـ وكان يجالس سفيان الثورى

سمعت الثورى يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وهكذا روى عن أبى بكر بن عياش والشافعى وغير واحـــد (٢) ٠

عمر بن عبد العزيز أحد أئمة الهدى :

ذكر ابن خاقان لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى ٠

أنه قال : أئمة الهـدى أبو بكر وعمر وعثمـان وعلى وعمر بن عبد العزيز ٠

فقال له ابن حنبل : هكذا هو (٣) ٠

---

(٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى تعليق وتقديم أحمد الشرباصى ص ٧٠ ٠
(٣) المرجع السابق هامش ص ٤٠ ٠

عمر بن عبد العزيز اقام الدين :

– روى الامام أحمد بن حنبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث التالى :

« ان الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها » ٠

وأضاف الامام أحمد : فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وأرجو أن يكون على رأس المائة الثانية الشافعى رضى الله عنه (٤) ٠

– قال النووى عن عمر بن عبد العزيز ٠

وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه فى الاجتهاد فى طاعة الله وحرصه على اتباع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وهو أحد الخلفاء الراشدين وفضائله أكثر من أن تحصر (٥) ٠

– وقال الشاعر جرير يرثى عمر بن عبد العزيز ويشهد أنه سار بأمر الله فيما حمل به :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا	يا خير من حج البيت واعتمرا
حملت أمرا عظيما فاضطلعت به	وسرت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة	تبكى عليك نجوم الليل والقمرا (٦)

قول عمر بن عبد العزيز حجة :

قال الامام أحمد بن حنبل – لا أدرى قول أحد من التابعين حجة الا قول عمر بن عبد العزيز (٧)

زهد عمر بن عبد العزيز أبكى هارون الرشيد :

كان الاقتداء بعمر بن عبد العزيز درسا ألقاه الفضيل بن عياض واعظ الرشيد عليه ، فقال له بين الذى قاله :

---

(٤) الامام الشافعى – تأليف الاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٣٨٠ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

(٥) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق الشرباصى – مرجع سابق هامش ص ٤١ ٠

(٦) المرجع السابق ص ١٠٣ ٠

(٧) المرجع السابق ص ٤٠ وهامشها ٠

ان عمر بن عبد العزيز يوم ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوه ·

وقال لهم : انى ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على ·

فعد الخلافة بلاءا وعددتها أنت نعمه ·

وقال سالم : ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك على الموت ·

وقال محمد : وليكن كبير المسلمين لك أبا واوسطهم لك أخا واصغرهم لك ولدا ، فبر أباك وأرحم أخاك وتحنن على ولدك ·

وقال له رجاء : أحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ·

وبكى الرشيد حتى غشى عليه ·

فقال الفضل بن الربيع حاجب الرشيد : ارفق بأمير المؤمنين ·

قال الفضيل : يا ابن الربيع ، قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ·

فلما أفاق الرشيد قال : زدنى ·

قال الفضيل : بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه السرف ، فكتب اليه عمر يقول « يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود عباد الله فيها » ·· فلما قرأ كتابه طوف فى البلاد حتى قدم عليه وقال : « ما أقدمك ؟ » قال : خلعت قلبى بكتابك ، لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله » ·

وبكى الرشيد ثم قال : زدنى ·

فزاده الفضيل وعظا ·

فقال الرشيد : أعليك دين ؟

قال الفضيل : دين لربى ·

قال الرشيد : انما أعنى دين العباد (يريد سداده عنه أو بر قوم يريد الفضيل برهم) ·

قال الفضيل : ان ربى لم يأمرنى بهذا وانما امرنى أن أصدق وعده واطيع أمره ·

قال الرشيد : هذه الف دينار خذها لعيالك وتقو بها على عبادة ربك ·

قال الفضيل : سبحان الك ـ أنا أدلك على طريق النجاة وتكافئنى جهذا ! أسلمك الله ورفض الدنانير (٨)

اشادة بعدل عمر بن عبد العزيز :

ـ قال محارب بن دثار يرثى عمر بن عبد العزيز وينوه عن عدله :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصيبك الموت يا عمر
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم ... كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف الواجدين معى ... على العدول التى تغتالها الحفر (٩)

ـ وقال آخر :

أقول لما نعى الناعون لى عمرا ... لا يبعدن قوام العدل والدين
قد غادر القوم باللحد الذى لحدوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين (١٠)

ـ وقال امبراطور الروم ليو الثالث لما بلغه وفاة عمر بن عبد العزيز وقد كان خصما عنيدا لدولة الاسلام ·

« مات والله ملك عادل ليس لعدله مثيل ، وليس ينبغى أن يعجب الناس لراهب ترك الدنيا ليعبد الله فى صومته ، انما العجب لهذا الذى صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها » (١١) ·

عمر بن عبد العزيز ادى واجبه نحو مصلحة الأمة :

ـ يقول : ولهوزن فى كتابه ·

« لم يكن عمر بن عبد العزيز يعنى بنفسه قط وانما كان يعنى بالصالح العام ··· ولقد جعلته تقواه يدير شئون الأمة ويسوسها على وجه جعل كل عامل من عماله يؤدى ما فرض عليه الواجب نحو مصلحة المجموع ·· وكان عمر يقوم بما فرض عليه من التبعات الجسام والواجبات الثقال باستقامة وأمانة نادرة المثال » (١٢) ·

---

(٨) أحمد بن حنبل ـ امام أهل السنة ـ الاستاذ عبد الحليم الجندى ـ هامش ص ٩٨ ٩٩ ·

(٩) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق الشرباصى مرجع سابق ص ١٠٣ ·

(١٠) الطبرى ـ جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٥٧٢ نقلا عن ابن الاثير فقال كثير عزة ·

(١١) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز خالد محمد خالد ص ١٦٦ ·

(١٢) ورد ذلك فى كتاب عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ص ١٦٢ · نقلا عن كتاب The Arabkingdom and its Fall By de welhusen.

ـ ويترجم الشعر عن صنائعه للأمة فأنشد عمرو الشيبانى لكثير عزة فقال :

عمت صنائعه فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... فى كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله ... خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنها من نشرها منشور (١٣)

أغنى الله الناس على يد عمر بن عبد العزيز :

ـ قال رجل من ولد زيد بن الخطاب : فما مات عمر حتى كان الرجل يأتينا بالمال العظيم .

فيقول : « اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء » .

فلا يجد فقيرا يتصدق عليه ! وما يبرح حتى يرجع بماله فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس (١٤) .

ـ قال يحيى بن سعيد : بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فجمعتها ـ وطلبت فقراء أعطيها لهم فلم أجد فقيرا يقبل أن يأخذ منى صدقة بيت المال ... فاشتريت بها رقابا واعتقتهم بعد أن جعلت ولاءهم للمسلمين (١٥) .

ـ كتب عدى بن ارطأه الى عمر : انه قد أصاب الناس من الخير خير ... حتى لقد خشيت أن يبطروا (١٦) .

تفرد عمر بن عبد العزيز :

يقول (براون) فى كتابه :

« ينفرد عمر بن عبد العزيز عن سائر خلفاء بنى أمية بالورع والايمان ، فلم يكن مدفوعا فى ادارته للدولة بدوافع مالية ، ولكنه كان يرغب فى نشر تعاليم الاسلام واحكامه ... وكان هذا المعنى مسيطرا على نفسه حبيبا الى قلبه ، ويعتبر هذا الخليفة استثناء لما كان عليه خلفاء

---

(١٣) عمر بن عبد العزيز ـ لابن كثير ـ تعليق الشرباصى ـ مرجع سابق ص ١٠٣ . نقلا عن ابن عبد الحكم .

(١٤ ، ١٥ ، ١٦) وردت فى عمر بن عبد العزيز لسعد عبد السلام حبيب ص ٨١ ، ٨٢ نقلا عن ابن عبد الحكم .

بنى أمية من طمع واستئثار بالسلطة والنفوذ وبعد عن الطريق القويم » (١٧) ٠

ويكرر الشاعر عويف القوافى نفس المعنى فيقول :

أجبنى أبا حفص لقيت محمدا على حوضه مستبشرا ورآكا
فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا (١٨)

عصر العباسيين ينقصه مثل عمر بن عبد العزيز :

كان المهتدى بالله بن الواثق بعد أن صار خليفة من خلفاء بنى العباس يقول :

« انى استحى أن يكون فى بنى أمية عمر بن عبد العزيز ولا يكون مثله فى بنى العباس » (١٩) ٠

فراسة صدق فى عمر بن عبد العزيز :

أخبر الليث بن سعد أنه قيل :

الفراسة فراسة العزيز فى يوسف النبى عليه السلام حين قال « ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين » (يوسف/من ٥٤) ٠

وفراسة عمر بن الخطاب فى الهلالية حين قال لولده : تزوجها والله ليوشكن أن تأتى بفارس يسود العرب فأتت بعمر بن عبد العزيز ٠

وفراسة سليمان بن عبد الملك فى عمر بن عبد العزيز حيث قال والله لأعقدن عقدا ليس للشيطان فيه نصيب فعقد لعمر بن عبدالعزيز (٢٠).

ديمقراطية عهد عمر بن عبد العزيز :

ويقول آخر :

لم يكن عصره قد عرف النظم البرلمانية بعد ٠٠٠ لكن ديمقراطية الحاكم مع ذلك كانت تبين وتسفر كالشمس من خلال أسلوبه فى الحكم .

---

(١٧) المرجع السابق ص ١٦١ نقلا عن
Browne : A Litterary Hiatony of Teraia

(١٨) الطبرى جـ ٦ ــ مرجع سابق ص ٥٦٦ ٠

(١٩) أحمد بن حنبل ــ للاستاذ عبد الحليم الجندى ص ٩٨٠ ٠

(٢٠) سيرة عمر بن عبد العزيز ــ لابن عبد الحكم ــ مرجع سابق ص ٢٠ ٠

وطريقته فى اختيار ولاته وبطانته . واستعداده لتقبل النقد ، وسماع كلمة الحق . ونظرته الى الأمة التى يحكمها ومدى ولائه لحقوقها وحرياتها .

وبهذا المعيار والمسبار ، يقف عمر بن عبد اعزيز فى هذا المجال وكأنه نسيج وحده (٢١) .

عدل عمر بن عبد العزيز روض الوحوش :

روى موسى بن أعين الراعى ـ وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينه قال

« كانت الأسد والغنم والوحوش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب .

فقلت : انا لله ، ما أرى الرجل الصالح الا قد هلك .

قال : فحسبناه فوجدناه قد هلك فى تلك الليلة (٢٢) .

رحم الله عمر بن عبد العزيز ورضى عنه جزاء ما قدم للاسلام وللمسلمين .

تم بعون الله

---

(٢١) معجزة الاسلام ـ عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ـ مرجع سابق ص ١٤٠ .

(٢٢) عمر بن عبد العزيز لابن كثير القرشى ـ تعليق أحمد الشرباصى ـ مرجع سابق ص ٧٩ . وورد بهامشه أنه بصفحة ٧٠ من ابن الجوزى أكثر من رواية فى هذا الشأن .

بعض المراجع

- القرآن الكريم .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ طبعة ثانية ـ اصدار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- صحيح البخارى للامام أبى عبد الله البخارى ـ صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
- المنتخب من السنة ـ المجلد السادس ـ صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ـ لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
- تاريخ الطبرى ـ لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف بمصر .
- تاريخ العالم الاسلامى ـ دكتور ابراهيم العبدوى ـ مطبعة جامعة القاهرة ـ ١٩٨٦ .
- فتوح مصر وأخبارها ـ لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى ـ تقديم وتحقيق محمد صبيح ـ مؤسسة التعاون والنشر .
- محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى ـ دكتور محمد الطيب النجار ـ معهد الدراسات الاسلامية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
- معاوية بن أبى سفيان فى الميزان ـ عباس محمود العقاد ـ طبعة دار الهلال .
- سيرة عمر بن عبد العزيز ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى ـ مطبعة المؤيد بالقاهرة .

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه ـ لأبى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تصحيح وتعليق أحمد عبيد ـ طبعة ثانية ـ اصدار مكتبة وهبة ٠

- عمر بن عبد العزيز ـ للامام ابن كثير القرشى ـ تقديم وتعليق أحمد الشرباصى ـ الدار القومية للطباعة والنشر ٠

- عمر بن عبد العزيز ـ سعد عبد السلام حبيب ـ دار الفكر العربى ٠

- معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد ـ طبعة ثالثة ـ دار المعارف ٠

- بطل الأبطال ـ عبد الرحمن عزام ٠

- من أخلاق النبى ـ دكتور أحمد محمد الحوفى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

- من قضايا العمل والمال ـ الشيخ أبو الوفا المراغى ـ سلسلة مجمع البحوث الاسلامية ٠

- الخراج ـ للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ٠

- الأموال ـ لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ـ دار الفكر للطباعة والنشر ٠

- الاقتصاد السياسى الجزء الأول ـ د٠ احمد محمد ابراهيم ـ طبعة ثالثة ٠

- مذكرات نظام الحكم والادارة ـ المستشار عمر الشريف ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ٠

- أبو حنيفة ـ عبد الحليم الجندى ـ طبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٧٠ ٠

- أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ـ عبد الحليم الجندى ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

- الامام الشافعى ـ عبد الحليم الجندى ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

- خامس الخلفاء الراشدين ـ سلسلة مقالات ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ نشرت بجريدة الأهرام ٠

- حقوق الانسان فى صلة الفرد بالجماعة - د. محمد البهى - مقال فى مجلد مجمع البحوث الاسلامية - المؤتمر السادس .
- علاوة على المراجع التالية للمؤلف والتى أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب .
  - الموازنة العامة للدولة - طبعة ثالثة سنة ١٩٧٨ .
  - النظم المالية فى الاسلام - طبعة ثالثة سنة ١٩٨٦ .
  - الاطار الأخلاقى لمالية المسلم - طبعة سنة ١٩٨٣ .
  - السياسة المالية للرسول - طبعة سنة ١٩٨٠ .
  - السياسة المالية لعمر بن الخطاب - طبعة سنة ١٩٨٤ .
  - السياسة المالية لعثمان بن عفان - طبعة سنة ١٩٨٦ .

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٧٣/١٩٨٨

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٧٧٢ - ٢

هذا الكتاب تجميع أقوال وأعمال عمر بن العزيز بعد تصنيفها ووضعها فى سياسات عامة فرعية منبثقة من سياسته المالية لتكون هاديا ومرشدا لمن ينفذونها

وأفرغت ماورد بالكتاب فى القوالب الفنية للماليه العامة الحالية تحديثا للتراث وتحقيقا لسهولة الاقتباس منه والانتفاع به كما دعمت وقائع الموضوع بالقرآن الكريم وبسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كلما لزم الأمر بإعتبارهما من مصادر المالية العامة الإسلامية .

ولما كانت سلوكيات عمر بن عبد العزيز وسياساته محل تنويه رؤساء الدول والحكام والأئمة والكتاب والشعراء على مر العصور ، فقد ختمت الكتاب بشهادات صدق صدرت منهم وبذلك يكون لدى القارىء نبذة من الآراء المختلفة عن صفات وأعمال رئيس دولة إسلامية اعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

٢٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب